العدد ١٠ من السنة الأولى - شعبان سنة ١٣٥٩ — أكتوبر سنة ١٩٤٠

الشؤون الاجتماعية والتعاون

مجلة شهرية تصدرها وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ١٥ قرشا

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس العدد

الموضوع		صفحة
مشكلات العمل فى المستقبل	محمد حافظ رمضان باشا	٣
الأصول العلمية الحديثة والزراعة	حافظ عفيفى باشا	٩
بعد تحريم الخمر فى فرنسا	على جمال الدين باشا	٢٠
الاصلاح الاجتماعى والحالة الاقتصادية	صابا حبشى بك	٢٧
انهاض الصناعات	ابراهيم عبد الهادى بك	٣٢
عدة الشباب من الخاضر	الدكتور ابراهيم مدكور	٣٦
الجمهور والأمن العام	الأستاذ محمد الشافعى اللبان	٤٢
الصبر على الشدائد	الدكتور عبد الوهاب عزام	٤٧
خيبة الأبناء		٥١
رسالة الشباب فى العصر الحديث	الأستاذ سلامه موسى	٥٥
الفتاة والزواج	الدكتور على فؤاد بك	٦٢
جرائم السرقات	اليوزباشى صالح زكى	٦٦
التربية البدنية وغاياتها	مستر جون كرمن	٧٥
التعارن بين البيت والمدرسة		٨٩
تعليم الكبار		٩٢
الراديو والسينما فى خدمة المجتمع		٩٦
مؤسسة تعاونية جديدة		١٠١
رابطة الشباب المصرى		١١٠
متفرقات اجتماعية		١١٢

مشكلات العمل في المستقبل

لحضرة صاحب المعالى محمد حافظ رمضان باشا

وزير الشؤون الاجتماعية

ليست مشاكل العمل فى مصر قاصرة على ما يقوم أحيانا من خلاف بين العمال وأصحاب الأعمال فتتدخل الحكومة فى الوقت المناسب لحسم الخلاف بوسيلة من الوسائل ، ولا هى قاصرة على فئة من العمال تتعطل تعطلا يطول أو يقصر تبعا لأهمية أسبابه فتتولى الحكومة علاجه بتوفير العمل لهذه الفئة أو لبعض أفرادها . ولكن مشاكل العمل الحقيقية فى مصر لا تزال فى دور التكون والنماء . وسينقضى زمن قبل أن تبرز وتتجلى فى شكلها الرهيب .

والمستقبل يحمل فى طياته أحداثا كبارا لا ندرى متى يتمخض عنها ، ولكن يجب أن نتوقعها ونحتاط لها . فما يجمل بالحكومات والشعوب الرشيدة أن تقف حيال المشكلات الاجتماعية المتوقعة موقف الغافل اللاهى ولا موقف المنتظر المسوف . بل يجمل بها أن تقف منها موقف المترقب اليقظ الذى لا تسبقه الحوادث ولا تفاجئه الأيام .

ولست أرمى بهذه الكلمة الى وضع حلول لمشكلات العمل التى سوف تواجه الجيل الناشئ أو الجيل الذى يليه ، فتلك الحلول ستكون موضوع دراسات طويلة أرجو أن تتوفر عليها وزارة الشؤون الاجتماعية وأن تكرس لها ما هى جديرة به من العناية والاهتمام . ولكنى أردت أن أعين بعض تلك المشكلات وأن أوجه اليها العقول حتى لا يسبقنا الزمن ويفاجئنا الغد بأحداث لم نفكر فيها ولم نحتط لها .

العمل فى مصر موزع بين الزراعة والصناعة . ولهذا العمل مشكلات تولد وتنمو معه وتتكيف بتكيفاته ، وأخرى تطرأ عليه بفعل التطورات المحلية أو الانقلابات العالمية .

والعمل الزراعى فى مصر قديم قدم عصور الفراعنة ، ولكن طوارئ جديدة قد طرأت عليه فأثارت فيه مشكلات جديدة . ومن أمثلة هذه الطوارئ استخدام الآلات الميكانيكية فى أعمال الزراعة : كماكينات الدراس فى دراس القمح ، والسيارة فى نقل المحاصيل ، والمحراث المسير بالبترين لتفكيك الأرض وتخطيطها . ومن أمثلتها أيضا تعميم الرى الصيفى وما جلب معه من ديدان تعيش فى التربة لرطبة وتنتقل الى جسم الفلاح ، حتى لقد بتنا نتساءل بحق . هل الفوائد الاقتصادية التى عادت على الزراعة من المستحدثات العصرية تعادل الخسائر الاجتماعية والصحية التى أصابت أهل الريف ؟ وهل الفلاح الآن أحسن حالا وأسعد حظا مما كان عليه قبل خمسين سنة ؟

لا شك أن استخدام الآلات الميكانيكية قد أحدث فى الريف تعطلا ملحوظا إذ جعل العمل فى الدوائر الزراعية موسميا بعد أن كان يستغرق العام كله . ولا شك أيضا فى أن تشبع الأرض بالرطوبة من كثرة الرى قد أفشى فى الأرض ديدانا كثيرة تصيب أجسام الفلاحين فتمرضهم وتفت فى قواهم وتنقص من حيويتهم وتقضى على نشاطهم .

هاتان مشكلتان لا يستهان بهما . فإذا أضفنا اليهما أن الاستقلال الاقتصادى الذى كانت القرية المصرية تتمتع به حتى عهد ليس بالبعيد ، حين كان أهلها يلبسون ما ينسجون على المغزل والنول الصغير ، ويستعملون من الأدوات ما تصنعه أيديهم — أقول إذا أضفنا إلى تلك المشكلتين أن هـذا الاستقلال الاقتصادى المحلى قد زال بتدفق الأدوات الأجنبية وبإنشاء مصانع النسيج داخل البلاد ، فأوصدت أبواب للعمل كثيرة كانت مفتوحة فى وجوه الريفيين ، أدركنا أن شبح التعطل الواسع المدى قد أخذ يلوح فى أفق الريف المصرى متكئا على ذراع شبح آخر ، هو المرض الذى يفتك بقوى الفلاحين .

وننظر بعد ذلك فنجد أن القرية المصرية قد باتت تنافى الكرامة القومية . فإن حركة الرقى العام فى العالم قد استحدثت اصلاحات ترتبت عليها حقوق جديدة ومطالب جديدة . ولم تعد الأمة ترضى بالحال الوضيعة التى يعيش فيها سكان القرى ، ولا بأن تظل القرية فى مصر على حالتها القديمة المزرية بكرامة الإنسان . وسواء كان سخطنا على هذه الحالة أمرا طارئا ابتعثته نهضتنا الحديثة أو إحساسا انسانيا يوحى به الخلق الكريم ، فلم يبق أمامنا بد من انهاض القرية وترقيتها وجعلها صالحة للحياة . وهذه مشكلة أخرى يتطلب حلها نفقات لا تتحملها موارد الدولة وحدها ، فلا بد من اشراك الشعب نفسه فى حمل بعضها .

* * *

واذا كانت مشكلات العمل فى الريف تتسم بسريان بطىء يكاد لا يُحَس ، واذا كان الخطر الذى يهيئه انتشار الآلات الميكانيكية الزراعية فى الريف لم يتجسم بعد أمامنا فى شكله الحقيق المفزع ، واذا كان الفلاح لم يتنبه بعد الى أن أمراضه ناشئة من رطوبة الأرض التى يعمل فيها ولم ينهض لمطالبة الحكومة باتخاذ الاحتياطات الواجبة لصيانة جسمه وبنيته من تلك الأمراض — اذا كانت مشكلات العمل فى الريف تتسم بهذا السريان البطىء فإن مشكلات العمل فى المدن تتسم بأنها تكون فى الأغلب طارئة وعنيفة . وليس معنى الطروء هنا أنها مجهولة الاسباب ، وانما معناه أنها تتخذ مظاهر مفاجئة ، كالتعطل الذى يحدث بين جماعات من العمال لأن مصنعا كبيرا قد أغلق أبوابه ،

أو كالإضراب الذى يعم مئات أو آلافا من العمال لسبب آخر . ومن ثم فهى مشكلات يجب توقعها فى كل وقت والاحتياط لها بجميع الوسائل ، اذ هى تتطلب العلاج السريع والحلول الحاسمة التى لا تتحمل الإبطاء والتسويف . وهذا العلاج وهذه الحلول ليست بالشىء الذى يرتجل ساعة الخطر ، وانما يجب وضع أصولها الثابتة وقواعدها العامة ليستوحيها أولو الأمر فى الوقت الملائم .

* * *

وإذا نحن قابلنا بين الوسط الزراعى فى الريف والوسط الصناعى فى المدن ، وجدنا بينهما اختلافا يستوقف النظر : ففى الريف ترى فقرا يصاحبه هدوء وقناعة ، لأن الفلاح ألف عيشته الوادعة ولم تتفتح عيناه على عيشة خير منها ، بينما ترى فى المدن يسرا يرافقه تقلقل وعدم استقرار ، لأن مطالب الحياة فى المدينة تختلف عن مطالبها فى القرية ولأن ارتفاع الأجور تقابله مفاجآت التعطل والإضراب . ولعل فى هذا الاختلاف ما يفسر أن مشكلات العمل الصناعى تكسف مشكلات العمل الزراعى ، لا لأن تلك أفدح من هذه خطرا وأضخم مظهرا ، ولكن لأننا لم نألف فى مشكلات الريف عامل المفاجأة والطروء الذى ألفناه فى مشكلات الصناعة .

وهناك مشكلة لعل الناس قد بالغوا فى تقدير قيمتها والتهويل فى أمرها ، وهى مشكلة هجرة الريفيين الى المدن . بل لقد بلغ توهم الناس خطر هذه المشكلة أن اقترح بعضهم منع تلك الهجرة بقوة القانون ، فى حين أن الدستور ينص صراحة على احترام حرية الانتقال وحرية اختيار مكان الإقامة ونوع المهنة .

ومع ذلك ما هى الحقائق فى هذا الموضوع ؟

تقول الإحصاءات الرسمية فى المقابلة بين عامى ١٩٢٧ و ١٩٣٧ :

١ — إن عدد المالكين الذين يزرعون أرضهم فى سنة ١٩٢٧ كان يبلغ ٧٨١,٧٧٨ وهذا العدد فى سنة ١٩٣٧ قد بلغ ٨٥٩,٩٥٥ أى أنه زاد بمقدار ٧٨,١٧٧

٢ — ان عدد المزارعين بالأجرة والفعلة كان فى سنة ١٩٢٧ يبلغ ١,٥٥٨,٢٠٣ وقد ارتفع فى سنة ١٩٣٧ الى ١,٧١٤,٠٢٣ أى بزيادة ١٥٥,٨٢٠

وقد يقال إن هذه الزيادة ليست كبيرة أو إنها لا تتناسب مع النمو الزراعى المشاهد . وقد يكون هذا صحيحا ، ولكن يجب أن ندخل فى حسابنا أن الزيادة التى حدثت فى الأرض المزروعة خلال السنوات العشر المذكورة لا يمكن أن تكفل العيش لأكثر من ذلك العدد .

والإحصاء الحكومى يثبت فى الوقت نفسه زيادة السكان فى المدن زيادة لا يبررها غير هجرة الريفيين إليها . فما السبب فى هذه الهجرة ؟

أظن أن هناك سببين : أولهما انتشار الآلات الميكانيكية فى الدوائر الزراعية الكبيرة وكثرة السيارات فى النقل . فقد كان الفلاح يجد عملا بل أعمالا فى خدمة الأرض وخدمة الماشية والرى والحصاد . وقد قل استخدام الأيدى العاملة فى هذه الأعمال فى الدوائر الكبيرة باستعمال المحراث أو الحشادة أو آلات الرى الميكانيكية . فالفلاح أصبح لا يستخدم فى كل هذه الأعمال إلا قليلا . كما أن الحاجة اليه لخدمة الماشية التى كانت تقوم بهذه الأعمال قد زالت . وكذلك استغنى عن الجمل والفرس وسائر حيوانات النقل باستعمال الأتوميل واستغنى بطبيعة الحال عن خدمة الفلاح لها . فانتشار الآلات الكبيرة اذن سبب من أسباب الهجرة الريفية الى المدن .

والسبب الثانى هو ظهور المصانع الجديدة فى بعض المدن ، فلقد جذبت هذه المصانع اليها آلاف العمال . وهذه حركة من الحركات الميمونة التى كنا نرنو اليها ونترقبها ، فيجب ألا نعارضها . وإنما الذى يستحق الدرس هو الحركة الأخرى أى هجرة الريفيين بسبب استغناء أصحاب المزارع الكبيرة عن عملهم بالآلات الكبيرة .

وقد عالجت بعض الدول مسألة الأيدى العاملة التى تعطلت بسبب انتشار الآلات الميكانيكية علاجا شاذا لعل الظروف المحلية قد استوجبته فلم تجد مندوحة عن الأخذ به . ففى هنغاريا ، مثلا ، حرمت الحكومة استخدام الآلات الميكانيكية بسائر أنواعها فى أعمال الزراعة ، حرصا منها على إبقاء هذه الأعمال للفلاحين يعيشون منها . وفى ولايات أمريكا المتحدة حرمت الحكومة استخدام آلة ميكانيكية فى عملية جنى القطن ، وهذه الآلة اخترعت منذ أربع سنين وكانت تغنى بنجاح عن أيدى الزنوج فى عملية الجنى .

ولا يستطيع الباحث الاجتماعى أن يحكم على هذا العلاج الشاذ حكما صحيحا إلا بعد طول الدرس والتمحيص ، فلعمرى اذا كانت الاستفادة من تقدم العلوم والمخترعات أمرا واجبا يقتضيه الرقى البشرى وصالح الملاك ، فإن توفير العمل للأيدى العاملة أمر يستحق النظر أيضا ولا يمكن الإغضاء عنه بحال .

وبعد فاذا تركنا الريف ونظرنا إلى مشكلات العمل فى المدينة وجدنا ما يستحق الدرس فإن هذه المشكلات قد طرأت علينا بعد أن أخذنا فى إنشاء المصانع الآلية الكبيرة بالمدن . وهذه المصانع قد أحدثت انقلابات صناعية واجتماعية فى الأقطار الأوربية ، ورافقت هذه الانقلابات مساوئ يجب أن نتوقى الوقوع فى أمثالها بمصر وأن نكون على الدوام متنبهين لمعالجتها إذا وقعت .

وأول هـذه المشكلات استخدام الأحداث والنساء . فإن أجور هؤلاء تقل كثيرا عن أجور الرجال ، وفى ذلك مايغرى صاحب المصنع باستخدامهم واعتصار قواهم : وضعف الأحداث والنساء يحول دون تشددهم فى المطالبة بزيادة الأجور أو خفض ساعات العمل أو تحسين المصنع أو غير ذلك . وقد عنيت حكومتنا بسن قانون لوقاية النساء من بعض الأعمال المضرة بصحتهن وحماية الأحداث من أخطار العمل فى المصانع . ومثل هذا الروح يحسن أن يسود نظرنا إلى الصناعات الجديدة . فإننا نحب أن تنتشر الصناعات ولكن يجب ألا يكون هذا الانتشار على حساب صحة المرأة أو الصبى . ومن يقرأ تاريخ الصناعة فى أوربا ومقدار الآلام التى قاستها النساء والصبيان فيها يدرك الفائدة العظمى التى تعود على بلادنا من ذلك القانون .

وكذلك مشكلة البنـاء الصحى والوقاية الهندسية . فإن الشكايات قد تعالت من أن الحكومة تفرض مستوى عاليا فى شروط البنـاء من حيث الارتفاع والتهوية والإضاءة وحماية العمال من الآلات وغير ذلك . ولقد قال المعترضون إنه ليس من حق الحكومة أن تطلب فى المصنع مستـوى صحيا أو هندسيـا يزيد على المستـوى الذى تسمح به فى المساكن . فإن العامل الذى يعيش هو وأولاده فى مسكن لم تستوف فيه الشروط الصحية ، يمكن أيضا ان يعمل بضع ساعات — أقصاها ٨ أو ٩ — فى مصنع متوسط البناء من حيث الكمال الصحى أو الهندسى ، بل يزيد هؤلاء على هذا القول احتجاجهم بأنه ليست هنالك فائدة كبيرة تعود على العامل من المصنع الصحى ما دام المسكن غير صحى . وفى هذا القول شىء من الوجاهة . ولكن يقال فى الرد عليه إن المساكن قائمة وقد يصعب تعديلها ، أما المصانع فلا تزال فى طور الإنشاء والبناء وفى مستطاعنا أن نبدأ بها مستوفية الشروط .

ومشكلة أخرى ، هى أن تكدس العمال فى المدن قد زحم بعض أحيائها التى لم تكن مستعدة لاستقبال و إيواء العدد الكبير منهم . ولذلك صار العمال يعيشون فى مساكن سيئة وفى ازدحام ينافى الأخلاق والحياء والصحة . وفى الأقطار الأوربية تقوم المجالس البلدية كما تقوم شركات البناء مع مساعدات مختلفة من الحكومات ببناء منازل للعمال يشترونها بالتقسيط أو يستأجرونها بمبالغ معتدلة . وظننا أن الحكومة تحسن عندما تسمح الحالة المـالية اذا هى فكرت فى مثل هذا العمل وفى جعله قائما على مساعدات معينة لطراز معين من البناء تقوم به شركة مستقلة . وقد عنيت الحكومة فى المـاضى ببناء مساكن للعمال ، ولكنها لم توفق الى ايجاد الطراز الذى يمكن تعميمه .

أما مشكلة الأجور المنخفضة والساعات الطويلة فإنها من المشكلات التى قامت النقابات بحلهـا فى الأقطار الأوربيـة . ولا يزال مشروع قانون النقابات تحت الدرس الى الآن .

ولكن عندما يصبح هذا المشروع قانونا ، سيجد عمالنا فى نقاباتهم الوسيلة الى التفاهم الحسن مع أصحاب المصانع ، ويستطيعون أن يسيروا عندئذ نحو التطور المنشود ، وأن يجتنبوا أمثال الاصطدامات والاضطرابات السابقة التى عاقت تقدمهم فى الماضى .

وقد استحدثت الأقطار المتمدينة أنظمة مختلفة لانقاء التعطل وتوفير العلاج وقت المرض وإعانة من بلغوا سن الشيخوخة . وهذه الأنظمة تحتاج الى تكاليف كبيرة لا قبل لنا بها فى الوقت الحاضر . ولكن مع إنشاء النقابات وتقدمها تستطيع الحكومة أن توجد بطريق التعاون معها بدايات حسنة لمثل هذه الإصلاحات على أساس متواضع من ناحية التكاليف.

فإذا أحسنا النية وصح منا العزم وتضافرنا على الإصلاح فإننا نستطيع أن نرقى بالعامل — فى الريف والمدينة — وأن نعالج المشكلات القائمة عند الأول ، ونتقى المشكلات المنتظرة عند الثانى . ومن الحسن أن نسارع الى الإصلاح حتى لايستشرى فينا الفساد فنعجز عن معالجته .

محمد حافظ رمضان

ليست الشجاعة أن تقول كل ما تعتقد ، وإنما الشجاعة أن تعتقد كل ما تقول .

ارسطاطاليس

المتفائل إنسان يرى ضوءا غير موجود ، والمتشائم أحمق يرى ضوءا ولا يصدقه .

بيرون

افتح عينيك كثيرا قبل الزواج لتحسن اختيار الزوجة ، وأغمضهما قليلا بعد الزواج حتى لا تجرح زوجتك بالشك فيها .

ميترلنك

أكاد أرى وراء كل زواج قام على غير حب ، حبا قام على غير زواج .

بول بورجيه

الأصول العلمية الحديثة

ووجوب تطبيقها على الزراعة

لحضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا

أصبح تطبيق الأصول العلمية فى ميادين الانتاج الاقتصادى أساسا جوهريا لكل نجاح حقيق ، فأساليب الانتاج الزراعى والانتاج الصناعى يجب أن تكون خاضعة فى جملتها وفى تفاصيلها للأصول العلمية الحديثة إذا أردنا أن نجنى من الزراعة والصناعة أعظم الثمرات .

وتطبيق الأصول العلمية على الانتاج الزراعى مسألة حيوية ولا سيما بالنسبة لبلد كمصر يعتمد على الزراعة كمورد أساسى . ومن المسلم به أن مصر استطاعت فى الثلاثين عاما الأخيرة أن تخطو فى ميدان الانتاج الزراعى من هذه الناحية خطوات طيبة ، ولكن لا يزال عليها أن تعمل الكثير فى هذا الباب لكى تغدو قطرا زراعيا من الطراز الأول ، وهو ما تؤهله لها تربتها البديعة وخصبها الوافر وماؤها الغزير وتقاليدها الزراعية العريقة .

فالفلاح المصرى ، مع ما يتمتع به من خبرة ومثابرة وجلد ، لا يزال يتبع نفس الأساليب الزراعية العتيقة التى كان يجرى عليها آباؤنا منذ آلاف السنين ، ولا يزال يستعمل فى فلاحة الأرض وريها وفى جنى المحاصيل وتهيئتها نفس الآلات العتيقة مثل المحراث والساقية والشادوف والنورج والمذراة وغيرها ، وهى أساليب غدت لا تأتلف مع العصر وطبيعة التقدم ومقتضيات الإنتاج الزراعى السليم .

ما حققنا من وجوه الاصلاح :

أجل لقد خطونا الخطوات الأولى فى سبيل التقدم الزراعى ، فأصلحنا طرق الرى والصرف . وأنشئت الجمعية الزراعية الملكية منذ سنة ١٨٩٨ فأدت للبلاد خدمات جليلة سواء بأبحاثها العلمية الزراعية ولاسيما ما كان متعلقا منها بدودة القطن ، أو بتجاربها الزراعية العملية فى إنتاج البذور أو تربية الماشية وتحسين نتاجها وغير ذلك مما لا زالت دائبة على القيام به . وأنشأنا منذ سنة ١٩١٠ مصلحة للزراعة لتعنى بالشئون الزراعية وترقيتها ، وهى التى تحولت منذ سنة ١٩١٣ إلى وزارة للزراعة ، وقامت من ذلك الحين بخدمات قيمة لترقية الانتاج الزراعى

فعملت على إصلاح زراعة القطن محصول مصر الأول، وعلى انتقاء البذور الصالحة وتحسينها، وعلى تجديد الأنواع واستنباطها، وعلى دراسة أمراض القطن ومكافحة الآفات الزراعية والحشرات التى تفتك به، كما أنها قامت فيما يتعلق بالمحاصيل الزراعية الأخرى بجهود مشكورة وإن كانت بطيئة لإصلاح البذور ودرس الأمراض النباتية المختلفة وتحسين وسائل الانتاج وغير ذلك من ضروب الإصلاح المثمر .

واستطعنا من جهة أخرى أن نحرز فى زراعة الفاكهة والخضر والبقول تقدما يذكر فضوعفت المساحات المزروعة من هذه الأصناف ، وبذلت جهود طيبة لدراسة الأنواع وتحسينها وكثرت المشائل الحكومية والأهلية التى تعمل على استنبات هذه الأنواع. ودرست أمراض الفاكهة ونظمت وسائل الوقاية منها بالرش والتبخير وغيرهما، ولقيت زراعة الفاكهة على العموم وخصوصا فى الأعوام الأخيرة تشجيعا مطردا من جميع السلطات المختصة، ورتبت الحماية الجمركية لبعض الأصناف التى تحتاج لمثل هذه الحماية . وبدأنا بتنظيم وسائل تصدير الفاكهة والخضر المصرية إلى الخارج ولقى بعضها كالموالح والطماطم والبطاطس رواجا لا بأس به .

كذلك وفقنا إلى تحسين أساليب الإنتاج فى بعض أصناف الحبوب كالأرز مثلا، فمصر تنتج من الأرز محصولا طيبا وتتبع فى انتاجه وضربه وتبييضه أحدث الوسائل، وللأرز المصرى فى الأسواق الخارجية شهرة ذائعة ، ومصر تجنى من تصديره أرباحا لا يستهان بها .

كل ذلك وفقت مصر إلى تحقيقه فى الثلاثين عاما الأخيرة، ولكن هذه الخطوات تبدو ضئيلة إذا قيست بما يجب على مصر - وهى قطر زراعى يتمتع بكثير من المزايا الجغرافية والطبيعية والإقليمية - أن تقوم به لتحسين الأساليب الزراعية ، ويمكنها من أن تتبوأ مكانتها الصحيحة بين الأمم الزراعية الأخرى التى سبقتها فى الأخذ بالأصول العلمية الحديثة .

الإصلاحات التى بقى علينا أن نحققها :

والحقيقة أن مجال الإصلاح لا يزال عظيما فى جميع نواحى الانتاج الزراعى . فمصر تستطيع فضلا عما تسعى اليه الآن من تعميم الرى والصرف أن تقوم فى هذا الباب بإصلاحات واسعة النطاق .

من ذلك العمل على إزالة تعاريج الترع والمصارف التى عملت فى الماضى كثيرة التعاريج . ومن الحقائق العلمية المعروفة أن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين . والظاهر أن

هذه القاعدة البديهية المعروفة لم تطبق تماما عند إنشاء الترع والمصارف القديمة . وهذه التعاريج تستغرق مساحات كبيرة من الأراضي الخصبة وتعوق سير المياه فيها . والأسباب التي دعت في الماضي إلى عمل هذه التعاريج ، وأهمها تجنب قسمة الأملاك ، يجب ألا يقام لها اليوم وزن أمام المصلحة الكبرى التي تقضي بأن تشق الترع والمصارف وفقا للأصول الهندسية الحديثة ، وهو ما يترتب عليه توفير مساحات كبيرة من الأراضي تقتضيها التعرجات بلا مسوغ و إطلاق المياه بالسرعة اللازمة وخصوصا في المصارف . أما قسمة الأملاك وهو أمر لا مفر منه إذا أردنا أن ننفذ مشاريع الري والصرف الحديثة فلن تعدم الحكومة إيجاد الوسائل الاختيارية أو الجبرية لتلافي الأضرار الناشئة عن هذا التقسيم وعمل التسويات اللازمة بين الملاك بطريق البدل وغيره .

وقد آن الوقت لإصلاح وسائل الري إصلاحا ناجعا والعمل على رفع المياه من الترع بآلات حديثة وتوفير هذا المجهود البشري الهائل الذي ينفق عبثا في استعمال الآلات العتيقة كالساقية والشادوف والبدالة وغيرها ، و إنقاذ الماشية من ذلك المجهود العنيف الذي تبذله في إدارة الساقية والنابوت ، والذي يفقدها لحمها ولبنها .

وهذا الاصلاح يمكن تحقيقه باستعمال آلات الري الميكانيكية الحديثة ، واستعمالها ميسور في الملكيات الكبيرة وهي تستعمل فيها فعلا ولكن بنسبة محدودة .

أما بتوسطو المزارعين وصغارهم فقلما يستعملون هذه الآلات ، وفي وسعهم الاستفادة من استعمالها عن طريق التوسع في التسليف الزراعي أو عن طريق جمعيات التعاون التي تؤلف منهم لهذا الغرض والتي يجب عليها أن تقوم بشراء آلات الري الكافية بحاجة القرية أو القرى المجاورة إذا أمكن وتقرر لري الفدان أجورا تفي بنفقات الإدارة والاستهلاك .

فإذا تعذر تحقيق هذه الغاية عن طريق الجمعيات التعاونية فلتعمل الحكومة على تعميم هذا النظام الذي بدأته في بعض المناطق فأسفر عن نتائج حسنة. ومن السهل عليها أن تحصل ما تنفقه في هذا السبيل من الأجور التي تقررها للري ، ويمكن ضمها الى جانب الضرائب الحكومية دون أن يكلفها ذلك نفقة إضافية أو مجهودا جديدا .

وما يقال بالنسبة للري وآلاته يقال أيضا بالنسبة لباقي العمليات الزراعية من حرث وفلاحة وتقصيب ودراس وتذرية وغيرها فإن الآلات العتيقة التي لا تزال نستعملها من المحراث والقصابية والنورج والمذارة وغيرها تستنفد من الزراع والماشية جهودا شاقة لا تتناسب مع نتائجها الضئيلة .

ولسنا ندرى فى الواقع لماذا لا يستعمل الزارع المصرى فى كل هذه العمليات ما اتجه العلم الحديث من آلات متعددة سهلة الاستعمال قليلة الكلفة تنقذه من تلك الجهود الشاقة التى تحطمه وتحطم ماشيته دون مبرر .

قد يقال وما فائدة الماشية للزارع بعد ذلك . وجوابى على هذا أن الزارع يستطيع أن يستغل ما شيته أحسن استغلال ، فإنها متى استراحت زاد لبنها وتحسن نسلها ونوع لحومها ، وهو سيجنى من تربيتها عندئذ أضعاف ما يجنيه بإرهاقها فى الأعمال الشاقة التى تسخر فيها الآن . ودليلنا على ذلك أن البقر لا يستعمل فى أوربا فى فلاحة الأرض . ومع ذلك فان تربية البقر تأتى فى كثير من البلاد بأرباح وفيرة ، بل هى تعتبر ثروة أساسية فى بعض البلاد الزراعية مثل هولندا والدانيمرك . هذا فضلا عن أهمية السماد الطبيعى وضرورة العمل على إكثاره فى المستقبل . وهذا يستدعى بالطبع الإكثار من تربية الماشية وتحسين أنواعها طبقا للأصول العلمية الحديثة وهو ما تهتم به وزارة الزراعة أكثر اهتمام . وأخيرا فان الفلاح سيحتاج على كل حال إلى استعمال هذه الماشية فى أعمال كثيرة أخرى غير تشغيلها فى النورج والساقية .

ومن جهة أخرى لا يزال أمام وزارة الزراعة مجال واسع للاصلاح والعمل . فقد قامت هذه الوزارة والجمعية الزراعية كما قدمنا بكثير من البحوث القيمة بالنسبة لبذور القطن واختبارها وتجديدها وحماية شجيراته من الآفات والحشرات ، واستنبطت أنواعا كثيرة من القطن الجيد . وألزم الزراع بالنسبة لزراعة القطن واختبار بذوره بكثير من الواجبات التى يقتضيها الانتاج الجيد . ولكن هذه العناية التى بذلت لترقية زراعة القطن ترجع قبل كل شىء الى ضغط المشترين الأجانب . والدليل على ذلك أن الابحاث المشابهة التى قامت بها وزارة الزراعة بالنسبة للحبوب وأصنافها واختيار بذورها لم تترتب عليها الى اليوم نتائج عملية تذكر ، لأن الزارع لا يزال بالنسبة لزراعة الحبوب حرا من كل قيد ، ولا يزال يزرع الأصناف القديمة و يستعمل البذور الرديئة المتعددة ، فهو يزرع من القمح ومن الذرة عشرات الأصناف ، بل كثيرا ما يزرع الفلاح الواحد فى حقله الصغير الذى لا يزيد على الفدان أو الفدانين من القمح أو الذرة مزيجا من الأصناف المختلفة بحيث يتعذر أن نعين مثل هذا المحصول صنفا أو رتبة .

ولكن العلم الحديث يجعل من اختيار البذور الصالحة أهم أساس للإنتاج الزراعى ، ومن الواجب أن تتجه البحوث دائما الى اختيار أفضل أنواع البذور التى تغل أوفر غلة و يمكن فى الوقت نفسه أن تقاوم شجيراتها ظروف الإقليم وجميع الآفات التى تصيبها . واذا كانت وزارة الزراعة قد عنيت بالبحوث الخاصة بالحبوب واختيار بذورها فانه يجب أيضا أن تتخذ ما يجب لإلزام الزراع باختيار البذور الصالحة ، ويمكن الوصول الى هذه النتيجة إما بأن تحتكر وزارة الزراعة بيع التقاوى المختلفة ، و إما بأن تعين فى كل مركز عددا من التجار

الذين يمكن تزويدهم بالكميات اللازمة من أنواع التقاوى المختارة على أن تراقبهم مراقبة فعالة وتحدد لهم أثمان هذه التقاوى بصورة تحول دون رفعها إضرارا بمصالح الزراع وتسمح لصغار الزراع فى نفس الوقت بأن يستبدلوا بمحاصيلهم الكميات اللازمة لهم من هذه التقاوى مع دفع الفرق بين الثمنين .

وعندى أنه يجدر بالحكومة أن تساعد صغار الزراع على استعمال البذور الجيدة الصالحة ولو لمدة من الزمن ، وذلك بأن تتحمل الخزانة العامة فرق الثمن بين البذور التى يستعملونها الآن و بين البذور الصالحة . وما تنفقه الحكومة فى هذا السبيل يعتبر ضئيلا بالنسبة لما تجنيه البلاد والاقتصاد القومى من الفوائد الجليلة . وما لم يتحقق هذا الإلزام فى اختيار البذور بالنسبة لسائر أنواع المحاصيل من الحبوب والخضر والبقول والفاكهة فان الزارع سيبقى على اختيار البذور الرديئة وإنتاج المحاصيل السيئة سواء من حيث الكمية أو النوع .

و إنه ليكفى أن نقارن بين حالة مصر - وهى من أخصب بلاد العالم وأغناها من حيث التربة والإقليم - و بين حالة بلاد زراعية صغيرة مثل دانيمركا وهولنده واستراليا وزيلنده الجديده وجنوب أفريقيا لا تتمتع بكثير مما تتمتع به مصر من المزايا الطبيعية ، لنرى الفرق الهائل بين ما تجنيه هذه الأمم الصغيرة التى تطبق فى إنتاجها أحدث الأساليب العلمية من ثروات طائلة من زراعتها ومنتجاتها الزراعية و بين ما تخسره مصر بسبب تخلفها فى هذا الميدان .

زراعة الفاكهة وتنظيم التصدير :

سبق أن أشرنا الى الجهود التى بذلت للتوسع فى زراعة الفواكه وترقيتها . ونزيد هنا أن هذه الجهود مع ما ترتب عليها من نتائج محمودة لا تزال دون ما نبغى ودون ما يمكن عمله فى هذا الباب .

زراعة الفاكهة يجب أن يراعى فيها الى جانب حاجة الاستهلاك المحلى حاجة الأسواق الخارجية سواء من حيث الصنف أو الكمية . وفى اعتقادى أن مصر تستطيع أن تجنى من تصدير الفاكهة الى الخارج أرباحا طيبة إذا استطاعت أن تنظم زراعتها وتصديرها تنظيما حسنا . ولمصر فى ذلك ميزات ظاهرة يمكن إجمالها فيما يلى :

(أولا) موقعها الجغرافى . فهى تستطيع لقربها من أوربا أن تنافس كثيرا من البلاد البعيدة التى تصدر الفواكه إلى أوربا مثل جنوب أفريقيا وأمريكا وجزائر الهند الغربية .

(ثانيا) لمصر ميزة موسمية ، فالفواكه تنضج فيها فى مواسم معينة قبل أن تنضج فى بلاد أوروبا الجنوبية مثل اسبانيا وإيطاليا واليونان ، وهى التى تنافس مصر فى تموين أوربا بالفاكهة فترة من الزمن .

(ثالثا) التربة المصرية أصلح من غيرها لزراعة بعض أصناف الفاكهة كالموالح ، وهى تنتج منها أنواعا أجود بكثير من الأنواع المماثلة التى تنتجها أوربا الجنوبية ، فالبرتقال المصرى مثلا أجود بكثير من البرتقال الإيطالى والاسبانى .

فهذه الميزات كفيلة بأن تفتح للفاكهة المصرية فى الخارج أسواقا عظيمة ، ولكن من الأسف أننا لم نوفق حتى اليوم الى تنظيم التصدير تنظيما علميا . ونريد أن نفهم عملية التصدير هنا بأوسع معانيها ، فهذا التنظيم يقتضى أولا أن نبدأ بالعمل على زراعة الأصناف المحقق رواجها وأن نزرع منها القدر المناسب من الناحية التجارية ، وأن نبذل كل ما يمكن لإجادة إنتاجها ، كما أنه يقتضى تنظيم كل ما يتعلق بالتصدير منذ تسلم المحاصيل من الحقل الى أن تصل الى أيدى المستوردين فى أوربا . ويشمل ذلك جنى المحصول وفرزه وتعبئته وفقا للأساليب الحديثة ، ثم شحنه فى بواخر تعد لذلك إعدادا حديثا ، وتوزيعه فى الأسواق الخارجية تبعا لحاجتها . فهذه المسائل كلها لا تزال بحاجة الى الدرس والتنظيم والتنسيق . ومن الممكن أن نعمل كثيرا لتحسينها وترقيتها . وأمامنا كثير من البلاد التى سبقتنا فى هذا الميدان مثل الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا واستراليا وزيلنده الجديدة وغيرها من البلاد التى تنتج الفاكهة وتصدرها . ومن الممكن أن نقتبس كثيرا من نظم هذه البلاد فى إنتاج الفاكهة وتصريفها . وقد شرحت بعض هذه النظم فى كتابى "على هامش السياسة" . فمثلا يمكن تنظيم التصدير على أساس تعاونى وأن تنشأ لهذا الغرض جمعيات تعاونية فى مختلف مناطق زراعة الفاكهة كما هو المتبع فى البلاد التى ذكرناها . فاذا لم تنجح هذه الطريقة واعتقادى أنها لن تنجح إلى سنوات عديدة مقبلة فمن الضرورى عندئذ أن تتولى الحكومة هذا الأمر بنفسها .

وما يقال فى تنظيم إنتاج الفاكهة وتصديرها يقال أيضا بالنسبة للخضر . وفى وسع مصر أن تجنى فوائد أكيدة من تصدير بعض الخضر والبقول الموسمية الرائجة فى الأسواق الأوربية ، وهذه الحركة التى لا تزال فى بدايتها يمكن أن تتسع وتنمو نموا عظيما إذا أحسن تنظيمها . كذلك تستطيع مصر ، للأسباب المتقدمة ، أن يكون لها شأن يذكر فى تجارة الأزهار وبخاصة فى تجارة الورد فى فصل الشتاء حينما يصل ثمن الوردة الواحدة شلنين وثلاثة فى انجلترا .

مسألة النقل البحرى :

واذا كانت الحكومة قد اهتمت فى الأعوام الأخيرة بمسألة تنظيم تعبئة وشحن الفاكهة ، فإنه لا يزال عليها أن تعالج موضوعا خطيرا هو حلقة مهمة فى عملية التصدير ، وهو موضوع النقل البحرى وإعداد البواخر اللازمة لنقل الفاكهة والخضر والأزهار .

فقد اهتمت جميع البلاد التى تصدر هذه الأصناف بإعداد بواخر خاصة مهيأة بجميع الوسائل اللازمة لنقل هذه الأصناف دون أن يصيبها التلف من الحر والبرد فى الطريق . ولقد شاهدت سلسلة من الأبحاث العلمية تجرى فى المعهد العلمى الأمبراطورى بانجلترا لمصلحة استراليا وجنوب أفريقيا وزيلانده الجديدة لتقديم درجة الحرارة أو البرودة اللازمة لكل صنف من أصناف الفاكهة والخضر والأزهار . ذلك أنه لوحظ بالتجربة أن درجة الحرارة الواجب توافرها فى عنابر الفاكهة فى البواخر تختلف باختلاف أنواعها ، فدرجة الحرارة أو البرودة اللازمة لحفظ الموز تختلف تماما عن درجتها لحفظ البرتقال . والدرجة اللازمة لحفظ البرتقال تختلف عن الدرجة اللازمة لحفظ التفاح ولهلم جرا . وقد سجلت هذه التجارب التى تعمل فى داخل باخرة بنيت فوق الأرض درجات الحرارة اللازمة لحفظ مختلف أصناف الفواكه والخضر والأزهار . ولوحظت نتائجها عند تجهيز البواخر المعدة لنقل هذه الأصناف ، وكان من نتائجها أن أصبح من الممكن أن يصل الى انجلترا تفاح نيوزيلندى وبرتقال جنوب أفريقيا بعد سياحة تستغرق شهرا أو ستة أسابيع وهى فى حالة جيدة وتبقى كذلك المدة اللازمة لتصريفها واستهلاكها .

وقد آن لنا أن نعنى بمثل هذه الأبحاث الهامة . وأن نسترشد بها فى تنظيم تصدير محاصيلنا ، كما آن لنا أن نعنى بمسألة نقل الحاصلات بجميع أنواعها بالوسائل الحديثة التى تجمع بين السرعة والمحافظة على سلامة الأصناف المنقولة مع اعتدال الأجور .

توزيع الحاصلات :

أما العملية الأخيرة من عمليات التصدير وهى تصريف الحاصلات فى البلاد المستوردة فهى أيضا لم تنظم حتى الآن تنظيما كافيا ، لأن الحكومة سارت على ترك المصدرين المصريين أحرارا يصدرون حاصلاتهم حيث شاءوا وهم قد يحسنون اختيار العميل أو البلد الذى يصدرون اليه أحيانا ، وقد يسيئون هذا الاختيار ، وقد يستطيعون القيام بهذا العمل أو لا يستطيعون . وهم فى الغالب لا يستطيعون التصدير اذا لم يكونوا من كبار المنتجين . على أنهم يضطرون فى معظم الأحيان الى بيع حاصلاتهم للوسطاء والسماسرة سواء فى مصر أو فى الخارج ، وقد يلجأون أحيانا الى وزارة التجارة لتعاونهم ، ولكن المعاونة الوحيدة التى تستطيع وزارة التجارة تقديمها اليهم هى توصية ملحق مصر التجارى فى بلد من البلاد ، فاذا استعصى عليه الأمر تولى هذه الوساطة ممثل مصر السياسى أو القنصلى فى هذا البلد . وقد يرغب الملحق التجارى أو ممثلنا السياسى أو القنصلى كل الرغبة فى بذل معاونته ، ولكن الحقيقة أنه لا يستطيع فى معظم الأحيان تقديم أية معاونة فعالة ، ذلك أن هذا العمل التجارى يقتضى

خبرة ومؤهلات خاصة لا تتوافر فى هؤلاء . ويجب على من يتولى هـذه المهمة الدقيقة أن يكون من المشتغلين بتجارة الصادر فعلا، وأن يكون على إلمـام تام بحالة السوق بالنسبة لجميع الأصناف فى البـلد الذى يعمل فيه ، وأن يكون على استعداد دائم للاتصال شخصيا بالتجار المستوردين ليقف على رغباتهم وينقل اليهم رغبات المصدرين المصريين، كما يجب أن يكون مستعدا للتجول باستمرار فى أنحاء المراكز التجارية فى البلد الذى يشتغل فيه . كل هذه الصفات وهى صفات ضرورية لمن يتولى مثل هذا العمل لا تتوافر فى القنصل أو الملحق التجارى . وقد فهمت جميع البلاد المصدرة هـذه الحقيقة فعملت على اختيار أشخاص تتوافر فيهم هذه الصفات للقيام بهذه المهمة، وهم ليسوا موظفين يتقاضون مرتبا معينا، ولكنهم يتقاضون أجورا نسبية على ما يقومون به من الصفقات . ولجميع البلاد الزراعية التى ذكرنا آنفا عملاء من هذا النوع فى البلاد المستوردة يتقاضون مرتبات نسبية من المصدرين أنفسهم، وهم على اتصال دائم بالمصدر والمستورد ، وهم حلقة الاتصال بينهما . كذلك يقومون أيضا بمهمة إرشاد الحكومة الى وجوه الإصلاح التى يرونها كفيلة بتحسين تجارة الصادر .

الاسواق الداخلية :

واذا كنا قد تكلمنا ببعض الافاضة عن ضرورة تنظيم أسواقنا الخارجية ، فإنه لا بد لنا فى الوقت نفسه من التكلم عن تنظيم الأسواق الداخلية لمحاصيلنا الزراعية . ولن أقول شيئا عن أسواق القطن والحبوب ، فقد درس موضوعها دراسة كافيـة وقامت الهيئات المختصة بكثير من الاصلاحات فى هذا الباب . ولكن لا يسعنى إلا أن أشير فى هذا الى مسألة تخزين الحبوب فى الأسواق أو فى شون البنوك، وهى مسألة تحتاج الى حل سريع . لقد تحدثنا كثيرا عن مسألة صوامع القمح وتقدمنا فى الأبحاث الخاصة بها الى درجة ظن الناس معها أن إنشاء هذه الصوامع أصبح فى حكم المقرر بعد أن تثبت فائدتها وتثبت فى الوقت نفسه مضار الطريقة الحـالية لتخزين الحبوب ، وهى طريقة يترتب عليهـا ضياع كميات كبيرة من الحبوب المختلفة لتعرضها مدة طويلة للطيور والشمس والمطر والسرقات . ولقد رأينا جميعا تلك الحظائر الشاسعة من الأراضى الفضاء التى لا يحميها سوى سياج من السلك والتى يستعملها البنك الزراعى وغيره لتخزين الغلال وجميع أصناف الحبوب الأخرى وتكدس فيها آلاف الأرادب من هذه المحاصيل تترك فى العراء شهورا معرضة لتقلبات الجو وفتك الحشرات المختلفة وغزو الطيور .

أذكر ما قرأته مرة لأحد الباحثين، وهو أن مصر تخسر من تخزين الحبوب بهذه الطريقة ما لا يقل عن ١٢ فى المـائة من وزن هذه المحاصيل . وقرأت أيضا فى ورقة رسمية من

أوراق وزارة التجارة أننا نخسر من طريقة تخزين الحبوب الحالية ما لا يقل عن مليون ونصف من الجنيهات. ولست أعرف طريقة البحث التى اتخذت أساسا لهذا التقدير وما اذا كان قد لوحظ فيه الى جانب الخسارة فى الوزن مقدار الخسارة فى انحطاط النوع . وأقصد بذلك أن القمح الذى أصيب بالتسويس مثلا يخف وزنه ولكن هناك خسارة فرعية أخرى وهى أن مثل هذا القمح ينقص ثمنه لانحطاط نوعه وقلة الاقبال على طلبه . اذ لاريب أن عدد الراغبين فى أكل الخبز المصنوع من الدقيق الممزوج بالسوس قليل .

وإنى لأرجو أن تقوم المصالح المختصة ببعض التجارب الدقيقة فى هذا الشأن لتقدير خسارة مصر الحقيقية من تخزين حبوبها بهذه الطريقة تقديرا علميا يراعى فيه بكل دقة ولمدة طويلة من السنة ما يوجد من الفوارق بين هذه الحبوب والحبوب المماثلة التى تحفظ فى صوامع صغيرة تنشأ لمثل هذه التجارب .

أجل توجد عقبات كبيرة هى التى حالت حتى اليوم دون إنشاء هذه الصوامع ، وهذه العقبات نوعان : فالعقبة الأولى والأساسية هى التى سبق أن أشرنا اليها ،وهى ناشئة من كثرة بذور الحبوب المزروعة وعدم تحديد أنواعها تحديدا دقيقا والاكتفاء منها بأنواع قليلة جيدة. فليس من المعقول أن تنشأ الصوامع ثم تملأ بأصناف مختلفة من القمح فيكون ذلك سببا فى نزول أثمان الأصناف الجيدة منها إلى مرتبة الأصناف الرديئة، كما أنه ليس من المعقول أن ننشئ صوامع لكل نوع من أنواع الحبوب التى تزرع فى مصر الآن . واذاً فلا بد أن نقوم أولا بتنظيم اختيار البذور كما أشرنا ، وان نستطيع إنشاء الصوامع قبل ذلك واذا أنشئت فلن نستفيد منها على النحو المرغوب .

والعقبة الثانية وهى ليست صعبة الحل ، هى مسألة من يقوم بإنشاء هذه الصوامع ومن أين نأتى بالأموال اللازمة لإنشائها . وعندى أنه ليس من عمل الحكومة أن تقوم بإنشائها أو إدارتها بل يجب أن تستعمل الحكومة فى الوقت المناسب نفوذها لإقناع البنوك وكبار التجار بأن يقوموا بهذا العمل فرادى أو جماعات . ولا بأس من أن تبدأ بذلك بعض المصالح الحكومية التى تتولى عملا زراعيا كمصلحة الأملاك الأميرية مثلا أو أن يبدأ به بنك التسليف الزراعى . ولست أشك فى أن التجربة الأولى متى نجحت سوف تنتهى بعد قليل الى أن تكون نموذجا ينسج على منواله فى كل مكان وفى أقرب الأوقات .

نعود بعد ذلك الى مسألة السوق الداخلية للفاكهة والخضر ، ولست أظننى محتاجا الى الإطالة فى هذا الموضوع . ونحن نعرف جميعا أن سوقنا الداخلية لهذه الأصناف ينقصها التنظيم فى جميع مدن القطر، بل ينقصها التنظيم فى العاصمتين الكبيرتين : مصر والاسكندرية ، وهما اللتان تستهلكان مقادير عظيمة من الخضر والفاكهة . ولا تزال هذه السلعة فى حالة

الكبيرة محتكرة فى أيدى أشخاص قلائل يخنقون فى كل شىء إلا فى إنقاص قيمة هذه المنتجات والحصول عليها بأبخس الاثمان . بل لست أبالغ اذا قلت إن منتجى الخضراوات الذين لا يستطيعون تصريف محاصيلهم بالتجزئة وبأنفسهم يضطرون أحيانا الى بيعها بالجملة فى الأسواق بأقل من نفقات نقلها من الحقل إلى المدينة، وقد حدث فعلا أن علمت من أحد منتجى الخضر - وكان يزرع أرضا لا تبعد عن القاهرة أكثر من ثلاثين كيلومترا - أنه كان ، متى نضج صنف من الأصناف ، يرغم على بيعه فى المدينة بثمن لا يوازى نفقات نقله اليها . ذلك أن تجار الخضراوات، وهم عدد قليل، يعرفون جيدا أن مثل هذا المنتج متى أرسل الى السوق صنفا قابلا للتلف بسرعة لا يستطيع تصريفه بنفسه ولا يستطيع من جهة أخرى أن يعود الى استرداده ومحاولة بيعه فى مكان آخر فإنه يضطر غالبا الى قبول أى ثمن يعرض عليه . والواقع أنه لا يربح الآن من زراعة الخضر سوى صغار الفلاحين الذين يحملون محصولهم يوميا على رءوسهم أو على الدواب لتصريفه بأنفسهم فى أزقة القاهرة وحواريها .

وعلى هذا فإن كبار المنتجين ومتوسطيهم وهم بالطبع أقدر من غيرهم على انتاج الأنواع الجيدة والعمل على تحسينها باستمرار، يحرمون من اجتناء مزايا هذه الأصناف ، وذلك بسبب تلك الفوضى التى تسود أسواقنا الداخلية، وبهذا فقدنا تجارة واسعة لها شأن كبير فى جميع البلاد المتمدينة ولا صلاح لهذه الحالة إلا بأمرين :

أولا — إنشاء أسواق داخلية منظمة تكون أشبه ببورصات تباع فيها الفاكهة والخضر بالمزايدة .

ثانيا — تنظيم مسألة الباعة المتجولين فى المدن وتحديد المؤهلات التى يجب أن تتوافر فيهم والقيود التى توضع لهم ونسعى بكل الوسائل الى تقليل عددهم تدريجيا لنخلق من بيع الخضر والفاكهة والألبان وجميع المنتجات الزراعية تجارة ثابتة شريفة يقوم عليها شبابنا المتعلمون ، وبهذا وحده تستطيع الحكومة مراقبة غذاء الشعب صحيا وهى فى الوقت نفسه تفتح ميدانا واسعا لشبابنا المتعلم .

مسألة النقل الداخلى :

بقى علينا أن نتكلم عن مسألة تتصل تمام الاتصال بتنظيم السوق الداخلية وهى مسألة النقل. وهذا موضوع متشعب الأطراف يقتضى الإطالة والتفصيل ، ولكنى أكتفى هنا بالإيجاز . وألاحظ أولا أن كل تقدم زراعى أو صناعى فى بلد من البلاد يتوقف الى حد كبير على إصلاح طرق النقل الداخلى سواء أكانت لنقل المواد التى يحتاج اليها الإنتاج الزراعى مثل البذور

والأسمدة ومواد الحريق أو غيرها ، أم كانت لنقل المحاصيل الزراعية الى مكان تصريفها . ومصاريف النقل تستغرق جزءا كبيرا من نفقات الإنتاج ، وعلى ذلك فهى عامل أساسى فى رواج أو كساد منتجات كثيرة وفقا لارتفاعها أو لانخفاضها .

والكلام فى موضوع إصلاح طرق النقل يقتضى الكلام عن جميع وسائل النقل سواء بالطرق الزراعية أو السكك الحديدية أو الملاحة النهرية . ولو أردنا أن نوفى هذا الموضوع حقه من الشرح والتفصيل لاحتجنا الى بحوث عديدة للتحدث عن كل نوع من هذه الأنواع . ولن أحاول هنا مثل هذا التفصيل . وإنما يكفى أن أقول إن طرقنا لاتزال قليلة . وما أنشئ منها لايزال من الطرق الترابية التى يتعطل السير فيها أياما متى نزلت عليها كميات من المطر ، وهى لاتسمح بالسرعة التى يقتضيها نقل المواد القابلة للتلف . هذا فضلا على أن كثيرا من القرى لايزال منعزلا بعيداً عن هذه الطرق القليلة ولا يمكن الوصول اليه إلا بالدواب .

وبالرغم من ذلك كله فقد فرضت الحكومة من الضرائب المختلفة وسنت من القيود العديدة مايجعل النقل بالوسائل الميكانيكية مستحيلا نظرا لكثرة نفقاته ، وهى تجرى منذ أعوام على سياسة التضييق فى هذا الباب مع أنها لو بحثت الموضوع بحثا دقيقا لتبين لها أن عددا كبيرا من المنتجين الزراعيين اضطر الى الاستغناء عن النقل بالنورى وعاد الى استعمال الدواب وعربات الجر . وهذا أمر يدعو إلى الأسف الشديد ، إذ هو رجوع الى الوراء وإضرار بالاقتصاد القومى ، وفيه خسارة كبرى للبلاد يجب على الحكومة أن تفكر مليا فى تلافيها .

أما بالنسبة للسكك الحديدية فإنه يحسن بها إعادة النظر فى أجور النقل ، كما يجب أن تقوم بإنشاء عربات التبريد بالقدر الكافى الذى يسمح بنقل المنتجات الزراعية القابلة للتلف فى أحسن الظروف الملائمة .

وأما بالنسبة للملاحة النهرية فهى لاتستغل الا فى دائرة ضيقة . ذلك أننا لم نفكر عند إنشاء معظم الترع والجداول إلا فى مسألة الرى فقط ، ولم نفكر فى الاستفادة منها كوسيلة للنقل . وما أنشئ على الكثير منها من منشآت الرى كالكبارى وغيرها يجعلها غير صالحة كوسيلة للنقل . وعندى أنه يجب التفكير منذ الآن فى وضع سياسة جديدة للملاحة النهرية تتبع فى المستقبل ، كما أنه يجب البحث فى الوسائل التى تؤدى الى إصلاح منشآت الرى القديمة بحيث تغدو صالحة للانتفاع بها كوسيلة من وسائل النقل المحلى .

حافظ عفيفى

بعد تحريم الخمر في فرنسا

لحضرة صاحب السعادة علي جمال الدين باشا

يريد الاسلام من المسلمين أن يعبدوا الله بإصلاح أنفسهم وإصلاح أحوالهم. ولذلك جاءت العبادات في الاسلام فرائض اجتماعية تعود على الناس بالخير في حياتهم الخاصة وحياتهم العامة.

واذا تأملنا في حكمة كل فريضة من فرائض الله ألفيناها ترمي الى تحقيق فائدة صحية أو فائدة اجتماعية أو فائدة عمرانية، أريد بها نفع الفرد أو الجماعة أو المجتمع كله. وذلك هو الشأن في الصلاة وفي الصوم وفي الحج وفي الزكاة، وذلك هو الشأن أيضا في تحريم الزنا والربا والفتنة والخمر والميسر وغشيان النساء في المحيض وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك.

والاسلام لا يحرم على المسلمين متعة من متع الدنيا ولا لذة من لذائذها إلا إذا آنس فيها أذى للجسم أو للعقل أو للأسرة أو للنسل أو للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد. وإذا كانت حكمة بعض أحكام الدين الاسلامي قد خفيت على المتقدمين فظنوها عبادات يريدها الله لسبب لا يعرفونه؛ فقد جاءت فيما بعد مقررات علم الصحة ونظريات علم الاجتماع مظهرة لتلك الحكمة، مبينة ما فيها من فوائد، مؤيدة لها، داعية اليها.

ولعمري لست أعرف دينا أعود على الانسانية بالنفع من هذا الدين الذي لا يتوخى غرضا سوى نفع الانسانية؛ ولا أعرف أرحم بالناس من الله الذي لا يريد أن يعبد إلا بما ينفع الناس.

والخمر إحدى الكبائر التي شدد الاسلام في النهي عنها لما عرفه فيها من الإضرار بالعقل والبنية والجهاز العصبي، ولما أدركه من آثارها المسيئة الى الأسرة والنسل والبيئة. ولقد أيدت حكمة الأجيال حكمة الاسلام في هذا التحريم، فرأينا الحكومات والشعوب تأخذ بها وتتعاون على مكافحة الخمر وتعلن عليها حربا لا رحمة فيها ولا هوادة.

فلقد قامت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنين بتحريم صنع الخمر واستيرادها وشربها والاتجار بها في بلادها. وإذا كانت هذه الحركة قد فشلت فإنما يرجع فشلها الى أسباب محلية ونقص في التشريع وقصور في التنفيذ ليس هنا مقام البحث فيها.

وتقوم حكومة فنلندا الآن بحركة دعاية واسعة النطاق ضد الخمر، وقد ظهرت آثار هذه الدعاية في سلسلة تشريعات تحرم على الشبان الذين هم دون الحادية والعشرين ارتياد الحانات وتحرم على أصحاب الحانات تقديم الخمر لمن تبدو على ملامحهم علامات السكر والثمل.

وأعرق من أمريكا وفنلندا وأسبق الى مكافحة الخمر حكومة السويد . فالسويد التي تعيش في عالم من الجليد وفي طقس هو الزمهرير بعينه قد أحاطت الخمر بسياج من الأنظمة والتشريعات هبطت بضررها الى حدوده الدنيا وخففت من وطأتها على صحة السكان.

فالساقي في بلاد السويد (البارمان) موظف من موظفي الدولة يتقاضى منها مرتبه كغيره من الموظفين ، فلا يهمه إن كثر زبائنه أو قلوا ، ولا يهمه إن باعهم من الخمر القليل أو الكثير . وهذا الساقي الموظف مقيد بقوانين تحظر عليه تقديم الخمر لقاصر أو لسكران . والحكومة مساهمة بنصيب في مصانع الخمر، فهي تحول بهذه المساهمة دون غشها ودون صنع الخمور القوية المؤذية للأبدان. والحكومة تحصل على كل كأس ضريبة مقدارها عشرة في المائة تنفقها في الدعاية ضد الخمر . والقاصر ممنوع بحكم القانون من غشيان المشارب والحانات . والخمر هناك لا تستهلك في البيوت بلا قيد ، وإنما هي تصرف ببطاقات يراعى في إعطائها ألا يتجاوز أحد السكان القدر المسموح له به ، شأنهم في ذلك شأننا هنا في مسألة توزيع البترول في هذه الأيام . وإلا فالعقوبة على البائع والشاري سواء .

ولعل من المهم قبل أن أسترسل في هذه الكلمة أن ألفت النظر الى مسألة ذات خطر فأزيل وهما عالقا بأذهان بعض الناس .

يقول البعض إن القليل من الخمر يفيد المعدة ، أو أن كأسا منها قبل الطعام تحرك الشهية ولا تؤذي الجسم .

وكلا القولين باطل يجمل في طياته كثيرا من الزيف والبهتان . فقد دلت التجارب الطبية على أن الجسم متى ألف شيئا تطلب منه المزيد . فالرجل الذي تحرك شهيته كأس من الخمر واحدة سيأتي عليه يوم تألف فيه معدته هذه الكأس فلا تؤثر فيها ، فيطلب ثانية ثم ثالثة . وهذا مشاهد في شاربي الخمر ومتعاطي المخدرات وفي مدخني التبغ . يتلهى الإنسان أول الأمر بشمة من الكوكايين أو بسيجارة ، ثم يعتاد دبه السم فيطلب المزيد ، فتكون شمة أو سيجارة بعد كل طعام ، ثم تكون شمة أو سيجارة كل ساعة ، ثم يكون الإدمان والعياذ بالله .

فالكأس الأولى ستجر حتما إلى الثانية ،وستجر الثانية الى ما بعدها حتى يصبح المتلهي أو طالب الفائدة مدمنا . وهنا يتحقق ضرر الخمر . وهذا بلا شك هو التفسير العلمي للقاعدة الفقهية القائلة بأن ما أسكر كثيره فقليله حرام .

ولا عبرة بمن يتوهم في نفسه قوة الإرادة والقدرة على الوقوف عند حد معين ، فشارب الخمر بشر ، ضعيف ككل البشر ، ومن خواص الخمر أنها تزيد إرادته ضعفا .

قرأنا فى أنباء أوروبا أن الحكومة الفرنساوية أصدرت أخيرا قانونا تعتبره الخطوة الأولى فى طريق تحريم الخمر فى فرنسا .

وهذا القانون يقضى بتخفيض نسبة الكحول فى المشروبات الروحية الى ١٥ ٪ .

ولا شك أن تخفيض نسبة الكحول فى المشروبات الى هذا الحد بعد أن كانت تبلغ الأربعين والخمسين والستين وتصل إلى الخمسة والسبعين فى بعض الخمور ، لاشك أن هذا التخفيض يخرج المشروبات الروحية من طبيعتها ويلطف من حدتها ويخفف من قوتها ويجعلها أقل أذى للعقل وأقل إضرارا بالجسم . ولا شك أيضا فى أن كلا من المدمن الذى يستطيب الخمر القوية والشريب الذى اعتاد شرابا ذا نسبة معينة من الكحول ، لن يجد بغيته ولا هوايته فى هذه الخمر المخففة ، فإما أن يكرع منها كميات لا تحملها معدته بنفقات لا تحملها جيبه ، وأما أن يهجرها بعد ما يتيقن أنها لا تأتى بالنتيجة المرجوة وهى الثمل . وهذا هو المراد .

ولقد قضى هذا القانون أيضا بتحريم صنع الخمور وبيعها وشربها فى مراكش . وهذا دليل ثان على أن نية الحاكمين فى فرنسا تتجه شطر التحريم العام . فهم يعلمون أن مراكش بلد ينهى دينه عن شرب الخمر ، وتتأذى تقاليده الإسلامية منها ، ولا تسمح آدابه بها ، ولا يساعد جوه على إدمانها ، فحرموها فيها تحريما باتا ، عالمين أن هذا التحريم لن يصادف معارضة من أحد .

ولكن الذى يدعو الى التأمل والإعجاب معا هو هذا الانقلاب المفاجئ فى تفكير حكام فرنسا . فالفرنساويون هم ذلك الشعب الذاهب فى تمتيع النفس وتنعيمها كل مذهب ، وفرنسا هى حمارة الدنيا وساقيتها ، ومنتجة أكرم الأنبذة وأرق الخمور . فرنسا هذه تتطور كل هذا التطور الجرىء ، وتخطو تلك الخطوة الواسعة فى طريق مسخ الخمر تمهيدا لتحريمها . حقا إن هذا لجدير بالإكبار والإعجاب .

نعم إن هذا المسخ تدرج نحو التحريم رأى الحاكمون أن لابد منه لشعب أصبحت الخمر بعض غذائه وضرورة من أمس ضروراته ، لا بحكم العادة والتقاليد وحدهما بل بحكم الحاجة فى بلاد جوها بارد يحتاج فيه الناس إلى الدفء وتنشيط الدورة الدموية بالخمور .

وقديما سلك الإسلام الى التحريم مسلك التدرج ، فلم يفاجئهم به ، بل مهد له شيئا فشيئا إلى أن صار التحريم صريحا .

ولقد مهد المارشال بيتان لهذا التدرج بتصريحاته التى أذاعها عقب هزيمة جيوش فرنسا أمام الألمان ، والتى أشار فيها إلى ما فعل الفصف والترف بأبناء وطنه وما أضعفا من عزائمهم وما قتلا من روح الجد والحمية فيهم .

رأى المسئولون عن سياسة فرنسا وعن حالتها الاجتماعية وعن إنشاء جيل جديد يرد اليها مجدها الزائل ويداوى عزتها الجريحة ، ان الخمر قد أحدثت رخاوة فى الأجسام ، واذا ماضعفت الأجسام ضعفت الهمم والأرواح ، وقد بدا أثر هذا الضعف فى رجال الجيش المحارب وفى عمل العمال بالمصانع والمزارع ، وفى كل دوائر الإنتاج والإنشاء . فالآن يريد زعماء فرنسا أن ينشئوا أجساما قوية وعقولا سليمة لينشئوا وطنا قويا وذرية سليمة . ولقد أدركوا أن لاسبيل إلى ذلك مادامت الخمر تهد القوى وتحطم الأبدان فبدأوا فى تحريمها .

فاذا كانت فرنسا وحالها كما وصفنا ، ودينها لايحرم الخمر ، وبردها من القسوة بحيث يلتمس الإنسان الدفء بواسطة الخمر ، وشرب الخمر فيها أمر عادى لاعيب فيه ولاملاحظة عليه ، اذا كانت فرنسا هذه قد بدأت تعمل على مكافحة الخمر وتحريمها ، فما سكوتنا نحن المصريين عن مثل هذا التحريم فى بلادنا ، ودیننا ينهى عنها أشد النهى ويعدها رجسا من عمل الشيطان يجب اجتنابه ، وحرارة الطقس عندنا تقتضى حماية الأجسام والدم من المهيجات ؟

ان الخمر لم تتفش فى مصر والحمد لله تفشيا يعتد مهمة المصلح والمشرع . فالريف أغلبه لايعرف الخمر ، وتقاليدنا وآدابنا لاتزال تعتبر الخمر نقيصة ، وعرفنا السائد يعدها عيبا من أقبح العيوب وأدعاها الى نقص اعتبار الانسان .

صحيح إن كثيرين من المصريين يشربون الخمر ، ولكن قليلهم الذين يجهرون بتعاطيها لأنهم مازالوا يعدونها معصية ، وقليل هم الذين يرضون أن يوصموا بهذه الرذيلة ، وان كانوا يقارفونها ، استحياء من الناس ولأنهم يؤمنون بأنها رذيلة ، ولا يزال من الصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة التى يزكى بها الشاب عند أهل خطيبته أنه لا يشرب الخمر . وشارب الخمر فى بيئاتنا الدينية وكثير من بيئاتنا الريفية فاسق ملعون لا يستحق الاحترام .

فاعتبار الخمر رذيلة شائنة ومعصية فاضحة ، والاستحياء منها والاستخفاء عند شربها ، كل هذا دليل على أنه لن يقوم فى مصر رأى عام يعارض التحريم أو ينتقد التشريعات التى تقضى به .

وعدم المعارضة من ناحية الرأى العام أمر يسهل مهمة الهيئات التشريعية والتنفيذية ، ويذلل كثيرا من الصعاب التى يواجهها التحريم فى بلاد أخرى كأمريكا وفنلندا والسويد ، التى لها من تقاليدها وآدابها وعاداتها ما يسمح بالمعارضة بل بالمقاومة .

لقد صحت الحكومة الفرنساوية بمزاج عشرات الملايين من شاربى الخمر فى بلادها ، ولم تبأ بما أثير من اعتراضات اقتصادية واجتماعية ، ولم تحسب حساب رءوس الأموال

الضخمة المستترة وراء شركات الخمر ومصانعها ، ولا حساب الخسائر الفادحة التى تصيب صادراتها من القضاء على هذا الجزء الهام من إنتاجها ، ولا حساب مئات الألوف من الأيدى العاملة فى تلك المصانع ، ولا حساب الأثر السيىء الذى يحدثه منع الخمور فى مواسم السياحة وما تدره هـذه المواسم من الأموال الأجنبية على تلك البلاد ، ولم تهيب ما قد يعترض سبيل المنع والتحريم من نشاط عصابات التقطير فى الخفية وعصابات المهربين ، ولا الملايين التى سترصدها على المراقبة ومقاومة التهريب .

نعم ، لم تلق حكومة فرنسا بالا إلى شيء من هذا ، لأنها رأت أن إنهاض أمة من كبوتها وخلق جيل جديد يعيد الى هذه الأمة مجدها وعظمتها ، أعود بالنفع وأولى بالتقديم على ما سواه من الاعتبارات .

فأى الأمتين أولى بهذا التحريم وأجدر به ؟ فرنسا التى لا تجد من دينها ولا من طقسها ولا من تقاليدها ولا من عاداتها ما تعتمد عليه فى التحريم ؟ أم مصر المسلمة ، مصر حصن الاسلام ، الحارة الطقس ، الخشنة الأبدان ، المقيدة بقديم عاداتها وموروث تقاليدها ، مصر التى لا يعرف معظم سكانها الخمر ولم يذوقوها ، ولا يستفيد أبناؤها من صناعتها ولا من تجارتها شيئا مذكورا ؟

اللهم إن التحريم فى مصر ليس ممكنا وحسب ، بل هو واجب دينى اجتماعى صحى لابد من المبادرة اليه فى غير تدرج ولا إبطاء . وما دامت فرنسا قد لاحظت الفوارق الدينيـة والأخلاقية والاجتماعية والجغرافية بينها وبين مراكش ، فجعلته عندها تدريجيا ، وفى مراكش عاجلا ونهائيـا ، فهى قد دلتنا الى الطريق ورسمت لنا كيفية السير فيه . ويجب أن يكون الأمر هنا كما هو فى مراكش إذ أن الأوضاع والصور واحدة فى البلدين .

لا خوف على مصر من أن تنتهى حركة التحريم فيها الى مثل ما انتهت اليه فى أمريكا . فلقد كان هناك حزب كبير تعصب للخمر فانتصر . وليس فى مصر مثل هذا الحزب . وكانت هناك رؤوس أموال عظيمة تشتغل فى صناعة الخمر والاتجار به وقد تعطلت ، وليس فى مصر رؤوس أموال تشتغل فى هـذا السبيل . وكانت هناك رءوس أموال أخرى تساعد أعمال التقطير فى الخفاء وتتولى توزيع انتاجه فى البلاد وليس فى مصر شبيه لذلك . وكانت هناك عصابات قوية للتهريب لها سفنها وسياراتها وأسلحتها وسفراؤها وبوليسها ، وليس فى مصر مثل هذه العصابات . وكان من وراء كل هذه القوى رأى عام شديد ينظر الى قانون التحريم بعين ساخطة ويستقبل نجاح المهربين بنفس راضية ، فلا عجب — وقد انعدم التعاون بين الشعب والحكومة — أن تفشل الحركة وتعجز السلطات عن المضى فى طريق التحريم الى النهاية بالنجاح المقصود .

إننى أرى من مكانى هنا شفاها تعلوها ابتسامة خفيفة ، وأرى أكتافا ترتفع وترتبط بالشك ، وأسمع أفواها تتمتم قائلة : سيكون حظ هذه الحركة من النجاح كحظ حركة منع المواد المخدرة .

ولكن على رسلكم أيها الباسمون والمتشككون . فالمواد المخدرة صغيرة الحجم خفيفة الوزن يمكن إخفاؤها فى أضيق حيز ، ويتيسر حملها فى أصغر مركبة ، ويسهل توزيعها فى كل وقت وفى كل مكان . أما براميل الخمر وصناديقها وزجاجاتها فليست بالشىء الذى يحمل فى الجيوب ولا بالذى يخبأ فى نعال الأحذية وعلب الحلوى وقطع الصابون . وعصابات المهربين عندنا مؤلفة من حثالات الجاليات الأجنبية ، ومن ثم فهى عصابات هزيلة ضعيفة لا تتمتع بشىء من قوى الدفاع والهجوم ، وطرد أفرادها من مصر أمر ميسور لن تقوم فى سبيله عقبات ولا عراقيل . والمصريون الذين يعملون تحت إمرة هذه العصابات صعاليك قلائل يدفعهم الفقر أو حب الربح العاجل الى الاشتراك فى خدمة المهربين . فمتى كانت القوانين صارمة والعقوبات رادعة والرقابة يقظة عاملة ، أمكن استئصال شأفتهم والقضاء على نشاطهم .

نعم إن بعض الطبقات فى مصر ستتألم من تحريم الخمر ، وربما أدى هذا الحرمان الى مقاومة سلبية تبتدئ بمقالات تنشرها الصحف باسم الحرص على مصالح تجارية أو صناعية أو اقتصادية . ولكن الحياء العام لن يسمح لهذه الطبقات بالجهر بامتعاضها وتململها ، ولن يطول الزمن حتى يتعود الناس الحالة الجديدة فلا يبقى تذمر ولا يبقى اعتراض .

لمعترض أن يقول : كيف تحرمون الخمر فى مصر وهؤلاء آلاف من السائحين يفدون الى مصر كل عام وينفقون فيها أموالا كثيرة وليس لهؤلاء السائحين عن الخمر غنى ؟ أتريدون أن تزهدوهم فى مصر فتفسدوا على البلاد موردا من موارد رزقها وتضيعوا عليها هذا المال الوفير ؟

وجوابى على هذا الاعتراض أتوجه به الى كل عاقل يريد الخير لهذا الوطن العزيز .

أخسارة بضعة آلاف من الجنيهات كل سنة ينفق السواحون معظمها فى فنادق أجنبية وحانات ومراقص أجنبية ولا يستفيد منها التاجر والزارع المصرى ودور الآثار الا النزر اليسير ، أم خسارتنا فى الدين والأخلاق والأجسام والعقول والأسر والأنسال ؟

ومع ذلك فلكل قاعدة استثناء . وفى استطاعة المشرع أن يتحال من بعض قيود المنع فيرخص للفنادق التى يقصد اليها السائحون بتقديم الخمر اليهم فى حدود يعينها القانون بحيث لا يمكن أن يتسرب منها شىء الى خارج تلك الفنادق . على أن تفرض على مقادير الخمر التى تباع للأجانب ضرائب ترفع أثمانها وتجعلها فى متناول قلة لا يؤبه لها . ولنا فى الضرائب المفروضة على الخمر فى انجلترا أسوة نقتدى بها . وبذلك نحقق الغايتين . أما اذا وقفنا بين

الأمرين وأضطررنا للاختيار بين تضحيتين ، فخير لنا ان نحفظ ديننا وصحتنا وذريتنا وكياننا القومى من أن نوفر لنزلائنا وضيوفنا شيئا من الترف لا يضيرنا ولا يضيرهم اذا تركناه وتركوه .

تحريم الخمر فى مصر مسألة أصبح من الواجب تقديمها على كل المسائل . ونحن نهيب بحكومتنا الرشيدة أن تبادر الى هذا الاجراء الحازم المفيد . ونهيب بالأزهر الشريف أن يقف فى طليعة المطالبين بإصدار تشريع بمنع الخمر فى مصر ، ونهيب بجمعيات الشبان المسلمين والشبان المسيحيين وكل الجمعيات التى تعمل للخير العام فى هذا البلد أن تؤيد هذا المطلب العادل . فما ينبغى لمصر — وهى قدوة الشرق ومثاله المحتذى — أن تنتظر القدوة من بلد آخر ، وما ينبغى لزعيمة الاسلام أن تقيم على رذيلة تجرح كبد الاسلام .

واذا كان الحرمان من بعض اللذات أليما فى أول الأمر فان العاقبة محمودة فى آخره . وسيكون لهذا الجيل ان حزم وأقدم وحرم ، فضل على الأجيال القادمة ، وسيحمد لنا أبناؤنا وأحفادنا على الدهر هذا المنع الجميل .

على جمال الدين

تعزية غريبة

كان للوزير أبى القاسم ولدان ، مات الصالح منهما وبقى الثانى وكان صغيرا لا يفيق . فكتب اليه على بن محمد البسامى يعزيه :

قل لأبى القاسم المُزَجَّى ... قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابن وكان زيناً ... وعاش ذو النقص والمعائب
حياة هذا كموت ذاك ... فلست تنجو من المصائب

وكأنه لم يكتف بهذا القدر فكتب اليه مرة أخرى :

قل لوزير الأنام عنى ... وناد يا ذا المصيبتين
يموت خلف الندى ويحيا ... خلف المخازى أبو الحسين
حياة هذا كموت ذاك ... فالطم على الرأس باليدين

الإصلاح الاجتماعى

والحالة الاقتصادية

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ سابا حبشى بك المحامى

وزير التجارة والصناعة سابقا

عند ما ألف حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وزارته فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٩ انشئت وزارة الشؤون الاجتماعية بنفس المرسوم الملكى الذى صدر باعتماد تشكيلها .

وقد سجل ذلك المرسوم لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث أن الإصلاح الاجتماعى من أعمال الدولة ، وأن أحوال الفلاح والعامل مما يجب أن تعنى به .

على أن هذا الإصلاح لايقع على عاتق الدولة وحدها ، وإنما هو فرض على المجتمع المصرى كافة . فهو واجب على المواطنين الأقوياء نحو إخوتهم الضعفاء ، وعلى الأغنياء نحو الفقراء ، وعلى المتعلمين نحو الجهلاء .

واذا أردنا أن نلخص برنامج الاصلاح الاجتماعى فى كلمة جامعة قلنا إن محصله الكفاح ضد مثلث الويلات المكون من الفقر والمرض والجهل .

واذا شئنا أن نضع تلخيصا للتلخيص أمكن أن تندمج أضلاع المثلث جميعا فى كلمة واحدة وهى محاربة الفقر .

ذلك لأن الجهل والمرض فى أغلب الأحوال من نتائج الفقر ، ولأن ضيق ذات اليد من مستلزمات الفقر الخلقى والعقلى والجسمى .

وقد روى عن أمير المؤمنين على بن ابى طالب أنه قال " لو كان الفقر رجلا لقتلته " .

وقال الرئيس هوفر الذى قام بتدبير إسعاف أوربا فى المجاعة التى كانت تتهددها عقب الحرب العظمى الماضية " إن القضاء على الفقر كان ولا يزال من قديم الزمان أسمى وأعز الامانى الإنسانية " .

ويبنى على هذا أنه مهما تعددت أوجه المسائل الاجتماعية عندنا فانه يمكن ردّها الى المشكلة الاقتصادية التى تعانيها بلادنا العزيزة .

فالفقر موجود بين ظهرانينا فى صور شتى بعضها بالغ أقصى حدود البؤس وأقساها ، فلا سبيل الى إنكاره أو محاولة تجاهله . وقد سجلت إحدى خطب العرش منذ سنين أن مستوى المعيشة الحالى فى مصر دون المستوى الذى اصطلحت الإنسانية على تحقيقه للفرد والجماعة .

واذا نظرنا الى حالة الريف المصرى نجد أن نصيب الفرد من السكان فى الأراضى المزروعة قد هبط من واحد وعشرين قيراطا من فدان فى سنة ١٨٩٧ الى عشرة قراريط فى سنة ١٩٣٧

على أن أكثر من نصف هذه الثروة فى يد عدد من الملاك لا يتجاوز ١٥٧٠٠٠ أما باقى الزراع فلا يملكون شيئا من الأرض التى يفلحونها أو لا يملكون إلا مساحات صغيرة .

كما أننا نجد أن نصيب كل فرد من سكان البلاد فى الدخل القومى لا يزيد عن عشرة جنيهات فى العام مع السخاء فى التقدير، بينما تدل الإحصاءات الأخيرة على أن نصيب الفرد فى استهلاك المواد الغذائية الأساسية كالقمح والذرة آخذ فى النقصان بنسب كبيرة . ولعل هذا يفسر لنا انتشار مرض البلاجرا وغيره من الأمراض الناشئة عن قلة التغذية والتى تضعف حيوية الشعب المصرى وقدرته على العمل والانتاج .

ولا يجدى نفعا أن نخادع أنفسنا عن سوء الحال الظاهر بالتحدث عن خصب تربة أرض مصر، إذ أن كثافة السكان تجعل ما يخص الفرد فى ثروة البلاد ضئيلا. وقد بلغ متوسط عدد السكان للكيلو متر المربع فى مديرية المنوفية ٦٨٦ نسمة .

فلم يعد إذن حضرة صاحب الدولة إسماعيل صدقى باشا الصواب عند ما وصف هذه الحالة الاقتصادية بأنها فقر مستور بلفائف من حرير .

ثم اذا انتقلنا من الريف الى المدن وجدنا أن حال الصانع لا تفضل حال الفلاح كثيرا .

ولعل أبلغ وصف يصور تصويرا واقعيا حالة الأحياء الفقيرة التى تكتظ بها الطبقة العاملة فى المدن ما ذكره حضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا فى كتابه " على هامش السياسة" عن بعض مواضع فى مدينة القاهرة حيث يقول :

"لا أظن أن هناك ركنا من أركان العاصمة المجهولة لم تطأه قدماى، ولذلك رأيت ما لم يره غيرى . رأيت عجبا : الأزقة التى لا تتسع لأكثر من شخص واحد يسير فيها . دخلت بيوتا تنبعث منها الروائح الكريهة المهلكة وتعلو جدرانها الرطوبة صيفا وشتاء . لا شمس ولا هواء ولا نور ينفذ اليها، تسكن الحجرة الواحدة أسرة مكونة من الأب والأبن والأولاد . ويعيش

معهم أحيانا بعض الحيوانات والطيور المنزلية. ولست أبالغ فى هذا الوصف فليس من الصعب على كل من يريد التأكد أن يذهب الى عرب اليسار أو عشش الترجمان" .

لنا أن نتساءل: هل عولجت مشكلة الفقر فى مصر؟ وكيف عولجت؟ وهل كان للحالة الاقتصادية نصيب من تفكير الحكومة الشامل ؟ .

إننى أشاطر الرأى القائل بأن محاربتنا للفقر لم تتجه بعد الى هدف معين، كما أننا لم نضع بعد الخطط الاقتصادية التى توصلنا الى ما نريده لبلادنا العزيزة . فقد عنينا ببعض الأعراض الظاهرة للفقر فأنشأنا المستشفيات للمرضى ، وأنفقنا مالا كثيرا على التعليم الإلزامى ، ولكننا لم نواجه بعد مشكلة الفقر فى جوهرها ، مع أن الفقر — كما قال حضرة صاحب السعادة عبد الرحمن بك عزام وزير الشؤون الاجتماعية السابق — مصدر كل المصائب والشرور . ولم نفكر بعد فى برنامج شامل للإصلاح الاقتصادى يزيد موارد الفرد ويؤدى الى رفاهية المجموع .

هل يريد القراء مثلا من أثر هذه السياسة القصيرة النظر التى تأخذ المسائل مجزأة وتتجاهل حقيقة وضعها وصلاتها ببقية أطراف موضوعها .

إننى أقتبس هذا المثال مما كتبه الأستاذ محمد عوض محمد بالجامعة المصرية فى كتاب "سكان هذا الكوكب" حيث يقول فى الفصل الذى خصصه لمشكلة السكان فى مصر :

" هناك الفريق الثانى من المصريين المثقفين المضطرين بحكم وظيفتهم الى الاتصال بأهل الريف من أطباء يعملون فى المستشفيات . فكثير منهم قد شاهد بعينيه منظر الفاقة البشعة يطالعه فى كل نهار وفى كل ساعة من النهار، ورأى بنفسه المهزلة الأليمة التى يراد بها علاج قوم مرضهم الحقيقى هو الفقر المدقع، ورأى كيف يطلب منه أن يشترك فى تلك المهزلة بأن يصرف الأدوية والعقاقير لمن يجب أن يكون علاجهم الأول هو الطعام والشراب والمسكن الطاهر" .

إن علاج المسائل على هذا الوجه يذكرنا بالنكاهة المشهورة عن أهل بلد ضاقت بهم سبل العيش وعضهم الجوع فذهبوا الى حاكم إقليمهم يشكون اليه أنهم لا يجدون الخبز فكان جوابه لهم : اذن كلوا بقلاوة .

ذكرت أننا لم نوفق بعد إلى إعداد خطة شاملة نواجه بها مشكلتنا الاقتصادية ونخفف من ويلات الفقر الذى تخيم سحبه الكثيفة على الطبقة العاملة فى بلادنا .

ولعله كان لنا فى الماضى بعض العذر فى هـذا التقصير حيث لم تكن الأداة الحكومية التى تتولى علاج شؤوننا الاجتماعية قد وجدت بعد .

أما وقد أنشئت الوزارة التى نيط بها الإشراف على الإصلاح الاجتماعى فان لنا أن نتطلع فى المستقبل القريب الى إنارة وجلاء المقاصد والوسائل ووضع الأمور فى موضعها لتمضى فى سبيل الرقى والفلاح قدما .

ويسرنى أن أقول إن جماعة الخدمة الاجتماعية الذين يعملون عملا مجيدا صامتا لبلادهم بمعالجه أكبر المشكلات التى تهدد كياننا ، عملا أساسه حب الخير والتضحية وانكار الذات قد خطوا خطوة تمهيدية موفقة فى هذا السبيل .

فلأول مرة فى مصر عمل تحت إشرافهم تحقيق علمى دقيق عن الفقر ومداه وأسبابه ونتائجه بدراسة أحوال ألف عائلة من العائلات الفقيرة .

كما يسرنى أن أذكر أن تجارب عظيمة النفع والأثر تجرى الآن فى طرق إصلاح القرية حيث أنشأت هذه الجماعة نفسها مركزين للخدمة الاجتماعية ببلدتى شطانوف والمنايل.

وقد ساعد على تحقيق هذه الفكرة الجليلة التى جربت فى الهند فى ترافانكور وأتت بأحسن الثمرات أنه قد أصبح لدينا عدد ممن تخصصوا فى دراسة وسائل الخدمة الاجتماعية فى المدرسة التى أنشئت لهذا الغرض منذ بضع سنوات .

واذا كان لنا أن نستبق النتيجة النهائية لهـذه البحوث والتجارب وأن نحدد الأغراض والغايات التى ينبغى أن نسعى لها والتى يجب أن توجهنا الى تحقيق ما نريده للفلاح والعامل ، فإن خير علاج لسوء الحالة الاقتصادية فى بلادنا هو زيادة الإنتاج الزراعى والصناعى وإحسان استثمار موارد بلادنا لكى نزيد نصيب الفرد من الدخل القومى .

ولست أجد فى التعبير عن أهمية المساعى التى تبذل فى هـذا السبيل أبلغ من القول المأثور " إن من استطاع أن ينتج نباتين من العشب أو سنبلتين من الحنطة حيث لم يكن ينبت إلا نبات واحد أو سنبلة واحدة من قبل قد استحق تقدير الإنسانية أكثر من زمط رجال السياسة أجمعين " .

والمجال فسيح أمام الرجال الأشداء أصحاب العزائم القوية للابتكار والتجديد فى ميدان النشاط الاقتصادى .

ولهم فى هذا أداة فعالة هى البحث العلمى الذى يؤدى الى كشف موارد جديدة هى الآن فى حكم العدم أو أساليب جديدة أوفر إنتاجا من الأساليب الحالية لاستغلال موارد الثروة المعروفة .

فبالرغم من أن القطر المصرى عتيق فى الزراعة التى يتقنها الفلاح إتقانا عظيما عن آبائه وأجداده منذ آلاف السنين ، لا يزال مجال التقدم فيها متسعا حيث أوجد البحث الحديث نوعا جديدا من الزراعة لا يعرفه فى مصر إلا الخاصة تطلق عليه تسمية "الزراعة العلمية".

أما فى الصناعة فإننا لا نزال فى أول الطريق ولم نؤت من العلم بخامات بلادنا ومواردها الصناعية حتى الآن إلا قليلا .

وفى مصر أيد وقوى عاملة كثيرة تشكو البطالة ، ولدى الطبقات العاملة فى الحقل والمصنع أوقات فراغ طويلة تضيع سدًى ، لأن البلاد تحتاج الى المديرين والقادة الذين تنتظم بتفكيرهم وتدبيرهم هذه الجهود وتوجه توجيها منتجا يعود على أصحابها وعلى البلاد كافة بالخير والرواج .

منذ بضع سنوات زار المستر بتلر وكيل مكتب العمل الدولى هذه البلاد بدعوة من الحكومة المصرية لدراسة أحوال العمل والعمال فيها فلاحظ أن هناك نوعا من أنواع البطالة المستترة هو قلة العمل الذى لا يكلف صاحبه إلا مجهود بضع ساعات من النهار أو بضعة أشهر من فصول السنة تتخللها أوقات فراغ و بطالة . فعلينا أن نرشد هؤلاء وأن نعودهم الاعتماد على الذات فى زيادة مواردهم بممارسة صناعات صغيرة مساعدة يضيفونها الى عملهم الأصلى .

إن على الأغنياء والمفكرين والقادة لبلادهم حقا هو أن يجعلوا ما آتاهم الله من ثروة وتفكير موظفا فى خدمة مواطنيهم لا يضيعونه بالأنانية أو الإهمال ، بل يزكونه باستغلاله استغلالا صالحا فينفعون و ينتفعون .

سابا حبشى

كتب الحطيئة الى صديق وعَدَه كثيرا وأخلف كثيرا أبياتا منها :

ووعدتنى فظننت أنك صادق ... وجعلتُ من طمع أجىء وأذهب

فإذا وُجدتُ أنا وأنت بمجلس ... قالوا : مُسَيلمة وهذا أشعب

انهاض الصناعات

وأثره فى حياتنا الاجتماعية

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ ابراهيم عبد الهادى بك

وزير التجارة والصناعة السابق

الحياة العادية ترتب نفسها وتنظم طرائقها وتهيئ أسبابها. فهذا بلد توافرت لديه المعادن ومواد الوقود، فتوافرت له بذلك أسباب الصناعة، فانصرف همه الى الإنتاج الصناعى، واستغنى أبناؤه بأجر الصناعة وربحها الوفير عن الاشتغال باستنبات الأرض على أن يشتروا غذاءهم من بلاد أخرى آثرتها الطبيعة بجودة المناخ وخصب التربة فانقطعت للزراعة. وهكذا جرى الاختصاص على أساس توزيع الهبات الطبيعية بين الأقطار المختلفة، فأعدت كل بلاد نفسها للنظم التجارية والمالية التى تناسب تسيير حاصلاتها وتيسير رواجها وحسن تداولها، وعرف كل قطر من الأقطار عملاءه فى نواحى المعمورة، ونشطت حركة النقل خصوصا بالبحر لأداء رسالة الاقتصاد والتداول بين جميع البلدان.

وفى ظلال السلم نمت فكرة التخصص فى الانتاج، وفى كنفه سهلت المواصلات الى حد ربط أطراف المعمورة المتباعدة رباطا يشبه رباط الجوار فلم يبق بلد يخشى المجاعة لأن ما يحتاج اليه من غذاء أو صناعة تبعد عنه منابته أو مصادره.

ولكن دوام السلم على ما فيه من خير أمر تأباه طبيعة تنازع البقاء، والحرب على ما تحمل من آلام وويلات تضم فى طياتها نذرا وعبرا لمن أحسن فهمها ووفق للانتفاع بها، ولم تعد الحرب قاصرة على قراع بين جيوش صفت للقتال وأعدت للنزال، ولكنها صارت فوق ذلك ضغط أمم وشعوب على أمم وشعوب، كل فريق يعمل على إزهاق قوى الإنتاج فى الفريق الآخر ليضعفها أو يأتى عليها إن استطاع، ثم ليسد المنافذ على ما ينتجه هذا الآخر حتى لا يجد من يبيعه فلا يجد ما يشترى به، ثم يقطع عنه طريق الورود فلا يستطيع أن يستكمل ضرورياته من منتجات بلاد أخرى اعتاد الاعتماد عليها. هذه هى الحرب الحديثة: فتك بقوى الجيوش وفتك بقوى الإنتاج فى وقت واحد.

ولقد جاءتنا الحرب السابقة بهذه النذر ولم تكن المواصلات العالمية قد تعرضت لما تعرضت له فى الحرب الحالية من تعطيل بفعل سلاح الطيران ، فأحسنت مصر الاستماع والاصغاء، وانتبهت للعمل على ستحاجاتها بإقامة الصناعات ، وثابرت بعد انتهاء الحرب الماضية على تنمية هذه الصناعات وترقيتها. ولا شك أن جهود بنك مصر فى هذا السبيل قد أتت بخير كبير، وأصبحنا ومصر فى هذه الحرب تجد أغلب لباسها مصنوعا داخل حدودها بأيدمصرية. وتقدمت صناعة الأثاث والجلود لدرجة الكفاية تقريبا ، ونشطت صناعات أخرى وتخطت عوائق التجارب الأولى وهى تسير الآن فى طريقها الى الاستقرار والكمال ؛ ولولا اختلاف ظروف البحرين الأبيض المتوسط والأحمر فى هذه الحرب عنها فى الحرب الماضية لشعرت البلاد بفارق أكبر بين حاجاتها الى الخارج اليوم وحاجاتها اليه فى سنى الحرب الماضية .

نحن الآن نتدرج فى التقدم الصناعى بفضل الحرب الماضية ؛ ولكن جهود العقل نحو زيادة وسائل الحصر والحرمان قد جاءت بجديد ظاهر الأثر ، فوجب أن تضاعف البلاد جهودها فى سبيل النهضة الصناعية لتكون أكثر استغناء وأشد منعة على الخطوب والكوارث. فعلى كل صانع أن يبلغ بإنتاجه أقصاه ليحتل سوق البلاد بمنتجاته وليتعود مواطنوه الاقبال على بضاعته . وعلى كل متعلم متصل بفرع من فروع الصناعة أن يوجه علمه الى ميدان العمل لينتج من الثروة جديدا أو يحسّن قديما أو ينمى صغيرا. هذه فرص الحياة السانحة التى لا تعوض، فلننتهزها واثقين من المستقبل متحققين من النجاح. ولقد أدركت الحكومات المصرية المتعاقبة ما يجب عليها نحو البلاد قبل أن تقع الحرب فبذلت أقصى ما يستطاع لتشجيع المستوردين على مضاعفة نشاطهم فى تخزين حاجات الزراعة والصناعة الأساسية كالسماد ومواد الوقود، فواجهت مصر الحرب باستعداد سمح لعوامل الانتاج المحلى بالاستمرار ، ووقاها شر الاضطراب المفاجئ فى الأسعار ، كما سمح لكلّ أن يجد الفرصة لتعديل وسائله مع استدامة الحركة واطراد العمل .

ولكن مهما يكن من أمر الاكتفاء بالمخزون فان هذا الاكتفاء موقوت بأجل إن لم نكن بلغناه اليوم فلسوف نبلغه قريبا ، وقبل أن نبلغه يجب أن نستعد له ، فما يتعذر وجوده مع استمرار الحرب المجهولة الأجل يجب أن نهيئ من الآن مايحل محله .

خذ مثلا الأسمدة الكيماوية وقد نجحت الحكومة فى توفير حاجة البلاد منها فى العام المنصرم ولا يزال بالبلاد منها ما يكفيها لعام آخر ، فقد وجب على كل زارع أن يضاعف عنايته بتوفير الأسمدة البلدية على اختلاف أنواعها حتى اذا استطالت أيام الحرب وجدنا فى سمادنا غناء عما كنا نستورد ، واستمرت مصر قادرة على إنتاج المقادير التى اعتادت إنتاجها من المحاصيل المختلفة قطنا وأرزا وقمحا وسواها ، وتمكنت من كسب أسواق خارجية لحاصلاتها فوق احتفاظها بما أبقته الحرب لها من أسواق .

ومثل آخر نضربه فى مواد الوقود: فواجبنا حيالها أن نوفر من استهلاكها جهد الطاقة وأن نستبدل بالفحم الوقود السائل والكسب ما استطعنا ، ولنقلل مما نستهلك من الكهروسين فى المصورات بتقصير مواعيد السهر ، وليقم كل مواطن من نفسه حكومة على نفسه ورقيبا على هواه، وليستمتع قلبه بأنه بوازع من وطنيته يدخر من متاعه لإمتاع وطنه وتقوية اقتصاده .

لا يمتز بحكومة يوم أسعد من هذا الذى يتوافر فيه للشعب كل كمالى وكل أساسى من شؤون حياته اذا كان من شأن هذا أن يجعل سعادة البلاد ورفاهيتها ممدودة موصولة ، وليس أشقى من حكومة ولا من شعب ينغمس فى الاستمتاع بعاجل ما لديه من نعمة ثم يرتكس بعد ذلك فى ألم العجز والحرمان .

والخير كله فى الوسط فى الأمر والاحتياط للزمن وتقبل ما يقضى به الوقت بحسن التصرف وسلامة التوجيه ، حتى إذا انقشعت سحب الحرب وآلامها وعادت الأمم إلى المباراة فى التعمير ، وجدنا أداة حياتنا الاقتصادية سليمة عامرة وعاملة قادرة ، و يومئذ يستطيع كل بلد أحسن التصرف أن يستغل الموقف وأن يجنى شهى الثمرات .

نحن بلد زراعى إلا تكن زراعتنا منبتا للكسب العريض والثروات الكبرى إذا قيست بأرباح الصناعة ، ففيها على تواضع رزقها أمن من المجاعات الفتاكة التى تحل بالبلاد الصناعية إذا حصرت . وصعوباتنا فى التموين محدودة بصعوبات الواردات الأجنبية الضرورية ، أما تموينا الداخلى فلا يعدو توزيع خيراتنا المحلية من أحد جوانب القطر إلى جانب آخر زيادة فى الاحتياط والتحرز ودفعا لشرور الطمع التى تثور فى بعض النفوس فتحاول استغلال الشدائد لجنى الأرباح . . فنحن دائما بفضل الزراعة فى أمن من الجوع ، وسنكون إن شاء الله فى أمن من متاعب الواردات الأجنبية التى نراها اليوم ضرورية إذا عرفنا كيف نستفيد من هذه الحرب كما استفدنا من سالفتها فى تنمية صناعتنا ، و إذا تدبرنا استخدام كل ما تنتجه مصر بدلا من منتجات الخارج . ثم إذا نحن ضاعفنا كل نوع من أنواع الانتاج لنبيع للغير كل ما يفيض منا .

الحكومة ساهرة لا تنام عن راحة الشعب فقيره وغنيه ، واقفة بالمرصاد للطامعين ونهازى الفرص المحرمة ، لا تنى عن أخذهم بغير رحمة ولا هوادة ، لأنهم يسمحون لأنفسهم أن يستغلوا ضيق الشعب وأن يجعلوا شدة الأيام جحيما لا يطاق ، وهو عمل خال من الرحمة بعيد عن الرفق ، مناف للمروءة والكرامة الانسانية . ولكن الحكومة فى نفس الوقت تعتمد كل اعتمادها على حساسية الشعب المصرى وكرم شعوره وفيض انسانيته ومتوارث تقاليده وعاداته فى الإيثار وكرم النفس والمبادرة للتعاون وجمع الشمل عند كل صعوبة تقع بفرد فيه

أو جماعة منه، أو تقع بالبلاد كلها ، ولذلك فهو قد استجاب لندائها فى كل ظرف بل قل استجاب لما يتردد فى ضميره من حب الخير والانصاف و بغض الشره والاستزاف . ولا نزال جميعا نذكر شدائد الحرب الماضية وآثارها وقسوتها على المواطنين، فلنتمثل شدائد الماضى لنحسن علاجها ، ولنتق بها مخاطر المحنة التى تمر بنا علنا نخرج منها سالمين . وليكن شعارنا اتقان الصناعة وتميتها، واستغلال خيرات البلاد والاستغناء عن الخارج جهد الطاقة بمنتجاتها المحلية، ومضاعفة العمل لزيادة الانتاج ، والتضامن والتراحم بين الهيئات المختلفة ، حتى نخرج من الحرب كتلة واحدة قد ربطت المحبة بيننا جميعا بأوثق رباط، فلا حقد ولا كراهة ولا استزاف — بل محبة ورحمة وشعورا بالعدل والإخاء .

و إن قليلا من التناسى للكماليات، والمعاونة لأولى الأمر، والصدق فى كل ما يطلبونه من بيانات ، لكفيل بأن يضمن لنا النجاح والنظام والسلامة .

هذا وقت الواجب العام فليساهم كل بنصيبه جل أو صغر ، وليتقدم كل لحمل التبعات مهما تكن الصعاب ، ولا يفرن أحد من مواجهة الموقف وتيسيره، فإنه لا يفر من الشدة صادق القلب ، ولا يهرب من حمل التبعات مؤمن بحق الوطن ، والله يهب لنا جميعا توفيقه و يسدد خطانا على طريق الواجب لنخرج بمصر من مأزق الحرب لم تعوّق من تقدمها ، ولم تقصّر من خطى نهضتها .

ابراهيم عبد الهادى

من فكاهات أدباء العرب

ذهب ابن هرمة الشاعر مع بعض الرفاق ليتغدوا عند صديق على غير موعد ، فأبطأ صاحب الدار فى تقديم الطعام اليهم حتى أذنت صلاة العصر وكانت تبدو عليه أمارات الحيرة والارتباك ، فقال ابن هرمة :

يا ذاهبا فى داره جائيا بغير معنى ولا فائدة
قد جنّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائدة

عدة الشباب من الحاضر

بقلم الدكتور ابراهيم مدكور
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب وعضو مجلس الشيوخ

لقد آن لنا أن نواجه الحقائق فى شىء من الصراحة والجرأة، وأن نعدل عن تلك الطريقة التى تقوم على شىء من المواربة والمداهنة، وخاصة فيما يتصل بالشئون العامة. وليس ثمت غضاضة على جيل ينشد الكمال أن يتعرف مواطن نقصه، ويبحث عن نقط ضعفه؛ إنما العيب كل العيب أن يغمض عينيه، ويتغنى بمجد زال وعظمة لم يبق لها وجود إلا فى ذاكرة التاريخ وليكن رائدنا جميعا قول الحق وإن كان مرا، وبذل النصيحة وإن ثقلت على النفوس.

فعلى هذا الأساس سنتحدث عن "عدة الشباب" وسيدور حديثنا حول نقطتين رئيسيتين ونجيب عن سؤالين هامين، فنبين أولا العدة الحقة التى يجب أن يعتد بها الشباب، والأساحة الناجعة التى ينبغى أن يتسلح بها ليخوض غمار الحياة، ثم نبحث ثانيا عما توفر لدى شبابنا من عدة، وهل هو مسلح التسليح الكافى للدخول فى معترك الحياة، فسنعرض للموضوع من ناحيتين: نظرية: ندرس فيها ما ينبغى أن يكون ونقدم نماذج من أحوال الشباب فى الأمم الحية، وواقعية: نشرح فيها ما نحن عليه ونوجه الأنظار الى أمور كلنا يحسها ويلمسها، ولكن قل من يصرح بها ويعترف بنقصها. ولعل فى مقابلة هاتين الصورتين ما يسمح لنا بإصلاح شئوننا وتقويم ما اعوج من أمورنا.

إن عدة الشباب الكاملة تتلخص فى أسلحة ثلاثة: سلاح جسمى، وآخر عقلى، وثالث روحى؛ فلا يستطيع الشباب أن يؤدى رسالته على وجهها إلا إذا رزق بدنا معافى وصحة تامة. وإذا كانت الصحة ضرورية لنا فى كل أطوار الحياة، فهى ألزم ما يكون فى مرحلة الشباب، لأنها مرحلة النشاط الدائم والعمل المجدى. والشاب لا يعمل ليومه فحسب، بل يعد العدة لغده، ولا يفكر فى حاضره فقط، بل هو مضطر لأن يحسب حساب مستقبله، فهو يبنى فى اختصار أثناء شبابه دعائم حياته ويؤسس أركان مجده؛ وكل ذلك يتطلب نشاطا ومجهودا عظيمين.

ولا أظننى فى حاجة أن أشير إلى أن مجد الأمم الراقية يعتمد فى قسط كبير منه على مجهود الشباب، فهو ركنها الثابت ودعامتها الأولى: يعمل فى المصنع والحقل، وينتج فى الديوان والمتجر، ويفتح أبواب الخير والرزق بما أوتى من مواعد قوية وجسم سليم. وأن الانتاج

القومى لينمو ويتقدم بقدر ما يتوفر على الشباب من صحة وعافية . ولا غرابة فان ذوى الأبدان الهزيلة والأجسام النحيلة لايستطيعون أن يقاسموا فى سعادة بلادهم ورفاهيتها بدرجة واضحة . فصحة الشباب اذن مصدر من مصادر الثروة العامة ، ومن الظلم أن تهمل أمة صحة بنيها فتبدد ثروتها بيدها ، وتقضى على كنز من كنوزها الثمينة . لهذا عنيت بها الأمم الحية كل العناية ، فأقامت من أجلها ميادين الألعاب وأسست الأندية وأعدت باسمها المشتى والمصيف ونظمت الأسفار والرحلات .

وليست صحة الشباب غالية ونفيسة باسم الانتاج والسلم فحسب ، بل هى أغلى وأنفس باسم الحرب والدفاع عن حياض الوطن . فالشبان هم الذين يقدمون أرواحهم الطاهرة قرابين على معبد الحرية ، وهم الذين يطهرون بدمائهم الزكية أرض البلاد من كل غاصب . وتاريخ الحروب يشهد بأن جنايتها على الشباب أعظم منها على الكهول والشيوخ ، وفى فرنسا بعد الحرب العظمى ما يقوم أصدق شاهد على ذلك . وما لنا نذهب بعيدا والحرب الحاضرة إنما يبعث فيها الى الميدان بالشبان الأشداء ، الذين يستطيعون الدفاع عن حماهم والذود عن كرامتهم .

فشباب لا صحة لديه يفقد السلاح الأول من أسلحة الكفاح فى هذه الحياة ، ولا أمل فيه يرجى لا لنفسه ولا لأمته .

على أن صحة الأجسام وحدها لا تكفى فى حياتنا الحاضرة المعقدة المملوءة بالمشاكل والصعاب ، ولا بد إلى جانبها من عقول سليمة وتربية فكرية كاملة ، وهذا هو السلاح الثانى من أسلحة الشباب الضرورية . وإذا ما تحدثنا عن التربية الفكرية فإنما نرمى إلى قدر من الثقافة مشترك بين جميع الشبان ، يربطهم برباط عقلى ويسمح لهم بالتعاون والاتصال . وكلما كانت هذه الثقافة منسقة منسجمة ، كلما كان هذا أعون على التفاهم وأدعى الى الوحدة والارتباط . ومن الجناية على شعب أن تتباين فيه وسائل الثقافة والتعليم ، فإن ذلك يقضى على وحدته الفكرية والإجتماعية ، ويخلق منه شعوبا فى شعب وأمما فى أمة . لهذا جدت البلاد الراقية على اختلافها فى توحيد وسائل الثقافة كى تتكون عقول الشباب فى قالب واحد وتطبع على صورة مشتركة .

وليكن واضحا أنا لا نريد بالثقافة مجرد التهام طائفة من المعلومات أو استيعاب بعض الآراء والنظريات ، وإنما نريد بها أولا وبالذات أن تولد فى الشباب ملكة الحكم الناضج ، وتعودهم النظر البعيد ، وتوسع أفقهم فلا يضيق صدرهم بفكرة مهما بدت غرابتها . والشبان أحوج ما يكونون إلى دقة فى أحكامهم وروية فى تكوين آرائهم وتعمق فى بحثهم ، لأنهم بفطرتهم متسرعون مندفعون . ولن تحقق تربيتهم الفكرية غايتها إلا إذا صوبت إلى هذه

الأهداف وعنيت بهذه الأغراض . ولا بد لنا فوق ذلك من أن ننمى خيال الشاب بحيث ينظر دائما بعيدا ويرمى بعيدا ، فلا يقنع بالمألوف ولا يطمئن الى السهل الدارج ، بل يخلق ويبدع ويجدد ويبتكر ، وما نراه فى أوربا من تجديد مطرد وابتكار دائم وعبقرية مدهشة ليس إلا نتيجة تلك التربية العقلية الصحيحة . فإن كنا نريد لأمة أن تسير فلتكل زمامها إلى قواد من شبابها البعيدى النظر ذوى المطامح السامية والهمم العالية ، وإن لم يكن فى مقدور هؤلاء الشبان أن يخلقوا ويجددوا ، وإن لم يرموا بأنظارهم إلى مدى واسع فالأمل فى التطور والإصلاح ضعيف أو معدوم .

وإذن لا بد للشباب من حكم ناضج ونظر ثاقب وخيال واسع وتفكير شامل يمكنه من الإلمام بمختلف أطراف المسائل إن كان يريد أن يعيش عيشة سعيدة بين أبناء القرن العشرين .

وإذا ما توافرت فى الشباب سلامة جسمه وكمال عقله ، فإنا نرجو له شيئا آخر هو طهارة روحه ونقاء قلبه ، فيتحلى بأسمى العواطف وكريم الخلال . ولعل حضارتنا العصرية قد اتجهت نحو الجسم والعقل وأهملت الروح جانبا ، وها هى ذه تلاقى جزاء صنيعها من حين لآخر بما يحدث فى العالم من فورات واضطرابات وحروب وويلات . ولو كان شبان اليوم ذوى أرواح صافية تمام الصفاء وقلوب طاهرة تمام الطهر لما لبثنا حتى اليوم فى ما نحن فيه . فتربية الشاب الكاملة تستلزم أن يغذى بغذاء قلبى ويزود بزاد روحى يبدو فى ضميره الحى وإرادته القوية . فيرسم لنفسه مُثلا عليا يسعى الى تحقيقها مهما كلفه ذلك من عناء ، وينفر من الرذيلة بقلبه دون حاجة الى مرشد أو رقيب .

وهذا السلاح الثالث شرط لإنتاج السلاحين السابقين إنتاجا صحيحا . ذلك لأن الجسم القوى بلا ضمير حى ربما أدى إلى أخطر الجرائم ، والتفكير العميق بلا إرادة قوية وعزيمة ماضية ربما كان مبعث الحيرة والتردد دون أن يوصل إلى غاية أو يؤتى أية ثمرة . وكثيرا ما غطى المرء بكمال خلقه على نقصه الجسمى والعقلى . وتفاوت الأمم المتحضرة فيما بينها إنما يرجع فى الغالب إلى فروق خلقية وخصائص روحية ، والشبان من أعرف الناس بلغة القلوب وسلطانها ، فإهمالها فيهم قضاء على قوة من قواهم العظيمة وسر من أسرارهم البالغة .

* * *

هذه هى عدة الشباب من الحاضر ، وندع الآن جانبا عدته من الماضى والمستقبل ، فتلك تتطلب مقالة أو مقالات أخرى . ويحسن بنا أن ننتقل فورا إلى بيان ما توافر لدى شبابنا من هذه العدة ، وتلك هى الناحية التى نحب أن نقف أمامها قليلا .

فأما الجانب الصحى فيسوؤنا أن نصرح أنه يدعو إلى الأسى والحسرة ، وفى نتائج الكشف الطبى الذى أجرى اخيرا على طلاب الجامعة والمدارس الثانوية لاختيارهم للتدريب العسكرى ما ينهض دليلا على ذلك ، فإن نسبة السقوط فيه مع الأسف وصلت إلى نحو ٧٠ ٪ و إذا كان هـذا شأن شباب المدارس الأميرية الذين يحظون بقسط من العناية والرعاية ، فكيف يكون حال أولئكم البائسين شباب القرى ؟ إنهم فى أغلبهم — دون مبالغة — أشبه ما يكونون بمستشفى متحرك جمع بين مختلف الآلام والأمراض ، فلم يخل الواحد منهم بعلة واحدة ، بل تصالحت عليه أمراض شتى ؛ وكم تبعث أناتهم وصيحاتهم فى القلب لوعة وفى النفس أسى وحسرة !

ولئن كنا قد نجونا نوعا ما من الطاعون وتلك الأوبئة الكبرى التى كانت تجتاح زهرة البلاد وشبابها من حين لآخر ، فإنا لا نزال فريسة لبعض الأمراض المتوطنة كالبلهارسيا والإنكلستوما والدوسنطاريا والملاريا والرمد الحبيبى . فهذه الأمراض المهلكة وجدت سبيلها إلى كثير من شبابنا ، وانتشارها بيننا واضح مشهور ؛ فلا داعى لأن نردد إحصاءات يطول بنـا المقام لو حاولنا سردها جميعا . وينبغى أن نقول إن نسبة المصابين بالبلهارسيا بين شبابنا قد تصعد إلى ٩٠ ٪ و إن الدوسنطاريا آخذة فى الانتشار فى العشر السنوات الأخيرة على صورة مزعجة ، وقد تبلغ نسبة إصابات الرمد الحبيبى فى مختلف مظاهره ٩٥ ٪ .

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لقلنـا إن هذه أمراض المناطق الحارة المـائية ، فليس بغريب أن نراها بيننا . ولكننا مع الأسف أصبحنا فريسة لطائفة أخرى من الأمراض التى لا تظهر عادة إلا فى البلاد الباردة ، وأعنى بهـا الأمراض الصدرية والسل بوجه خاص . و يسوؤنى أن ألاحظ أن هذا المرض الذى يعدّ عدو الشباب الأول بدأ ينتشر فى القرى والمدن على شكل مخيف ، و إذا كنا لم نقم بعد بإحصاءات دقيقة فى هـذا الصدد فلا نزاع فى أن هذا المرض الخبيث يزداد يوما بعد يوم . وكنا نلاحظ أن مستشفياته الخاصة آخذة فى الازدياد بعد أن كنا بالأمس القريب لا نشعر بهـا ، وأستطيع أن أقرر أن من يقصدون هذه المستشفيات لا يذكرون فى شىء بجانب أشخاص آخرين مصابين بهذا الداء الوبيل ولـما يعلنوا عن أنفسهم .

الحق أن الأمر فى منتهى الخطر والخطورة ، ويتطلب تفكيرا جدّيا وعلاجا ناجعا ، إن كنا نريد سعادة أبناء الوطن ورفاهيتهم . وجدير بنا ألا نعيب على شبابنا كسلهم وضعفهم وقلة إنتاجهم ، فقد يكون ذلك راجعـا إلى نقص تغذيتهم وسوء صحتهم . ولا ندهش من جهة أخرى إذا كنا من أقل الامم إنتاجا ، فإنا فى ضعفنا وأمراضنا لانستطيع أن ننتج خيرا مما نفعل الآن . وما أجدر الذين يشكون من نقص الثروة العامة وضيق البلاد بسكانها ،

أن ينظروا إلى هذه الناحية ، فإنا إذا أنتجنا كما ينبغى استطعنا أن نرفه عن أنفسنا كثيرا . ويطول بنا الانتظار لو ترقبنا خطوات الحكومة فى هذا السبيل ، وواجب الأغنياء والموسرين أن يتذكروا أن فى أعناقهم أمانة لأبناء هذا الشعب وشبانه لابد أن يؤدوها ، ولا يسمح الوقت بعد بتأخيرها ؛ و إن لم يقف الشعب بجانب الحكومة فى الإصلاح الاجتماعى المنشود فالأمل ضعيف فى الوصول إلى نتيجة سريعة مطمئنة .

وليست حال الشباب العقلية والفكرية بأحسن من حالهم الجسمية ، فتعليمنا يقوم على الحفظ والتحصيل ، ولا يعنى كثيرا بتكوين القوى والملكات . وصلة التلميذ والطالب بالبحث والعلم مقصورة على ساعات الدرس ولحظات الامتحان ، و إذا انتهى ذلك انتهى معه كل شىء . وتعليم هذا شأنه مبغض ممقوت ، يود المتعلم أن يخلص منه بأى ثمن ، ولا يحب أن يعود إليه مرة أخرى . لذلك كنا من أقل الشعوب قراءة وأبعدها عن البحث وحب الاستطلاع . ويؤلمنى أن أقول إن كثيرين من طلاب المعاهد والمدارس الأميرية يفخرون بأنهم لا يعرفون من الكتب إلا ما أوجبته النظم التعليمية واستلزمته الامتحانات . ولأكن أصرح من هذا فأقول : إن كلا من محامينا ومعلمنا وطبيبنا أعرف بالقانون وأكثر اطمئنانا إلى مادته وتأكده من طبه على إثر تخرجه من المدرسة منه بعد ذلك بقليل ، وكأنما العلم فى نظره كل ما حفظ فى الدرس ولا شىء سوى ذلك ، فاذا ما تقدم به الزمن نسى ما عرف وفقد ما حصل ، ولا يجهد نفسه بعد هذا فى قراءة أو اطلاع . قد أكون مغاليا فى بعض ما أقول ، وقد يكون هناك عشاق للقراءة ومحبون للاطلاع ولكنهم بلا نزاع قليلون .

هذا هو تعليمنا من حيث مادته ، أما من حيث آثاره ونتائجه الفكرية فلا يختلف عن هذا كثيرا . ففى أحكام شبابنا ما يبعث على الاشفاق والسخرية ، وفى نظرهم إلى الأشياء مايدل على السذاجة وعدم التعمق ، وفى حيرتهم وارتباكهم فى أغلب المواقف ما يؤذن بضعف الشخصية وعدم الاستقلال فى البحث وقلة الابتكار . والواقع أن نظمنا التعليمية وضعت لتصنع آلات لا لتكون شخصيات ، والعالم بعد أن وصل إلى ما وصل اليه من التقدم فى البحث والاختراع لا يرضى لبنى الانسان أن يكونوا " نمرا " وآلات ، أو أجهزة تسير سيرا آليا ، ففى مقدوره أن يصنع من ذلك الشىء الكثير الذى لا يكلفه مثلما يكلفه هذا الانسان .

وأخيرا إذا ما حاسبنا شبابنا عن الجانب الروحى وجدنا نصيبه منه أيضا جد ضئيل . فلا هاتف من الضمير يدعو إلى تقديس الواجب لأنه الواجب ، أو يرعى المصلحة القومية متى تعارضت معها مصالح شخصية شتى . بل أصبحنا أثرين نفعيين لا نفكر إلا فى أنفسنا ، ولا نقيس

الأمور بمقياس الخير العام و إنما نبحث عما تجلبه لنا من منفعة ولذة . فلا نحسب للفضيلة ولا للرذيلة حسابا كبيراً، ولا نعبأ كثيرا بالعرف والتقاليد . وهكذا انهارت أخلاقنا انهيارا لاشك فيه، وأصبحنا نتساءل كل التساؤل إلى أية هاوية نحن مسوقون .

والصفات المكونة للشخصية بوجه خاص آخذة فى الانقراض ، فلا صراحة ولا شجاعة ولا عزيمة ولا إرادة . نداجى ونجامل ، ونصور الشيء الواحد بصور شتى على حسب الميول والأهواء ، وقل منا من يجرؤ على أن يجهر بكلمة الحق فى وجه منكريها . أما إرادتنا فضعيفة كل الضعف ، وعزيمتنا لا تصمد للشدائد طويلا ، وربما كان هذا من أهم أسباب فشلنا فى مشروعاتنا المختلفة .

هذه هى عدة الشباب ، وهذا هو نصيبنا منها ، وهم يقولون : إن الاحساس بالنقص أول مرتبة من مراتب الكمال . ولكن هناك ما هو أخطر من ذلك ، فإن من بيننا فريقا لا يؤمن بهذه الأسلحة ولا يسلم بمضائها ، ويجد فى البحث عن أسلحة أخرى يعتقد أنها أجدى وأنفع له فى مضمار الحياة ؛ لأن التجربة أيدتها والواقع فى قسط كبير منه ثمرة من ثمارها . وفى مقدمة هذه العدة الثمينة والأسلحة الماضية يضع شبابنا التراث والمال ، والحسب والنسب ، والتصنع والملق . فليس ثمت عقدة فى هذه الحياة الدنيا — كما يرون — إلا والمال يستطيع حلها ، وليس ثمت منصب سام إلا والحسيب والنسيب ومن له " ظهر " يستطيع الوصول إليه ، ومن فاته هذان السلاحان فلا عليه إلا أن يطأطئ ليصل ويتملق لتفتح له الأبواب كلها . تلك هى الآفة السيئة التى يشكو منها الحاكمون والمحكومون ، والعقيدة الخاطئة التى امتلأت بها أدمغة الشباب جميعه ، فقضت على القيم الحقيقية والمعايير الصحيحة . وأصبحنا ونحن لا نحترم قانونا ولا نقدس مبدءا ولا نعترف للحقوق بسلطان ، لأن " الواسطة " فوق ذلك وأقوى من كل ذلك . وكم شق الوسطاء بسعيهم و إلحاف الناس فى سؤلهم والتردد عليهم ، وأظن أن أولى الأمر أعظم شقاء فهم فى حيرة بين قدسية القوانين ومرضاة " الخواطر " .

واعتقادى أنه لن تعود الأمور إلى نصابها إلا إذا كسرت هذه الأسلحة المفلولة وحوربت هذه العقائد الفاسدة . حين ذاك — وحين ذاك فقط — يمكننا أن نحدث الشبان عن عدة حقة يعتدون بها ، ومعان سامية ينشدونها ، وخلال فاضلة يعتنقونها . وحين ذاك أيضا سيكون رائدهم المثل الأعلى أولا ، وسيرددون قول الأعرابى القديم :

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوما على الآباء نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثلما فعلوا .

إبراهيم مدكور

الجمهور والأمن العام

بقلم الأستاذ محمد الشافعي اللبان

مدير ادارة الجنايات بوزارة الداخلية

الجمهور شريك الحكومة فى حراسة الأمن ، وعليه مثل ما عليها واجبات كثيرة تتعلق بالحياة العامة ، وترتبط بإقرار النظام والقيام بأحكام القوانين . واذا شعر كل فرد بمسئوليته وعرف ماعليه من واجب وما له من حق ، انصرفت القوى الى العمل المنتج لخير البلاد ، وتفرغت الحكومة الى تعهد المصالح العامة ورعاية شئون الشعب .

تقوم الحكومة بمهام كثيرة ، زادتها محنة الحرب العالمية أعباء ثقيلة ، اقتضى القيام بها تجاوز حدود القوانين العادية ، واستصدار مرسوم اعلان الأحكام العرفية ، الذى أجاز اتخاذ أى إجراء لازم للمحافظة على الأمن والنظام ، ومثل هذه الحالة من شأنها أن تلقى على الأفراد تبعات ومسئوليات مضاعفة ، اذا قاموا بها استراح الناس جميعا ، وتفرغت الحكومة الى مواجهة أمور طارئة قد تتكشف عنها الحوادث ، وتقتضيها الظروف المباغتة فتعمل فى سكينة كل مايجنب الناس ضررها ويقيهم شرها . أما اذا اجتمعت على الحكومة مشاغل الأمن الداخلى كلها الى جانب تصريف الأحداث الطارئة ، فان ذلك مما يضعف نشاطها فى كشف البلاء ، وسرعة العمل على أخذ الأمور بالعلاج الحاسم والتصرف العاجل .

تحتاج الحكومات فى الأوقات العصيبة الى معاونة الشعوب بروح وطنية صادقة ، وهى معاونة لابد منها فى هذه الأوقات ، لإنقاذ سفينة البلاد وإحكام قيادتها وسط العواصف والأنواء .

وقد قصدت بكلمتى هذه أن أنبّه إلى بعض ما يجب على الأفراد من واجبات نحو الأمن العام فى الظروف الحاضرة .

طبيعى أن تمس قيود الأحكام العرفية حرية الأفراد ، وأن يجد الناس فيها قيودا لم يألفوها فى النظام العادى ، وهى قيود اقتضتها سلامة الوطن وحفظه من آثار الطوارئ ، وتمكين الحكومة فى سهولة ويسر وسرعة من القبض على ناصية الأمور ، وحماية الأرواح والأموال وتدبير الشؤون العامة . لكن الحد من الحرية وتقييد بعض الحقوق الآن هما

على هذا الاعتبار مجرد تضحية يسيرة يجب على كل مواطن أن يتحملها من أجل مصلحة الوطن ومن أجل مصلحته الشخصية أيضا ، وأن يقبلها قبول الرضا والاختيار لا قبول التسليم والاضطرار . فإن ضرورات الحياة الاجتماعية تقضى بأن الحرية تضيق وتتسع ، وأن حقوق الأفراد تخضع لمقتضيات الحياة ، وما يعرض للأمن من حرب وسلم .

والمنطق الذى يوحى فى أزمان الطوارئ والحروب بنظام الحكم العرفى ، ليس مناقضا للمنطق الذى يقرر نظام الحرية وحقوق الأفراد فى أيام السلم . وإنما هما منطقان متفاهمان ومتكاملان يأخذ الدستور بكليهما ، هذا لأيام السلم ، وذاك لأيام الحرب .

تختلف الأحكام والتشريعات فى ظروف الحرب عنها فى ظروف السلم ، لكنها فى جميع الأزمنة واجبة الطاعة والاحترام ، لأنها الطريق الوحيد لوضع الأمور فى نصابها ، والوسيلة التى لا وسيلة سواها إلى تمكين الحكومة من القيام بواجبها . فالقانون العادى والعرفى فى مثل الظروف الحاضرة هو صخرة النجاة للفرد والمجموع ، فلنضم هذا نصب أعيننا ، ولنسر فى الطريق الوعر الذى يجتازه العالم الآن خلف القانون ، فذلك أنفع وأجدر بأن يؤتى أطيب الثمرات .

على أن احترام القوانين ليس مقصورا على ذلك المعنى الضيق ، الذى ينحصر فى عدم مخالفة نصوص القانون العام ، أو الخروج على الأحكام العسكرية خوفا من التعرض للعقوبة . نعم ليس هذا هو المعنى الذى يجب أن يستقر فى نفس الفرد ، بل إن المعنى الذى يجب أن يستقر فى نفوسنا ، ويسود شعورنا ، هو طاعة القانون ، لأن فيه خير الفرد وخير المجموع ، ولأن احترام المرء نفسه يتقاضاه احترام قوانين الجماعة التى هو عضو فيها .

ومما يتصل بهذا المعنى تقبل الأوامر التى تصدر من رجال الحفظ وغيرهم من رجال الحكومة القائمين على مصالح الشعب برضا وانصياع ، وتنفيذ التعليمات والأوامر من غير جدل أو معارضة ، فان ذلك أدعى إلى اليسر وأقرب إلى حسن تصريف الأمور .

وإذا علم كل فرد أن مهمة رجال البوليس وغيرهم ، ممن تقيمهم الحكومة لتنفيذ الأوامر والقوانين ، هى خدمة الجمهور والحيلولة بينه وبين الضرر ، وقدر مدى ما يمكن أن يصيبه ، بمخالفته الأوامر فى هذه الأوقات العصيبة من أضرار قد يصعب تصورها ، سهل عليه أن يطيع وأن يمتثل .

بديهى أن كل ما يسن من قوانين وما ينشر من أوامر ، إنما يكون الباعث عليه مصلحة عامة ، وقد لا يفطن بعض الأفراد إلى هذه المصلحة أو يستهينون بالعقاب المقدر ، فيتجاوزون القوانين ويتخطون الأوامر ، متعللين بأنهم لا يدركون وجه المصلحة فى هذه العوامل ، أو مقدمين على تحمل الجزاء اليسير .

وإذا كان مثل هذا التصرف غير مقبول فى الظروف العادية ، فان الأحوال الاستثنائية التى يجتازها العالم تحتم على كل فرد الآن أكثر من أى وقت آخر ، الطاعة المطلقة للقانون ، وتنفيذ كل أمر يصدر ، واجتناب كل مخالفة ، واتقاء كل شبهة ، ولرب مخالفة صغيرة قد تجر وراءها مشاكل كبيرة ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

كذلك ليس من الرفق بالبلاد فى هذه الظروف الدقيقة أن يتعمل المرء على انتهاك حرمة الأوامر والقوانين فى غفلة من حراسها ، أو حين يظن أنه فى مأمن من أعين الرقباء .

يجب أن تكون طاعتنا للقوانين أمرا يتصل بالضمير والعقيدة والخلق الكريم ، لا أن تعتبر طاعة القانون ضرورة يجوز الإفلات منها عند ما تحين الفرصة ، وتلوح الوسيلة للتخلص من العقوبة . ويجب أن يتأكد ذلك المعنى ويقوى حينما تحل بالبلاد أزمات وكوارث عامة ، يصبح فيها التفكير فى غير الوطن وسلامة الوطن جريمة وطنية لا تغتفر .

إن الطاعة والنظام واحترام القوانين والأوامر من أقوى الدلائل على رقى الشعب واحترامه لنفسه وشعوره بالواجب عليه وتقديره للمسئولية الملقاة على عاتق القائمين بحراسته والسهر على صيانة مصالحه .

وإن تعرض البلاد للأزمات ووجوب المحافظة على كيانها وضرورة استقرار حياتها الاقتصادية وإقرار الأمن والسكينة فيها ، يوجب أيضا على كل منا أن ينسى ذاته وأن يعمل للمجموع ، وأن يحترم حقوق الغير ، وأن يكون عونا لغيره فى تخفيف ويلاته ومصائبه ، وأن يضع كل نشاطه ودرايته وخبرته ومواهبه فى خدمة أمته ودفع الضرر عنها .

فالتعاون والإيثار ونسيان النفس من الأمور التى تعمل على تخفيف شدة الخطوب العامة والتهوين من قسوة الويلات التى تحل بالأمة ، وإن الفرد متى اتجه فى عمله الى سلامة المجموع ، وتوحدت القلوب نحو غاية واحدة ، وصدقت العزائم فى العمل على سلامة الأمة جنى كل فرد فى ظل الهدوء والاطمئنان ما يبتغيه لنفسه من الخير والتوفيق ، ولبلاده من النجاة والسلامة .

واجب الأفراد المعاونة الفعلية ، يتقدم بها القادرون فيجندون أنفسهم لخدمة المجموع ومعاونة الحكومة ، ويهبون أنفسهم للوطن حتى تنجلى الغمرة . وإن فيما أقدم عليه بعض شبابنا المهذب من التطوع فى فرق البوليس الخاص لعملا نبيلا وشعورا شريفا ، وإن الوطن الذى يضم هؤلاء الرجال ذوى العزائم لجدير بالعزة والكرامة .

وعلى الموسرين وأصحاب الأموال أن يخرجوا عن بعض ما فرض الله عليهم للسائل والمحروم ومن أقعدتهم الظروف الحالية فى مكان العوز والحاجة ، وحسبهم أن يعلموا أن كثيرا من أبناء

وطنهم قد اضطروا إلى الهجرة من ديارهم و إلى ترك مساكنهم، وأنهم لا يجدون ما ينفقون، وأيسر حقوق الإنسانية والأخوة الوطنية أن يساهم الموسرون فى كفاية المحتاجين وسد رمق المعوزين، و إطعام الجائعين، ولا أظن أن هناك عملا أنفع عند الله من هذا العمل المشكور.

على أن الصنيعة للجموع والبذل فى سبيل الشعب ، يربط القلوب و ينزع الموجدة من النفوس فتطوى صحف الإجرام ، و ينشر لواء السعادة والهناء بين الناس .

كم يكون نبيلا ورائعا أن يتضامن الأعيان وأصحاب الأملاك والنفوذ وذوو الرأى فى كل قرية وفى كل حى على القيام بواجبهم، لتجد الحكومة منهم عونا على صيانة الأمن، وقوة تعمل على بث الهدوء والطمأنينة فى النفوس، وتلزم كلا بالوقف عند حده وعدم مجاوزته فى أوقات الاضطرابات والمحن ، وليقوموا بأعمال الخير التى تقتضيها هذه الظروف ، و يكتتبوا بالمال اللازم لإيواء اللاجئين وعون المحتاجين ، حتى يشعر الناس فى أحضان المجتمع بعاطفة الخير تترقرق فى جوه ، فتخفف من جزع الناس وقسوة الحوادث .

ومن صور التعاون المطلوب ألا يعمد التجار والملاك إلى استغلال الظروف ، وابتزاز أموال الناس بغير حق ، وزيادة الأثمان والأجور زيادة غير مشروعة ، ترهق الناس وتضاعف عليهم البلاء .

لقد اضطربت معيشة كثير من الناس ، وساء حال كثير من الصناع والعمال ، وألجأتهم هجرة المدن إلى ترك أعمالهم ، ومصادر أرزاقهم ، ونزحوا بالقليل الذى فى أيديهم يلتمسون العيش بأطفالهم وزوجاتهم فى جو لم يألفوه ، وحياة لم يتعودوها ، نزحوا إلى قرارة الريف ونفوسهم لهفى وأكبادهم متصدعة ، فأى ضمير يسمح باستغلال نكبة هؤلاء المساكين .

كنا نتوقع أن يقدر أصحاب الأملاك فى الريف واجبهم فيرحبوا باللاجئين ، ويحمدوا الله أن جعلهم فى هذه الأحوال القاسية ملاذا لغيرهم ، ولم يجعلهم الطريدين المشردين . لكن حدث مع الأسف أن بعض الملاك فى الريف انتهزوا الفرصة وظروف اللاجئين، فرفعوا أجور منازلهم فى القرى إلى حد فاحش لا يقره ذوق ولا ضمير ، فى حين كان يجب على هؤلاء الملاك أن يخففوا من غلوائهم ، كما كان يجب على غيرهم من التجار وأصحاب الصناعات أن يقللوا من أطماعهم، وإلا ساءت الحال وكان نصيبهم فى الخسارة هو الأوفر ، واضطرت الحكومة إلى التدخل لحماية الناس من هذا الجشع الذى لا تقره عاطفة ولا يجيزه قانون .

بقيت كلمة أوجهها الى الأشقياء ، والحديث اليهم متصل بالظلام الذى يخيم على البلاد ليلا وهذا الظلام ضرورة الحالة الراهنة ، فلا مناص من توفير أسباب طمأنينة الجمهور فيه ، وليس من المقبول أن يفكر أحد فى أن يزيد متاعب الناس فى أثنائه ، من أجل هـذا أنبّه

فى صراحة إلى أن الحكومة واقفة بالمرصاد، وستأخذ كل مجرم تحدثه نفسه بالتسلل الى المنازل، أو سلب الأرزاق ؛ أو اقتراف الجرائم تحت جنح الظلام بعقوبة صارمة من غير شفقة ولا رحمة ، فقد أصدرت أمرا عسكريا يقضى بالسجن مدة لا تتجاوز ثمانى سنوات على من يرتكب سرقة فى عقار أو سفينة أثناء مدة الظلام ، أو التنبيه الى غارة جوية ، أو أثناء الاضطراب الذى تسببه تلك الغارة ، وعلى من ارتكب سرقة فى بيت مسكون أو بناء أخلى من سكانه بسبب حوادث الحرب . ثم أصدرت أمرا ثانيا بتقرير العقوبات بالنسبة للجرائم التى تقع مخالفة لأوامر السلطة القائمة على إجراء الأحكام العرفية ، وأمرا آخر بإحالة بعض الجرائم التى تمس سلامة الدولة ونظام الأمن الى المحاكم العسكرية حتى يكون العقاب سريعا وشديدا .

لقد جعلت بعض بلاد أوربا الإعدام عقوبة لمن يتهز فرصة إطفاء الأنوار ليمد يده بالسرقة الى مال غيره ، وجاءت الصحف بأن حكومتى سوريا ولبنان اتخذتا قرارا مشابها لهذا الإجراء . والحكومة عندنا متيقظة إلى تعقب المجرمين ، مصممة على ألا تتوانى فى التنكيل بمن تحدثه نفسه منهم بالشر ، غير انى أردت أن أذكرهم بمغبة عملهم ، وما قد يصيبهم من عقاب قبل أن يقعوا فيه ، ولعل الذكرى تحل من نفوسهم محل العقوبة الرادعة أو الموعظة البالغة فيكفوا عن الإجرام ، ويتوجهوا الى العمل والإنتاج .

وبعد ، فليس أجمل ولا أكرم من التحلى بالشجاعة والاعتداد بالنفس حينما يتعرض الوطن للأخطار . وإن الشدائد مهما تجز وراءها من خسارة فى الأنفس والأموال ، فيها خير كثير ومنافع للناس ، فهى تشد العزائم وتقوى النفوس وتجمعها حول غاية واحدة ، هى سلامة الوطن وحماية البلاد ومقاومة الانزعاج والضعف ، فلنكن كرماء مسارعين إلى البذل ، وطنيين لا نبالى بالأرواح فى سبيل الوطن ، فى سبيل مصر الخالدة .

محمد الشافعى اللبان

الصبر على الشدائد

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام
الأستاذ بكلية الآداب

كل امرئ يبغى الخير لنفسه ويتطلع إلى مكانة علية فى حياته . ولكن الناس مختلفون فى التصدى للعظائم وتوطيد النفس على محاولتها وملاقاة المكاره فى سبيلها واحتمال المصاعب دونها . أكبرهم نفسا أعظمهم همة وأبعدهم غاية وأكثرهم اعتزازا بنفسه وتوكلا على الله وأصبرهم على الشدائد . والنجاح فى هذه الحياة لمن طلب فدأب ، وعركته الحوادث فثبت ، وجاهد فصبر ، والله مع الصابرين .

الشدائد محك الأفراد والجماعات والأمم ، تمتحن إيمانها وكبرياءها وإباءها وعزتها فيستبين كيف يصدق الفعلُ القول ، ويؤيد الباطنُ الظاهر ، وينصر الخُبر الخَبر . يستبين الصادق والكاذب ، والهلوع والصبور ، والجودُ والزيف ، حين تذيب نار الشدائد غش الظواهر وتكشف المحن عن حقائق الأقوال .

إذا تزاحم الأفراد فالفائز أثبتهم على الزحام ، وإذا تغالبت الجماعات فالظفر لأصبرها على المشقات وأرسخها على الرعازع وأشدها إباء على الخنوع ونفورا من المذلة وأعظمها إيمانا بالله وثقة بأنفسها وجلدا فى مصادمة الأهوال .

ما الصبر على الشدائد ؟ إيمان بالله يثبت النفوس فلا تزلزلها الحوادث ، وثقة بالنفس تعصمها من أن تفزع من الكوارث ، وكبرياء تأبى لها أن تتقهقر ، وعزة تربأ بها أن تخضع . فترى الأبيّ الصابر باسما للخطوب ، يمشى إلى غايته قدما كما تسير الكواكب فى أفلاكها إلى غاياتها ، وكأنه قانون من قوانين الله فى خليقته تؤدى مقدماته إلى نتائجها ، ولن تجد لسنة الله تحويلا .

يظل كالطود يجرى حوله نهر ... من الخطوب له فى الناس طغيان
يزل عن سفحه التيار مصطخبا ... وما يلين لمر الماء صوّان

لكل غاية سبل تؤدى نحوها ، وكثير من السبل وعر شاق ، وكثير منها مخوف تكتنفه الأهوال ، ولكن لابد لمن رام الغاية أن يسلك سبيلها ، ويتعرض لمخاوفها ، ويصابر شدائدها . لا بد لهذه النتيجة من هذه المقدمات ، فمن دأب وصبر فقد استوفى المقدمات وهى منتهية إلى النتيجة لا محالة ، وقد سلك السبيل وهو لا ريب بالغ الغاية .

الحياة محن ، ولكل محنة فى النفوس الكبيرة والأمم العظيمة عدتها من الايمان والجهاد والصبر ، وهى العدة التى لا تثبت لها محنة ولا يستعصى عليها خطب ، من آمن بحقه وجاهد له وصبر عليه ، شق إلى مقصده الأهوال وذلل الصعاب وبلغ غايته والخطوب صاغرة والدهر ذليل ، وتكشفت عنه الغمة بساما وضاحا مطمئنا كما ينصلت السيف من غمده أو كما يخرج الكوكب من غياهب السحاب ، ثم يخرج من محنته أعظم إيمانا ، وأشد إباء وأوفر كرامة وأقوى نفسا وأصلب عودا بما شدت المحن من قواه ، وأثارت من مواهبه ، وعرفته من أخلاقه ، وبينت من فضائله .

استمع إلى الشاعر العربى الأبى :

فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... بنعمى وبؤسى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للذى ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة ... تحمل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا ... فصحت لنا الأعراض والناس هزل

وقد رأى شاعرنا المتنبى أن الصبر كفء لحوادث الدهر ، وأنه عدة لا تغلب وناصر لا يخذل فقال :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر ... وحيدا ، وما قولى كذا ومعى الصبر
تمرست بالآفات حتى تركتها ... تقول : أمات الموت أم ذعر الذعر؟
وأقدمت إقدام الأتى كأن لى ... سوى مهجتى أو كان لى عندها وتر

والتاريخ يشهد أن الظفر لمن صبر ، وأن الغلب لمن ثبته إيمانه ، وقدمه عزمه ، وطمأنه جلده ، وحاطه صبره فاستقر والأرض ترجف بخطوبها ، واطمأن والصدور تضيق بقلوبها .

فإن تكن الدولات قسما فإنها ... لمن ورد الموت الزؤام تدول
لمن هون الدنيا على النفس ساعة ... وللبيض فى هام الكماة صليل

ألم تر إلى محمد رسول الله وأصحابه كيف غلبت قلتهم الكثرة ، وضعفهم القوة ، وفقرهم الغنى ، وإنما غلبوا بالايمان والصبر وهما جند الله ينصر بهما من يشاء ؟ صبروا على السخرية والعذاب ثلاث عشرة سنة لا يزدادون فيها إلا ثقة بالنصر وجلدا على النوائب وصبرا للأحداث ، ثم ثبتوا للقاتلين فانجلت عنهم الوقائع وقد أخرجوا باليقين والصبر من بين السيوف والحتوف دولة عز بها الحق فى مشارق الأرض ومغاربها .

وكان القرآن يوصيهم بالصبر ، ويعلمهم أن العاقبة للصابرين ، ويضرب لهم الأمثال بما أصاب الصابرين قبلهم من العذاب ، وما أصابوا هم من الظفر والعزة والسعادة .

ويقول الله لرسوله صلى الله عليه وسلم : " فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل". "واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون". "ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين" .

لابد من المحنة التى تبين الصادق من الكاذب ، والطيب من الخبيث: "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين" .

وبيّن القرآن جزاء الصابرين وعاقبتهم فقال " ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " .

وقال " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون " جعلهم أئمة للناس هداة لهم قادة بما آمنوا وصبروا ، وقال : "أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون" .

لا أعرف أن القرآن أوصى بخلق إيصاءه بالصبر ، ولا وكد الدعوة إلى فضيلة توكيده الدعوة إليه .

وقد اهتدى المسلمون بقرآنهم فى كثير من اللزبات فعصمهم الصبر أن يجزعوا أو يملوا أو ييأسوا أو ينجبنوا عن لقاء الخطوب أو يذلوا فى قراع المصائب أو يحسبوا حدثا من أحداث الليالى أكبر من عزائمهم وأعظم من شجاعتهم وأثبت من إيمانهم وأرسخ من عزتهم ، فصابروا الخطوب حتى ظفروا ، وصبروا على ظلمات المحن حتى تبلج صبح النصر . كان المسلمون فى السلم والحرب صابرين وانقين بما بعد الشدة من الرخاء ، وما بعد الضيق من السعة ، وما مع العسر من اليسر . وكذلك ينبغى أن يكون المؤمن المحتسب ، ينبغى أن يكون شجاعا لا يفرق ، مجاهدا لا يكل ، مقداما لا ينكص ، عزيزا لا يذل ، راجيا لا ييأس .

المؤمن يؤدّى واجبه فى الشدة والرخاء والنعماء والضراء ، لاتبطره النعمة ولاتذله الحاجة.

"ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ، ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور ، إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير" .

شر ما يصاب به الانسان فى حياته اليأس ، وإنما يعصمه من اليأس الصبر . فالصبر آخر الرجاء ، والرجاء سبيل الظفر والداعى إليه والموحى به . ومن الناس من تذهب

بصبره الصدمة الأولى فتطير نفسه شعاعا ، ويأس ويسلمه اليأس إلى الخيبة والهلاك . وعسى أن يكون الظفر قريبا منه ، والنجاح ميسورا لو صبر ساعة واحدة .

ومن الناس من تزيدهم الشدة كبرياء ، ويزيدهم الجهاد رجاء ، كلما اشتد الخطب ارتقبوا انجلاءه ، وكلما أطبقت الظلمات رأوا من ورائها نور الفجر ، يرون بسمة الرجاء فى عبوس الخطوب ، وروح الفرج فى ضيق الكروب . يقول القرآن الكريم . "حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء" .

وقد حدثنى الثقة عن السيد أحمد الشريف السنوسى رحمه الله أنه حارب أعداءه مرة فهزم وتفرق أنصاره وضاقت بالهزيمة أنفسهم وساءت ظنونهم فقال رحمه الله : "هذا والله حين أوقن بالنصر" . فخلق صبره وإيمانه وطمأنينته واستهزؤه بالهزيمة واستكباره عليها وإباؤه أن يعترف للعدو بالانتصار — خلق هذا فى أنفس أنصاره الرجاء والاقدام والصبر ، فردوا الهزيمة على عدوهم ومحقوه فى موقعة هى كبرى المواقع فى جهاد طرابلس أو من كبرياتها . وكذلكم النفوس الأبية تخلق أحيانا قوانين الحياة . ورحم الله الشاعر إقبال الذى يقول : "إن عزائم الأحرار تشير على القضاء والقدر" . وقد جعل القرآن الكريم الصبر فى الحرب تسعة أمثال العدد إذ قال فى سورة الأنفال ، السورة التى ذكرت فيها غزوة بدر : "يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون" — فكان على المسلمين أن يثبتوا لعشرة أمثالهم ولا يعتذروا بقلتهم ، ثم خفف عنهم هذا التكليف فكان على الواحد منهم أن يقاتل اثنين : "الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ، والله مع الصابرين" .

الشدائد تهذب الأفراد والأمم ، وتشيع بينهم التآلف والتعاون ، وتشد عزائمهم وتقوى أجسامهم وأخلاقهم إذا صحبها الصبر الذى يهيئ النفوس ويجمعها لهذا الدرس ، وإذا جزعت النفوس من الشدة وهنت ولم تزدها المحن إلا ضعفا . الرجل الحر يلقى الشدائد باسما راضيا صابرا ، واثقا بالعاقبة الحسنى ، مؤديا واجبه ، باذلا من نفسه وماله لأمته ، معينا إخوانه على البأساء ، قطبا تدور عليه الحادثات وهو ثابت ، وتعركه الخطوب وهو راسخ .

ورحم الله الرافعى الذى يقول :

فلا تتساءل أى جنبيك واقع . إذا اشتبكت يوما حوادثها النكر
ولكن تلق الدهر غير مفزع بصدرك ولتعرا الخطوب كما تعرو
وكن رجلا كالضرس يرسو مكانه ليطحن لا يعنيه حلو ولا مر
فإن تغلب الأبطال فى كل وقعة فما عرفت حرب بها غلب الصبر

عبد الوهاب عزام

خيبة الأبناء

ومسئولية الآباء عنها

إذا تأملنا الطيور وكيف تعامل فراخها عند ما يشتد ريشها وتقوى على الشروع فى الطيران رأينا عبرة ومغزى يستحقان الدرس . فان بعض الفراخ ينشط الى الطيران ويتعلمه فى لباقة وسرعة . وبعضها يلصق بالعش ويرفض الخروج منه الى اقتحام الهواء أو يجبن عنه . وعندئذ ترى أبويه يلطمانه بأجنحتهما ويقهرانه على الخروج . ثم يغريانه بالطيران شوطا بعد آخر حتى يمهر فيه . وبعد ذلك نجد الروابط العائلية تضعف حتى تنتهى بالانفصال بين الجيل الجديد وبين أبويه .

وما أعظم العبرة لنا فى هذا السلوك . فان حب الطيور لفراخها ليس دون حبنا لأولادنا . ولكن الطيور تحس بغريزتها أنها لن تعيش لأولادها ، فهى تعلمها الطيران والاستقلال على ما فى هذا من مخاطر وآلام يعرفها صبياننا الذين يقعون من وقت لآخر على فرخ من فراخ العصافير لا يزال فى طور التربية فيأخذونه بالرغم من صرخات الألم من أبويه .

والدنيا حافلة بالأخطار لنا وللحيوان . وجميع الآباء فى أعماق أنفسهم يحبون لو ينجو الأبناء من هذه المخاطر . ولكن أنى لهم ذلك وهم لن يعيشوا مع أبنائهم الى يوم وفاتهم ؟ وإذن يقضى منطق الحياة على الآباء بأن يعدوا أبناءهم لهذه الأخطار ويعرفوهم بها ويبينوا لهم طرق اتقائها . ولكن هذا الاتقاء لن يكون بالتزام الأبناء البيت بحماية جدرانه فى حضن الأم ودعة السرير مع طعام حاضر وتلبية لكل نداء . والأم تحب أن يتوافر كل ذلك لأبنائها ولكن عقلها يرشدها الى أن الدنيا تقتضى غير هذا الحب المدلل . وتطالبها بتعليم انها الاستقلال ، والطفل بطبيعة الطفولة وما فيها من عجز وتعلق بالأبوين يحب البيت ويرتاح الى دعته وأنسه . ويخشى اقتحام الدنيا . فاذا لم يجد تشجيعا على الخروج وتجرئة على الاقتحام بقى فى تعلقه بالبيت . ثم يثبت فيه هذا الأسلوب للسلوك فيشب عليه ويتخذ من الحياة موقف الريبة والخوف والإحجام .

حدث من زمن قريب أن توفى أحد الأثرياء فى الولايات المتحدة وخلف ولدا وحيدا . فخشى الموكلون عليه أخطار الطريق فكان لا يخرج إلا راكبا يرافقه خادم . ومضت عليه سنوات وهو على هذه الحال المأمونة الهادئة . ولكن خطر لهذا الصبى ذات مرة أن يخرج وحده فغافل الموكلين واقتحم الشارع فلم تمض عليه دقائق حتى كان مقتولا

تحت الأتوميلات التى كانت تجرى متوالية سراعا فى المدن الأمريكية . فهنا قد تعلل الأم وفاة ابنها بإهمال الخدم الذين وكلت إليهم حراسته وإرشاده . ولكن الحقيقة أن هذا الصبى قتل لأنه لم يتدرب على السير فى الشوارع . فإن شوارع المدن من الأمكنة الخطرة ولن نستطيع أن نحرم أولادنا منها مدى أعمارهم ولذلك ليس مفر من أن ندربهم على السير فيها ونعلمهم طرق الاتقاء لمخاطرها .

وهذا هو ما يجب أن يكون شأننا فى سائر الأحوال مع أطفالنا . فإننا لا نعيش لهم نحميهم من أخطار الدنيا . ويجب أن نعودهم الاستقلال ونهيئهم لدنيا نعرف أننا لن نكون معهم فيها فانهم سيعيشون بعد وفاتنا خمسين أو ستين سنة يلاقون فيها عالما من الأخلاق ووسائل العيش يطالبهم بالاستقامة والرجولة والشرف والتهذب فى اللغة والرشاقة فى الهندام . فاذا عودناهم فى طفولتهم أسلوبا من الأخلاق لا يساعدهم على مجابهة الدنيا والوقوف على أرجلهم فى شجاعة واستقلال فإنهم سوف يعيشون عيالا على غيرهم . وعندئذ نكون نحن آباؤهم علة خيبتهم ، وذلك لأن الأخلاق — أو أساليب الحياة — التى تتكون فى سنى الطفولة تستقر ويشق على الإنسان أن يغيرها . وهو أحيانا يكبر بها الى أن يبلغ الستين أو السبعين ، بل إن هذه الأخلاق التى تعلمناها فى حداثتنا وطفولتنا هى التى نعتمد عليها فى الأزمات النفسية ونرتد إليها . لأننا وقت الأزمة النفسية حين نقع فى حاجة ملحة أو شجار طارئ أو غضب أو غيرة أو نحو ذلك من الانفعالات ، نرتد الى أساليبنا الطفلية ونسلك ذلك السلوك الذى تعلمناه فى السنوات الخمس أو الست الأولى من أعمارنا . ومن هنا ذلك الأسلوب الذى نتبعه جميعا فى الخلاف إذا احتد . فقد نعيش السنوات ونحن لا نرد على ألسنتنا ألفاظ السباب ولا ترتفع أيدينا بإماءة البطش . ولكن من منا يستطيع أن يحجز لسانه ويده عن هذا الأسلوب وقت الاحتداد والانفعال ؟

قليل منا هم الذين يفعلون ذلك . وهم أولئك الذين تخلصوا بمجهود عظيم بل عظيم جدا من الأسلوب السلوكى الذى تعلموه أيام الطفولة . بل يمكن أن يقال إن الجريمة نفسها هى ارتداد الى هذا الأسلوب . فان الأطفال فى خلافاتهم واحتداد عواطفهم يشتمون ويضربون . فاذا شبوا على هذا الأسلوب فقد يستطيعون أن ينسوه فى المعاملات العادية . ولكنه يطغى بهم وقت احتداد العواطف . وعندئذ يتخذ هذا الأسلوب الطفلى للسلوك صيغة العنف والجريمة . وهنا يجب أن نذكر ذلك الشاب الذى يحتد مع رئيسه فيعجز عن حبس عواطفه . وتكون نتيجة ذلك فصله من عمله .

وخيبة الأبناء فى الحياة تعلل بعلل كثيرة : منها سوء الصحة الجسمية ، وقلة المهارة الفنية ، وسوء الاختيار للعمل الذى يعمله الشاب ، ونحو ذلك . ولكن هناك أنواعا من الخيبة تعود

الى ذلك السلوك الذى استقر فى سنى الطفولة . وقد ذكرنا منها ذلك المثل البارز فى الطفل الذى عنيت أمه بحمايته ووقته من أخطار الشارع وبالغت فى الوقاية حتى انتهى حاله الى ضد ما قصدت اليه أمه . ولكن هناك أمثالا أخرى لا تبرز مثل هذا البروز . وهى تحتاج الى دقة التحليل كى نردها الى مردها الأخير فى إهمال الأبوين من حيث يدريان أو يجهلان .

فهناك الشاب الذى يطلب الوظيفة بشرط أن تكون فى القاهرة حيث ولد ونشأ . فهو يكره مدن الصعيد بل أحيانا يكره الاسكندرية على ما فيها من ميزات مدنية قد لا تبلغها القاهرة . وحقيقة هذه الكراهة ترجع الى التعلق الحميم بالأبوين والخوف من الدنيا فى صورة الاغتراب والبعد عنهما . فقد نشأ على أن يعتمد على أبويه — أو على أمه — فى كل شىء . اذ هى التى كانت تطعمه وتلبسه وتعطيه النقود لنفقاته وتنتظر عودته وتسرى عنه همومه . وقد ثبت فيه هذا الأسلوب حتى صار لا يطيق الابتعاد عنها يوما كاملا ، دع عنك الاغتراب عنها فى مدينة نائية . وقد تموت أم هذا الشاب فيتزوج فتاة ينقل اليها عواطفه السابقة نحو أمه . وهى عواطف الطفل نحو من هو أكبر منه . وقلما يسعد شاب مع زوجته بهذه العواطف . والأغلب ان الزواج يخيب أيضا الى جنب ألوان أخرى من الخيبة يقع فيها هذا الشاب لأنه لم يتعود الاستقلال .

وهـذا التعلق الحميم بالأم نراه كثيرا فى بيئاتنـا العائلية حين ترفض الزوجة الانتقـال الى مسكن آخر بعيد عن أمها فى غير الحى الذى تقطنه هذه الأم . وأحيانا ترفض الفتاة — باغراء أمها — التزوج بفتى فى بلدة أخرى لهذا السبب نفسه . وهى هنا لا تختلف من ذلك الشاب الذى يحب البقاء فى وظيفته بالقاهرة ويكره الانتقال لوظيفة أخرى فى مدن المديريات ويحارب لمنع هذا الانتقال .

ومثل هذه الاخلاق الطفلية تفاجئنا من وقت لآخر ونحار فى تعليلها لأننا نجهل الأسلوب الذى عاش عليـه صاحبها أيام طفولته . فقبل سـنوات حدث أن رب عائلة فوق الخمسين من عمره تعطل وحرمت عائلته كسبه وتألمت من هذا الحرمان . ثم عرض له عمل فى بلدة تبعد عن القاهرة — حيث مقر العائلة — نحو ساعتين . فقصد اليها وتسلم عمله . وكان المرتب حسنا والعمل لا يتجاوز مهارته وطاقته . ولكنه ترك العمل بعد نحو عشرة أيام وعاد الى عائلته يؤثر التعطل والحرمان على العمل والكسب . أما حجته فكانت بسيطة بل ساذجة وهى أنه لم يقدر على المعيشة وحده فى تلك البلدة . وبالطبع لم تكن زوجته قد رافقته اليها لأنها بقيت بالقاهرة مع الأولاد تعنى بهم وهم فى مدارسهم .

ونكرر القول أن هذا الرجل كان فوق الخمسين بل يقارب الخامسة والخمسين . ومع ذلك لم يستطع التخلص من أسلوب الطفولة الذى نشأ عليه . فقد كان وحيد أمه فخاطته بضروب من

الحماية و بالغت فيها حتى جعلته يخشى الانفراد والاستقلال والاقتحام . ثم تزوج فعامل زوجته كأنها أمه وصار يجهل الوسائل البسيطة للتصرف المستقل. ولم يكن يفارقها أكثر من يوم. فلما عرض له هذا العمل بعيدا عن زوجته عجز عن التصرف عجزا تاما . وأذكر أنى وأنا أحادثه أو وهو يحدثنى عن متاعبه فى تلك البلدة سألته : ألم تستخدم خادما يساعدك على قضاء حاجاتك هذه ؟ فكانت إجابته العاجلة : "لا ما افتكرتش" . وقد يظن القارئ أن هذا مثل متطرف لخيبة التى يقع فيها بعض الناس لأن آباءهم قد بالغوا فى حمايتهم ووقايتهم . ولكن الحقيقة أنه ليست هناك أية مبالغة . وكثير من الناس فى مثل هذه الحال ولكن الظروف لا تفضحهم أو لا تمتحنهم . فهم يروحون ويغدون يؤدون أعمالهم العادية ولا تنشأ مثل هذه الصعوبة بالتعطل والحرمان الا قليلا . ولا يحتاج الانسان لأن يكون قليل الذكاء لكى يقع فى مثل هذا المأزق، لأن أذكى الناس يسلك هذا السلوك اذا كان قد تعلمه فى الصغر واذا لم تكن الظروف قد نقحت فيه أو غيرته بعد ذلك .

وليست الحماية وحدها هى السبب الوحيد لخيبة الأبناء . فهناك ذلك الشاب الخجول الذى يخشى مقابلة الناس عامة والغرباء خاصة . والذى يقلق أشد القلق بل أتعسه اذا طلب اليه مقابلة رئيس . فإن هذا الخجل أو الحياء انما هو ضرب من الخوف. وهو يرجع فى أغلب الحالات الى أب قاس كان يخافه هذا الشخص أيام طفولته . فنشأ وهو يعامل سائر الناس كأنهم أبوه .

وهذه الحياة فى حاجة الى أن نتمرن عليها التمرين الصحيح . وأسوأ التمرين هو ما نحصل عليه أيام طفولتنا من أم تبالغ فى الحب والعطف ، أو أب يبالغ فى الشدة والصرامة . وقد تنبهت الأمم المتمدنة الى ذلك فأنشأت "خيام الصبيان" حيث يجتمع الصبيان فيما بين العاشرة والسادسة عشرة مثلا فى بقعة بالريف أو إلى جوار البحر . وهناك يعيشون مستقلين ، على كل منهم واجب خاص لنفسه فى ترتيب سريره وتنظيف خيمته ، وواجب عام فى تهيئة الطعام للصطافين . وقضاء شهر أو شهرين فى هذا العمل يصحح الاخطاء التى تعود الى التربية العائلية أو يخفف من أثرها .

بل كذلك أنشئت "جمعية المعلمين والآباء" فإن هناك ضروبا من الخيبة فى المدرسة ترجع الى مساوئ التربية العائلية . وهذه الجمعيات تجمع بين الأب والمعلم يتشاوران ويتباحثان فى العلاقة بين المنزل والمدرسة . وكثيرا ما يمكن رد الأسباب للتخلف فى الصبى الى حال منزلية سيئة .

ونظن ان فيما قلنا هنا خميرة للتفكير يمكن أن ينتفع بها الآباء .

رسالة الشباب فى العصر الحديث

بقلم الأستاذ سلامة موسى

يختلف العصر الحديث عن جميع العصور الماضية . ووجوه الاختلاف كثيرة ، ولكن أهمها وأبرزها أن النشاط الانسانى قد اتخذ فى بعض نواحيه اتجاهات عالمية بعيدة المدى . ذلك بأن الانسان قبل مائة سنة تقريبا كان يعيش جماعات كل منها فى قرية ينظر الى شؤونه نظرا قرويا ، أما الآن فالدنيا قد تقاربت وكأنها صغرت وكأنما صار العالم كله قريتنا الكبرى ، فان سرعة المواصلات بالبخار والسيارة والطائرة ، وسرعة نقل الأنباء التلغراف والتليفون والراديو جعلت التجارة والصناعة فى حالة من الانتشار والذيوع لم تكونا تحظيان بمثلها من قبل .

وهذه الحرب القائمة فى أوربا قد اتخذت أيضا امتدادا عالميا لنفس الأسباب التى جعلت للتجارة والصناعة مثل هذا الامتداد ، ففى استطاعتنا نحن سكان القاهرة إن أردنا وبواسطة أجهزة خاصة أن نسمع دوىّ المدافع وأزيز الطائرات فى ميادين الحرب البعيدة ، بل لقد استطاع سفير الصين قبل نحو سبع سنوات أن يثبت لعصبة الأمم اعتداء اليابانيين على منشوريا بأن نقل عن طريق الميكروفون الى الأعضاء فى الجلسة أصوات المعمعة فى الشرق الأقصى .

وقبل نحو ثلاثين سنة كنا نقرأ أخبار المديريات ومدن الريف فى مصر مبسوطة بإسهاب فى الصحف المصرية ، ولكنا الآن نهتم بما يجرى فى توكيو أو برلين أو موسكو كما نهتم بما يجرى فى عواصم مديرياتنا ، لأن الدنيا قد تطورت ، وهذا التطور قد اكسبنا مزاجا عالميا . وفى هذا كسب وخسار معا .

فأما الكسب فهو هذا التوسع الذهنى ونمو المعارف وزيادة البصر بصيرة فى التاريخ الحديث والشعور بالتضامن البشرى . وأما الخسار ففى فقد اننا تلك السذاجة القروية القطرية التى كنا نعيش فيها ، ثم زيادة أعبائنا بزيادة تبعاتنا ، إذ أصبحنا متضامنين مع العالم كله نشاطره مصائبه وسعاداته أردنا أم لم نرد ورضينا أم لم نرض ، ذلك أننا مضطرون الى أن نعيش فى العالم تصدمنا حوادثه ونتأثر بآرائه ومذاهبه كل يوم . والآراء والمذاهب معدية كالأمراض

سواء بسواء ولا نستطيع أن نقيم حاجزا جمركيا دون الآراء والمذاهب نجيز هذا ونمنع ذاك ، لأن عدوى المذاهب كعدوى الأمراض تتسلل وتنفذ فى الخفاء ، فليس أمامنا سوى النور والفهم للتمييز بين النافع منها والمسىء .

وهذه الآراء والمذاهب تحدق بنا وتحوم فوق رءوسنا وتصدم أذهاننا كل يوم، فنحن منها فى حيرة وقلق نشق بهما . وقد كان آباؤنا يعيشون عيشتهم القروية المحدودة فى يقين واستقرار قانعين مطمئنين الى ماورثوا من عادات وتقاليد ، يرون الحق فيما ألفوا أنه الحق، ويرون الباطل فيما تواضعوا على أنه الباطل ، أما نحن فكيف نجزم بأن هذا حق وهذا باطل ونحن نسبح فى نظريات وآراء تتراوح بين نظريات مضطربة متضاربة تمس أصل الإنسان و بين أصول الحكم وطريق الرقى للفرد وللشعب وللمجتمع .

وفى هذا الخضم العاصف من الآراء والنظريات يطالب الشاب العصرى بأن يكون له رأى فى كل شىء، ولن يكون له رأى إلا بعد درس وجهد وتمحيص، بل الواقع الحق أن كل شاب يحس إحساس عصره ويخضع لنواميس الضمير الاجتماعى يشعر بأنه فى كفاح ثقافى واسع الميدان لأنه يجد نفسه مرغما على أن يؤيد أو يعارض هذا الرأى أو ذاك المذهب ، وعلى أن يكون عدوا أو صديقا لهذه الدعاية أو تلك وعلى أن يشايع الصين فى ديمقراطيتها أو يحاز الى روزفيلت فى اتجاهاته الاجتماعية .

وهذا الشاب المستنير الذى يحس أن العالم قريته الكبرى يبعثه كفاحه الثقافى الى العمل، وهو قد يبدأ فى الثقافة متفرجا مستمتعا ، ولكنه ينتهى مجاهدا عاملا .

وما هذا الجهاد وهذا العمل ؟

هما محاولة تحقيق قسط من الإصلاح فى هذا العالم بما تقتضيه ظروف العصر الجديد فلقد ورث العالم تقاليد اجتماعية واقتصادية وأخلاقية ، وحرص آباؤنا وجدودنا على هذه التقاليد، وكانوا محقين فى الحرص عليها لأنها وضعت لنظام بدائى يقوم على الزراعة، والوسط الزراعى بطبيعته هو وسط القرية ، وهو من ثم ساذج تكفيه أبسط الأجهزة الأخلاقية والاقتصادية، ولكن بعد أن استحال هذا الوسط إلى وسط عالمى و بعد أن أخذت الصناعة الآلية مكان الزراعة اليدوية صارت هذه الأجهزة بمثابة الشمعة نشعلها لكى نحاول أن نضىء بها المدينة .

وهذه التقاليد هى التى أدت إلى الحرب القائمة . لأن الحروب — لسوء الحظ — من لباب التقاليد . وألفاظ المجد والنجدة والفروسية وأكاليل النصر إنما هى ألفاظ الحروب التى يحفل بها التاريخ . بل التاريخ نفسه تقاليد ، والدعوة الى الحرب هى نداء التاريخ وصرخة

الماضى الميت والأحقاد المدفونة للأحياء بل للشباب من الأحياء لأنهم هم — دون غيرهم — الذين يكلفون القيام بأعباء الحرب و يعترضون للموت أكثر من غيرهم .

إننا الآن مثقلون بتقاليد كأنها القيود ورثناها عن نظام زراعى محلى ونطالب بتطبيقها على نظام صناعى عالمى، ومن هنا اضطرابنا وحيرتنا وقلقنا ، ومن هنا ينشأ واجب الشباب .

* * *

واجب الشباب هو الاستقلال الروحى والذهنى الذى يمهد لإحداث انقلاب ثقافى .

فإن العالم مزعزع بل مزلزل تهزه مذاهب جديدة وقديمة فى الاجتماع وترجه نزعات غريبة فى فهم معنى التسلط والاستعمار . وقد خرج العلم من أيدى العلماء الى أيدى الساسة فأساءوا استخدامه واستغلاله . فلقد أصبح كل اختراع وكل اكتشاف قصد منه الى خير البشر وزيادة رفاهيتهم وسيلة إلى الشر ، حتى المذياع الذى كان فى بدايته لهوا بريئا وثقافة مفيدة قد صار أداة لنشر البغضاء ودعاية للحرب ، وحتى الميكروبات التى كشف عنها العلماء لكى يكافحوها و يزيدوا عمر الانسان سنوات قد صارت تربى الآن لكى تطلق على الشباب لقتلهم أو تقصير أعمارهم ، وحتى النترات الذى اكشف عنه عالم لكى يستخدم فى زيادة الغلات من الحبوب قد صار يستعمل الآن فى صنع القنابل ، وهكذا الشأن فى الغازات والطائرات .

كل هذا لأن الساسة يتأثرون بما فى كتب التاريخ ولا ينسون مجد الامبراطورية وتسلط القيصرية . وهذه تقاليد تتحدر من التاريخ يختلط فيها اسم اسكندر باسم جنكيز خان باسم نابليون ويحفظها صغار التلاميذ فتشعل مخيلاتهم فيودون أن يتشبهوا بمن سماهم التاريخ عظماء . وهذه الرغبة فى التشبه والمحاكاة هى التى تثمر مثل هذه النار المتأججة فى ميادين أوربا اليوم .

واجب الشباب هو الاستقلال الروحى والذهنى، ولكن الاستقلال لا يتحقق بغير المعرفة، لأن الغاية من هذا الاستقلال هى أن يقول الشاب : " أنا قادر على أن أغير وأصلح بما يقتضيه العقل والعصر " بيد أن القدرة لا تتراءى الا بعد المعرفة والدرس والتثقف . فلكى يستقل الشاب استقلالا روحيا وذهنيا يجب عليه أن يدرس و يتثقف ، ثم يجب ألا تكون هذه الثقافة ثقافة التأمل والاستمتاع والاطلاع ، بل يجب أن تكون ثقافة العمل والكفاح . والمعارف المجردة معارف ذاهبة فى الهواء ، فيجب أن ندرس ما يلابس بيئتنا الاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية . و بيئتنا الآن — بيئة كل فرد مثقف مسئول — هى العالم كله ، فينبغى أن يكون هذا شأن كل واحد منا . يجب أن يلم كل منا بمشكلات العالم وأن يدرس أسبابها وأعراضها وحلولها ، ترقبا لحدوث مثل هذه المشكلات فى وطننا . لأن العصر يطبعنا جميعا بطابع واحد .

أجل ، يجب أن ندرس جميع الحركات الذهنية التي نتصل بأطراف موجاتها أو لانتصل بها وسواء أكانت هذه الحركات خيرا أم شرا ، لكي ننتفع بالأولى ونتقي الثانية .

ولكن الدرس ليس نشاطا فحسب، ليس شراعا بلا مرساة أو بلا بوصلة . فلكي ندرس ولكي يثمر هذا الدرس يجب أن تكون لنا فلسفة توجيهية هي البوصلة والمرساة معا ، تعين لنا اتجاهها وتدلنا على الميناء التي نقف عندها ؛ يجب أن تكون لنا فلسفة توحي الينا مثلياتنا وتوجه شراعنا . وهنا يجب أن نسأل : ماهي الفلسفة ؟

لقد كان أسلافنا يرمون من الفلسفة الى البحث عن ماهية الشيء . ولكننا الآن أدرى بهذا الموضوع منهم ، فان البحث عن ماهية الشيء هو ميدان العلم ، أما الفلسفة فيجب أن تبحث عن قيمة الشيء وأثره ، فمشكلاتنا الفلسفية الآن يجب أن تحتوي على سؤال : ما هي قيمة هذا الرأي وما قيمة هذا المذهب لخير الناس ؟

ومتى سألنا هـذا السؤال ، إننا نجد أن كثيرا من الأبحاث الفلسفية القديمة كان لغوا أو مجرد كلام . بل متى سألنا هـذا السؤال استطعنا أن نصبغ الفلسفة بالصبغة الانسانية ، وبذلك يصير كل منا فيلسوفا ، لأن الفلسفة عندئذ تعالج مشكلات الفاقة والجهل والحرب والسلام والمرض والتربية وما إلى ذلك من مشكلات البيئة ، وتترك مشكلاتها القديمة التي أفنت الأجيال وأذابت أدمغة الفلاسفة بلا جدوى محققة ولا نفع أكيد .

إن العالم كله في حاجة الى التغيير فمن يغيره سوى الشباب ؟

ونقول العالم كله ، لا هذا الوطن وحده أو أي وطن آخر . فليس في الإمكان اليوم أن يعيش وطن مستقلا مستغنيا عن سائر العالم . ذلك أن التيارات الفكرية والروحية تنسل إليه أو تغير عليه كما تفعل الأوبئة سواء بسواء . ثم إن العصر الحديث يطبع العالم بطابعه و يوحد بين مشكلاته . فخلاص قطر من الأقطار لايمكن إلا بخلاص العالم كله . فيجب أن تكون لكل شاب ذهنية عالمية كما يجب أن تكون له فلسفة توجيهية تنصب أمام ذهنه المثليات وتعين له طريق الدرس والتثقف .

إن العالم يسير نحو التوحيد في الثقافة والفنون وفهم الحياة . وهذا التوحيد يخدم السلم والتعاون بين الأمم ، لأنه ينقص الفروق التي توهم الاختلاف والبعد بين الشعوب فيجب أن تساعد على هذا التوحيد .

* * *

خلاصة القول أن العالم في انكماشه وارتباط أقطاره و بلدانه يدعونا إلى واجبات جديدة

وأقيسة جديدة على الشباب أن يستنبطها بالدرس والفهم من الظروف القائمة ، ويستنبطها مستقلا مبتكرا حرا من قيود التقاليد الماضية . فإن أقل ما يقال فى تبرير هذا الاستقلال أننا فى هذا العام ١٩٤٠ نعانى من الفوضى ما ربما ينتهى بدمار مدننا وتقتيل أولادنا امام أعيننا . فالحكمة التى تمثل فى التقاليد والتى نطالب الشباب بأن يركنوا إليها لاتجد التركة من حوادث هذا العام ولا من حوادث الخمسين أو المائة من السنين الماضية .

بل نحن — لو حاولنا — ان نستطيع أن نثبت حكمة التقاليد للشباب سواء فى الاجتماع أو الاقتصاد أو الأخلاق أو حتى فى الآداب أو المثليات ، وهم يرون النتيجة أمام أعينهم فى خراب العالم وقبل ذلك فى التعطل والفاقة . فلا مفر لنا من أن ندعوهم إلى التفكير المستقل . فكل شاب — مصريا كان أم غير مصرى — مثقل فى الوقت الحاضر بتراث من الثقافة والأنظمة كأنها الدَّين الثقيل على التركة يجب عليه أن يتخلص منه قبل أن تخلص له التركة .

وهناك كثير من المتشائمين يحسبون مانحن فيه حشرجة الموت وإيذان الانقضاء للحضارة ، ولكن أسس الحضارة أثبت من أن تمحوها الحرب أو على الأقل حرب واحدة وإن كانت قادرة على زعزعتها . وقد يكون مانحن فيه مخاض الميلاد للعصر الجديد ، فينهى التزعزع الحاضر الى نوع ما من الاستقرار .

ونحن نرى فى الوقت الحاضر حركات بازة وحركات فاجرة فى الاجتماع والسياسة والأخلاق والاقتصاد . فواجب الشباب أن يدرسوا و يميزوا بينها . فالديمقراطية قد تدرس من الكتب ولكنها لا تفهم إلا بعد استقراء أحوال المعيشة التى يعيشها الفلاح فى ريفنا ومقابلتها بتلك الأحوال الأخرى التى تلابس العمال فى العالم المتمدن . والبيئة الصناعية التى أخذت رويدا رويدا تتفشى فى مدننا سوف تجلب إلينا جميع المشكلات التى تعانيها أوربا والتى نحسبها فى أحجام مصغرة .

ومهما يكن هذا الاستقرار المنتظر للعالم عقب الحرب القائمة — إذا نحينا عن أذهاننا فرض الفوضى — فإنه استقرار ينزع الى الحرية نزوعا شديدا . أعنى أنه سيكون استقرار الأحرار الذين يبغون سعادة العالم وراحة البشر .

وواجب الشباب أن يخلقوا دنيا جديدة تقوم على التضامن البشرى ، على المذهب العالمى ، على ثقافة الكفاح للتغيير والإصلاح ، على محو الفاقة ومضاعفاتها من مرض وجريمة ، على الديمقراطية السمحة والتسوية الاقتصادية ، على المجد ببناء البيت النظيف بدلا من الخندق المتين .

وعلى ذلك نستطيع أن نقول واجب الشباب :

(١) أن يستخدموا العلم للخير : للسلم لا للحرب ، لزيادة قوى النور لا قوى الظلام .

(٢) أن يفهموا من التاريخ الماضى أنه قصة المحن الإنسانية وأن يكون كل شاب مسئولا عن المستقبل حتى يصير تاريخنا تاريخ السعادة البشرية .

(٣) أن يكون لكل شاب فلسفة توجيهية هى بوصلته فى الثقافة . وأن يقرأ لكى يعمل لا لكى يستمتع .

(٤) أن يدرس مشكلات العالم ومثلياته . حتى يندمج فى موكب الرقى العالمى العام .

(٥) أن يقيس الرقى بأقيسة عالمية سواء فى الأخلاق أو الاقتصاد او الاجتماع .

(٦) أن يسير فى كل ذلك مستقلا بروحه وفكره لا يخضع الا بهداية عقله بعد الدرس والتفهم .

* * *

والشاب الذى يأخذ على نفسه هذه التبعات هو الشاب الجديد . هو الرجل الجديد الذى تحتاج اليه مصر كما تحتاج اليه كل أمة أخرى ، وإن تفاوتت الدرجة فى الحاجة . وهو ليس الشاب الذى يبلغ الشيخوخة فى سن العشرين أو الثلاثين ويتثاءب كثيرا ويقعد كثيرا على القهوة يقتل وقته فى التسلية .. وهو ليس الشاب الذى ترهل جسمه بالكسل وترهل ذهنه بقراءة القصص والمجلات المصورة . وهو ليس الشاب الذى ينغمس فى الخمر ويطرد السأم بالتدخين .

لا . ليس هذا هو الشاب الجديد الذى ينتظره العصر الحديث . ليس هو أمل مصر أو أمل غيرها من الأمم . الشاب الجديد أعرفه بسيمائه : هو أميل الى النحافة منه الى البدانة ، لا يعرف الترهل فى جسمه أو ذهنه ؛ لأنه متنبه جاهد يدرس ويسأل ويهتم . يقرأ الجرائد والمجلات العالمية ، وله فوق ذلك مكتبة فى بيته . وهو معتكف من غير أن يكون ناسكا . يهتم بمصر ولكن قريته الكبرى هى العالم . وله عادات تعينه على حبس كثير من وقته للرقى الذهنى والكفاح الثقافى . فهو يجهل ألعاب التسلية وإن كان يحب الرياضة ، وهو يكره الخمر والتدخين ، وهو يحاول — حين يتزوج — أن يرفع زوجته الى مستواه الثقافى ، وهو متدين ينظر ويفكر ويتحمل الهموم البشرية . ومثل هذا الشاب يبقى شابا حتى حين يبلغ السبعين أو الثمانين من العمر ، لأنه يأبى أن يتقاعد ويوضع على الرف . فقد تعود ذهنه عادات الدرس

والبحث وتحمل ضميره تبعات الكفاح للخير والبر . وعند أولئك الذين يقيسون السعادة بمقياس الرفاهية والرخاوة والطراوة لا يعدّ هذا الشاب سعيدا . ولكن هل من حق أحد أن يعيش فى مثل الفوضى العالمية القائمة و ينشد السعادة لنفسه ؟ حسبه أن يكون مجاهدا .

كلنا يقول إن العالم فى طور الانقلاب . ولكن هل هـذا الانقلاب الى الخير أم الى الشر ؟ هل هو يقودنا الى توحيد القيصرية أو توحيد الديموقراطية ؟

إن هذا العالم ملك الشباب ، ويجب أن يكونوا أصحاب الرأى فيه . ولن يستطيع قيصر جديد أن يتحكم ما لم يجد خضوعا من الشباب . وقد يكون هذا القيصر قزما فى ذهنه وروحه ولكنه لم يجد المقاومة من الشباب لأنهم اغتروا بأباطيل التـاريخ ولم يستقلوا فى تفكيرهم ولم يناقشوا تقاليدهم .

قد يقول أحد الشباب : مالى وللعالم ؟ ما لى والإصلاح ؟ وعلام هـذا الجهد الذى لا يثمر فى النهاية شيئا ؟ حسبى السعادة التى أجنيها بخدمة نفسى وليأت من بعدى الطوفان .

ولكن هذا الطوفان قد أوشك أن يبلغنا بل نحن على حافته .

فاذا لم تصلح بيئتنا فان مساوئها تعود علينا . ولن نستطيع أن نسعد بالأنانية . والأنانى هو فى النهاية أشقى الناس ، لأنه سيجد بعـد طول الجهد أن مطامعه حين تتحقق لا تساوى المجهود الذى بذل فى سبيلها . فواجب الشباب ألا يكونوا أنانيين ، وأن يلبوا نداء الروح البشرى ، ولا ييأسوا من انبلاج عصر جديد — هذا العصر الجديد الذى يرجو جميعنا أن تثمره الفوضى الحاضرة .

سلامة موسى

فى الأسرة المصرية :

الفتاة والزواج

للدكتور على فؤاد بك

مدير قسم المسائل الصحية بوزارة الصحة

فتاة اليوم هى صاحبة الدور الرئيسى فى إنشاء كيان حياتنا الاجتماعية المقبلة ، وعليها يتوقف إلى حد كبير ما نروم من إصلاح وتحسين للأسرة المصرية .

فالسيدة قد قطعت شوطها ونهجت فى الحياة نهجا خاصا قد يتعذر عليها — إلا إذا تذرعت بقدر عظيم من الشجاعة والإقدام — أن تتركه وتقلب أوضاعا ألفتها وتعدل عن عادات درجت عليها منذ بداءة حياتها الزوجية .

أما الفتاة فالرجاء عظيم فى أن تسلك فى مستهل حياتها المقبلة سبيلا قويما يعود عليها وعلى زوجها وعلى أخلافها وأعقابها ، بل على أمتها جميعا بالخير والبركات .

فتيات مصر نوعان : ريفيات وحضريات . أما الريفيات فلا حاجة بنا إلى الإطالة فى الكلام عنهن ، فهن مخلدات إلى الحياة المنزلية الساكنة ولا يجدن من الملاهى وغيرها ما يصرفهن عن واجباتهن التى تعودن القيام بها كما فرضت عليهن فى هذه الحياة .

وأما الحضريات ومن يقتدين بهن من القرويات فقد أصبحن الشغل الشاغل للقائمين بإصلاح المجتمع المصرى .

وأول ما ينبغى أن نعنى به هو التعرض لتلك السنة الخطرة التى بدأت تعتنقها بعض الفتيات المهذبات وهى عدم التورط فى الزواج ، على حد تعبيرهن ، بدعوى أن طبيعتهن الحرة الطليقة لا تحتمل أسر الزوجية وقيودها المرهقة . أو بحجة أنهن يقمن للمجتمع بخدمات جليلة قد لا تتفق مع واجبات الزواج وحدودها ، كأن تكون الواحدة منهن طبيبة أو مدرسة أو كاتبة أو عاملة أو نحو ذلك ، أو بحجة تعذر الوصول إلى زوج صالح تتفق أهواؤه وأهواؤها ، وهى مادامت فى سعة من العيش بمرتبها فلا ترى نفسها فى حاجة إلى عائل .

ونصيحتى إلى كل فتاة من هذا الطراز أن تبادر إلى العدول عن هـذا السبيل الخاطئ وأن تضع نصب عينيها أن مهمتها الأولى فى الحياة تنحصر فى البيت وتربية الأطفال ، فإذا اتسع أمامها المجال بعد ذلك فلها أن تستغله فيما تشاء من عمل فى الخارج .

وأكبر الظن أن الجمع بين المهنة والزواج ليس فيه أى حرج . والأمثلة على هذا كثيرة . وقد لاحظت فى خلال خدمتى الطويلة أن للطبيبة أو المدرسة المتزوجة احتراما وثقة فى نفوس من تتعامل معهم لا يظفر بهما سواها . فالزواج يا فتاتى العزيزة ليس حرفة أو تسلية يمكن الاستعاضة عنها بغيرها ، بل هو واجب مقدس مفروض علينا جميعا نحو الله والوطن ، فضلا عما فيه من استجابة لدوافع جسمانية ملحة لا يمكن كبتها على الدوام وقد يترتب على عدم إشباعها التورط فيما نعيذ فياتنا من الوقوع فيه من مخاز وشناعات .

أيتها الفتاة المصرية الكريمة : نصيحتى إليك أن تعملى جاهدة على الزواج مهما سما مركزك وانبسط رزقك ونعم عيشك . وما ينبغى أن يصدك شىء عن بلوغ هذا الغرض الأسمى ، بل يجب أن تسعى إليه حتى يتسنى لك أن تتبوئى مركزك اللائق بك بين أترابك وأن تؤدى رسالتك فى الحياة .

وإذا غرك ما أنت فيه الآن من رونق الشباب ونضارته فانصرفت بهما عن الحاجة إلى الزواج ، ففكرى جيدا فيما تؤول إليه حالك عند ما ينضب معين فتونك وتتقدم بك الاعوام ، وتشرفين على خريف الحياة فلا تجدين إلى جانبك زوجا يأخذ بيدك ولا ابنا يواسى وحدتك ويجلو صدأ وحشتك ، وإذ ذاك تندمين ولات ساعة مندم — أنت الآن فى بهاء الربيع وزهره ونسيمه ونوره ، وفى بهجة الصبا ومرحه وسروره ، ولكن لا تنسى أن الأيام لا بد أن تدور دورتها وأنك سوف تبلغين أمسية الشتاء حيث البرد والعبوس والظلام ، وحيث الوحشة والقطيعة والسقام . فالبدار البدار إلى الزواج .

على أننى لا أريد بهذا القول إن ألقى التبعة كلها على عاتق الفتاة وأرميها بالتمرد على الزواج فإن للشاب نصيبه الكبير من المسئولية . ذلك لأنه قد بدأ ينظر إلى الزواج بمنظار أسود حتى اختلط عليه الأمر وأخطأه الصواب . فترى البعض يتغالى فى شروطه : فلا يقبل إلا الفتاة المتناهية فى الجمال والثقافة مع أن مستواه دون ذلك ، والبعض يود أن يتخذ من الزواج مطية لبلوغ مآرب وأطماع ، فتراه قبل أن يعرف شخصية الفتاة يبحث أولا عمن يكون من أهلها أو أسبائها خليقا بمساعدته . ومن الشباب من يفتقدون ثروة الفتاة أو ما قد يؤول إليها من ثروة بعد وفاة والده أو والدتها ، إلى غير ذلك من أغراض بغيضة يبعثها الجشع والأنانية . ونصيحتى إلى هؤلاء أن ينظروا إلى الزواج من ناحيته الصحيحة وأن يتقوا الله فى أرزاقهم و يعلموا أن للزواج قدسية يجب أن تعلو به عن المطامع والمساومات . ولولا أن هذه الناحية خارجة عن نطاق بحثى لوفيتها حقها من الشرح والبيان .

نخرج من هذا الرأى إلى أن الزواج من أوجب الواجبات التى فرضها الله والوطن والجسم على الإنسان . ولننتقل إلى البحث فى السن الملائمة للزواج ، ولننبه إلى أن التبكير فيه أبلغ ضررا من التأخير بالنسبة للفتاة ، وذلك لأن للزواج تكاليف ومقومات تتطلب استكمال النضوج العقلى الذى يساعد على إدارة شؤون البيت وحمل مسئولية الأسرة بكفاية ودراية ، وتقتضى تمام النمو الجسمانى للنهوض بأعباء الحمل ، وما يكتنفه من مشاق لا يقوى عليها الا الجسم السليم الكامل النماء .

كان آباؤنا وأجدادنا — والريفيون منهم بنوع خاص — يعمدون إلى تزويج بناتهم فى سن العاشرة أو الثانية عشرة فكنا نرى هؤلاء الصغيرات يرزحن تحت أعباء الزواج من حمل وولادة ورضاعة وهن بعد فى دور التكوين . وهكذا كانت تطالعهن الحياة البيتية كاشرة الأنياب قبل أن يستوفين حظهن من التربية والتهذيب والدراية والنمو الجسمانى ؛ ولا يخفى ما فى ذلك من الأضرار . والرأى عندى أن السن المناسبة لزواج الفتاة يجب أن تتراوح بين ١٨ و ٢٥ سنة ، أما الفتى فبين ٢٥ و ٣٠ سنة .

شروط الزواج :

ولأنتقل بعد ذلك إلى الكلام على مشكلة النسل ، كثرته وقلته ، وهل فى الاستطاعة وضع ضابط لها يمكن الرجوع اليه .

هذه المشكلة الاجتماعية قد تضاربت فى شأنها الآراء وتشعبت الأقوال . فالبعض يرى الإقلال كى تتاح للوالدين العناية التامة بالأولاد ، وكفالة تعليمهم تعليما صحيحا والإنفاق عليهم فى سهولة ويسر ، والبعض يرى الإكثار من النسل لمصلحة الأمة حتى ولو أنتج الكثير من الفقراء المعسرين الذين يتعذر عليهم إمداد أولادهم بالغذاء والكساء والتعليم الواجب . وهم يستندون فى تأييد مذهبهم هذا إلى بعض الأمثال السائرة التى ليس لها من الحكمة نصيب . ويرى آخرون التزاوج بين الإكثار والإقلال على حسب سعة الوالدين فى الرزق .

والأفضل أن نرجع إلى الحقائق المادية لنخرج منها بالنتيجة المرجوة . وإذن نجد أن من الواجب على كل زوجين أن يورثا الأمة اثنين بعدهما على الأقل حتى لا يتناقص عدد الأمة وتنتهى بها الحال الى الانقراض تدريجيا . وإذا نحن أدخلنا فى حسابنا نسبة الوفيات المتوقعة فى الأطفال ، وكذلك نسبة ما تجب إضافته لزيادة عدد الأمة زيادة مطردة ، وإذا علمنا أن كثيرا من الشبان يموت قبل أو بعد سن الزواج وقبل إنتاج المدد المطلوب من الأولاد ، وأن كثيرا من الرجال والنساء لا يلدون إلا نادرا أو هم مصابون بالعقم ، وجدنا

أن كل زوجين يجب أن يكون لها ثلاثة أبناء أو أربعة على الأقل بحيث إذا قلت النسبة عدت أنانية وامتهانا لحقوق الأمة على الفرد، وإذا زادت أصبحت عبئا تصعب معه كفالة الأبناء مهما ضمنت وسائل الرزق .

ولا يفوتنى أن أشير هنا إشارة عابرة إلى أن بعض الحكومات الأجنبية التى شعرت بالحاجة إلى زيادة عدد سكانها زيادة كبيرة لأغراض حربية أوما إليها، تشجع بكل الوسائل زيادة النسل ولكنها فى نظير هذا تتكفل بالإنفاق على كل وليد بعد الابن الرابع . ومعنى هذا أن هذه النسبة هى الطاقة المعقولة لاحتمال الوالدين .

ولا أود أن يتبادر إلى الأذهان أنى أقصد بتقرير هذه النسبة أن المرأة العاقر أو المقلة فى الولادة ينبغى أن تؤدى "الطريحة" المطلوبة منها رغم أنفها، أو أن الأم الولود يجب ألا تتعدى الحد المقرر لها، بل أقصد ألا تعمل الأم على منع الحمل وفى أحضانها ثلاثة أبناء أو أربعة، اللهم إلا إذا قضت ضرورات اجتماعية بذلك .

يجب علينا قبل الزواج (خطيبا وخطيبة) أن نزور طبيب الأسرة ونسأله رأيه فى زواجنا وصلاحيتنا له من الوجهة الصحية، فان وجد أن عظامنا سليمة وأعضاءنا قادرة على مطالب الزواج ولم يجد فينا شيئا من الأمراض التى يتوارثها الأبناء عن ذويهم، وأذن لنا بالزواج أتممناه، والا أجلناه إلى حين شفائنا وقدرتنا عليه .

وقبل أن نقدم على الزواج يجب أن نختار زوجاتنا من أصلح الفتيات جسما وعقلا وتربية، ونراعى فى السن ما قدمنا من الاعتبارات وما أسلفنا من النصائح، ويجب أن نضمن سلامة الأسرتين كلتيهما من الأمراض التى تنتقل بالوراثة كالجنون وغيره، وأن نتحرى طيب العنصر بصرف النظر عن الغنى والفقر فقد قال الله تعالى " إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله " .

دكتور
على فؤاد

جرائم السرقات

لحضرة اليوزباشى صالح زكى
معاون مكتب حماية الآداب

جرائم السرقات أكثر الجرائم وقوعا بمصر . وليس من السهل حصرها وتقسيمها وتبويبها بحيث يستطيع الانسان أن يعرف كل أنواعها فى مثل هذا المقال .

ولكننى سأحاول تبيين ما يهم القارئ منها ، وسأوضح فى هذا البحث كثيرا من حوادث السرقات الشائعة وأنواعها وأساليب ارتكابها والظروف التى ساعدت على حدوثها والطرق التى اتبعت فى ضبط فاعليها وهى تنحصر غالبا فيما يلى :

(١) سرقات من المنازل .
(٢) سرقات من المتاجر .
(٣) سرقات من الطرقات .

وسأتكلم فى مقالى هذا عن جرائم السرقات التى تقع فى المنازل مرجئا الكلام عن سرقات المتاجر والطرقات الى العدد التالى من هذه المجلة إن شاء الله .

سرقات المنازل :

سرقات المنازل هى أكثر الجرائم شيوعا . وقلما حدثت سرقة فى منزل إلا وكان الخادم له اليد الطولى فى ارتكابها ، لأن الخادم بحكم مهنته أقرب الناس الى تعرف محتويات المحل الذى يعمل فيه وأكثر وقوفا على دخائله ومجاهله ومعالمه .

وينسب الاهمال المتسبب من وقوع أكثر حوادث السرقات من المنازل إلى أصحاب هذه المنازل أنفسهم ، لأنهم كثيرا ما يهملون انتخاب خدمهم من ذوى السيرة الحسنة والماضى السليم ممن يحملون شهادات تدل على حسن سيرهم وسلوكهم .

وكثيراً ما يلجأ بعض اللصوص إلى مكاتب التخديم وأيديهم خالية من الشهادات أو يكونون قد حصلوا على إيصال توريد رسم الشهادات لإدارة تحقيق الشخصية فيطمئن إليهم

أصحاب تلك المكاتب و يلحقونهم بالمنازل على أنهم مرخصون . فما هى إلا عشية أو ضحاها حتى يرتكبوا جرائم السرقات و يفروا بما تصل اليه أيديهم، وهيهات أن يقف الإنسان لأحدهم على أثر الا إذا ساعده الحظ أو واتاه التوفيق .

فقد حدث فى سنة ١٩٣٠ أن أحد أصحاب مكاتب التخديم ألحق خادما من هذا النوع بسراى أحد الكبراء بالزمالك فلم يلبث هـذا الخادم يوما وليلة حتى وقف على محتويات السراى وكان ضمنها خزانة كبيرة من الحديد بالطابق الأول تحفظ فيها الأسرة جميع المجوهرات والمصوغات وكانت تقدر بنحو ثلاثة عشر ألفا من الجنيهات . وأدرك الخادم بفطنته أن مفتاح هذه الخزانة يحفظ فى أحد أدراج مكتب صغير بنفس الطابق الذى يخلو عادة بعد العشاء من أفراد الأسرة حيث يأوون إلى مضاجعهم بالطابق الثانى .

واستيقظ أفراد الأسرة فى صباح اليوم التـالى فلاحظ بعضهم أن الحالة بالطابق الأول ليست منتظمة وتفقدوا الخزانة الحديدية فوجدوها مقفلة كما هى إلا أنهم عند فتحها وجدوا أن الصناديق والعلب التى بها الجواهر مبعثرة وأن ما كان فيها من حلى وجواهر قد سرق . واتجهت الشبهات إلى الخدم، فلم يجدوا من بينهم الخادم الجديد "محمد" فانحصرت التهمة فيه دون باقى الخدم لأنهم كانوا جميعا ممن بيدهم شهادات دالة على حسن سيرتهم وقد قضوا مدة طويلة فى خدمة الأسرة وكانوا موضع ثقتها لمـا عرفوا واتصفوا به من الأمانة والعفة وبلغ الحادث للبوليس فانتقل المحققون إلى السراى، وكم كان مخجلا أن الفاعل لم يكن يعرف أحد من أمره شيئا أكثر من أنه يدعى " محمد " فاستدعى المحقق صاحب مكتب التخديم ولمـا سئل اتضح من أقواله أن اللص حضر إلى مكتبه وأوهمه أنه من ذوى السيرة الحسنة وأنه يريد الخدمة ليحصل على قوته وطلب منـه أن يلحقه بخدمة أحد المنازل فرفض حتى يحصل على رخصة من إدارة تحقيق الشخصية بذلك، ولكن اللص ذهب وعاد فى اليوم التالى وقدم إيصالا أحمر تصرفه إدارة تحقيق الشخصية نظير رسم قدره عشرون قرشا لكل شخص يطلب رخصة لمهنة يريد احترافها بعد أن تؤخذ بصماته وصورته الفوتوغرافية، فانخدع صاحب المكتب بهذا الإيصال وتوسط له فى الخدمة . وقد ضبط هذا الإيصال فكان مفتاحا مفيدا فى التحقيق إذ انتقل المحقق إلى إدارة تحقيق الشخصية وهناك عرفت صورة المتهم وعرضت على الأسرة المجنى عليها فعرفوها وروجعت صحيفة سوابق المتهم بعد فحص بصماته فاتضح أنه لص خطير، وأنه من ذوى السوابق فى السرقات وأنه حكم عليه ثمـانى مرات فى حوادث سرقات من منازل متعددة كان يلتحق فيها بالطريقة التى ذكرناها وعرف اسمه و بلده والجهات التى اعتاد أن يتردد عليها والتى سبق أن ارتكب أكثر حوادثه السالفة فيها وراح رجال المباحث يقتلون كل مكان فى القاهرة بحثا وراء الفاعل دون أن يظفروا به أو يقف

أحدهم على أثره . ولما كان أكثر المجرمين بمصر يفضلون دائما الإقامة بين أهليهم والفرار إلى ذويهم بما تصل اليه أيديهم فقد اتجهت الشبهات إلى أن يكون اللص قد قصد بلدته فأوفد المحقق أحد حضرات ضباط المباحث إلى هناك ولم تمض على الحادث إلا ساعات معدودات ، وقد كان التوفيق حليف هذا الضابط حيث وصل بعد وصول المتهم لمنزل والدته بدقائق ، وهناك وفق إلى ضبطه وما معه من مسروقات ولم يكن قد تصرف إلا فى شىء طفيف منها .

هذه حادثة كانت ولم تزل من أهم حوادث السرقات التى ارتكبت بالقاهرة ، وكان أسلوب ارتكابها ودهاء فاعلها كافيين لحمل الناس على البحث والتدقيق عند اختيار خدمهم .

ومن الأساليب التى يتبعها الخدم اللصوص فى السرقة من منازل مخدوميهم أن تلتحق خادمة بأحد المنازل فتظهر فى أولى أيامها بمظهر الخادمة الأمينة ، حتى إذا اطمأن اليها أصحاب المنزل لا تلبث أن تتفق مع شريك لها على السرقة . فاذا هجع القوم فى مضاجعهم قامت فى سكون الليل تجمع كل ما تصل اليه يدها من مصوغات ونقود وملابس وتقذف به لشريكها من إحدى النوافذ . حتى إذا انبلج الصباح واستيقظ سكان المنزل اكتشفوا السرقة والشقة مغلقة ومفتاحها مع سيدة المنزل والباب قد يكون أحيانا مغلقا بمزلاج من الداخل لم يفتح . ومن ذا الذى يتهم الخادمة فى حادثة كهذه وشأنها شأن أى فرد من سكان الشقة وحكمها حكم أى فرد فيها .

لقد كان ضبط حادثة كهذه وقعت بدائرة أحد الأقسام من أشق الأعمال التى قام بها رجال المباحث ، لأن الجريمة كاد يكون حصولها غير محتمل التصديق ، ولم تكن معرفة الفاعل فيها إلا وليد الصدفة حيث ظهر أثناء البحث أن جارا فى منزل مقابل لمحل الحادثة شاهد الخادمة صدفة وهى تلقى بالمسروقات لشريكها فلم يأبه لذلك إلى أن انتشر خبر الحادثة فى الصباح فتقدم هذا الجار بما لديه من المعلومات للمحقق وذكر أوصاف الشريك وواجه المحقق هذا الجار بالخادمة فلم يسعها إلا الاعتراف وتمكن البوليس من ضبط شريكها وما أخذه من مسروقات . أليس هذا أسلوبا غريبا من أساليب السرقة التى يلجأ اليها الخدم ؟ وهل لنا بعد ذلك أن نطمئن إلى الخدم ونثق فى شرفهم وأماناتهم ؟ إنى أنصح للذين تدفعهم الحاجة إلى الاكثار من الخدم فى منازلهم أن يتخيروا خدمهم من المشهود لهم بالاستقامة وحسن السيرة والذمة الطاهرة ، وألا يسمحوا لأحد منهم ذكرا كان أم أنثى كبيرا كان أم صغيرا بالبقاء بالشقة خصوصا وقت النوم ، وليخصص لهم مكان بالسطح أو خارج الشقة يقضون فيه أوقاتهم بعد الانتهاء من تأدية أعمالهم ، لأن ذلك فضلا عما فيه من حيطة وطمأنينة فإنه يصون أسرار البيت من التسرب إلى الخارج ، وفيه وقاية من شرور هذه الفئة وصيانة للمخدوم وأهل بيته وأولاده من العبث بالأموال والأخلاق .

فاذا كانت الحالة لا تسمح بإعداد مكان خاص للخدم خارج الشقة فإنه يجب على المخدومين أن يعملوا على منع الخدم من الوقوف على مواضع أمتعتهم الثمينة وأموالهم .

قلنا إن حوادث سرقات المنازل أكثر ما يكون مرتكبوها من الخدم ، ولكن هناك حوادث تقع من أشخاص جبلوا على الشر وتأصلت فى نفوسهم روح الاجرام، فهم لا يتعففون عن السطو على أموال الناس فى رابعة النهار، ولا يحجمون عن مهاجمة المنازل فى سكون الليل. ومنهم من اتخذ السرقة وسيلة من وسائل التعيش واللهو فيتفننون فى استنباط أحدث الوسائل للسطو على المنازل حتى أصبحوا عريقين فى الاجرام يتلقى عنهم أحداث المجرمين فنون اللصوصية وأساليب السرقات المتنوعة حتى إذا أتقنوها و برعوا فيها انحطوا إلى أسفل درك من الرذيلة، درك الاجرام وسفك الدماء ، وأمثال هؤلاء فى مصر قليلون ولله الحمد . ولئن كان من العسير أن نذكر كافة الأساليب التى يستخدمها اللصوص فى سرقات المنازل إلا أننا نذكر هنا بعضا منها مما يهم القراء وما يجب أن تتخذه فى سبيل مطاردة هذه الطوائف ومحاربتهم و إحباط خططهم .

ليس من الهين أن يجسر لص بمفرده على سرقة شقة خصوصا إذا أراد سرقتها نهارا و إنما هو يستعين عادة بشريكين له يقوم كل منهما بنصيب خاص فى ارتكاب الجريمة ويقوم هو بنصيب آخر، وفى نظير ذلك يقتسمون ما تصل إليه أيديهم كل بنسبة العمل الذى يقوم به . ومن عادة أكثر اللصوص أنهم لا يسطون على شقة عامرة بالسكان أو الحراس، وانما هم لا يعتدون على مكان إلا بعد أن يسبروا غوره و يتعرفوا دخائله ومسالكه ويدرسوا طريق الوصول اليه ، فيذهب أحدهم أولا إلى الشقة التى يتم الاتفاق على سرقتها ليتأكد من خلوها من السكان ومن خلو الطريق الموصل اليها من الرقباء فيطرق باب الشقة فاذا وجد بها أحدا ادعى اللص أنه حضر للسؤال عن شخص يختلق له اسما، وان اتفق أن أحدا باغته فى طريقه الى الشقة اختلق له رواية مكذوبة كأن يذكر أنه حضر للبحث عن صديق أو أنه عامل يريد اصلاح شىء . وفى تلك الحال يعود أدراجه ليحذر أعوانه ليرجئوا التنفيذ لفرصة أخرى . وكثيرا ما يتغالى العريقون فى الاجرام من أمثال هؤلاء اللصوص فيقرعون باب الشقة بشدة وبصوت مسموع ليتأكدوا من خلوها ومن نجاح مهمتهم إذا ما استعصى عليهم فتح الباب بمفتاح مصطنع واضطروا إلى كسره بآلات حادة دون أن ينبه ذلك أسماع السكان والجيران. هذا اللص يسميه أعوانه "الكشاف" لأنه هو الذى يستطلع أخبار الشقة ويكشف لأعوانه عن حالتها وطريقة الوصول اليها . وقد يظن البعض أن مأمورية هذا الكشاف من السهولة بحيث لا يحتاج إلى بذل أى مجهود أو احتمال أى عناء، ولكنه فى الواقع يعرض نفسه إلى الاتهام بجريمة دخول منزل بقصد ارتكاب جريمة. ولكن الناس لا ينتبهون

إلى أمثال هؤلاء بل يدعونهم يفلتون من طائلة العقاب فكم من مجرم وقع فى مثل هذه الجريمة وتركه السكان والجيران تحت تأثير الشفقة أو حسن الظن فكان ذلك سببا فى تماديه فى الإجرام .

قلنا إن مهمة اللص الكشاف قاصرة على اختبار الطريق الموصل إلى الشقة . فعند ما "يجس" الكشاف الطريق ويجده آمنا يعود إلى زميله فيذهب أحدهما ويسمى "الهجام" إلى باب الشقة بعد أن يزوده الكشاف بمعلوماته وملاحظاته . وعمل هذا الهجام قاصر على فتح باب الشقة إما بمفتاح مصطنع أو طقاشة أو بكسر باب الشقة بآلة حادة حتى إذا تم له ذلك دخل الشقة وفتح ما يكون مغلقا من أبوابها وأبواب وأدراج الدواليب التى بها حتى يصير نقل ما خف حمله وغلا ثمنه سهلا فيرد باب الشقة بهدوء ثم يعود الى زميله الثالث ويسمونه "الشيال" وهذا هو الذى يتم الجريمة وذلك بدخول الشقة وجمع المسروقات وإخفائها فى ملابسه إن كانت نقودا أو مصوغات ، أو بلفها فى ملاءة أو بطانية إن كانت ملابس أو أشياء أخرى ذات حجم ظاهر كالتحف والأوانى الفضية وغيرها . ثم يعود بها إلى حيث يكون زميلاه فى انتظاره بمكان قريب .

وكثيرا ما يباغت بعض السكان هذا اللص وهو خارج من الشقة بالمسروقات فلا يحرك أحدهم ساكنا ولا يهتمون به وان اهتم أحدهم وسأل اللص عما يحمله ادعى أنه عامل الكى وحضر لأخذ بعض الملابس أو اختلق له أية رواية يخدع بها حتى يتركه .

وفى بعض الأحايين عند ما يتعذر على الكشاف والهجام ايجاد شريك ثالث لهما لنقل المسروقات فإنهما يتفقان على أن يقف أحدهما فى جهة خلفية من المنزل أو العمارة التى بها الشقة التى يداهمانها ويلقى الآخر بالمسروقات اليه من إحدى النوافذ حتى لا يفاجئه أحد بها وهو فى طريقه إلى الشارع .

وأغلب ما تحصل هذه الحوادث فى الشقق الخالية من أصحابها ، إذ ينتهز اللصوص خروجهم للنزهة أو فى أيام الأعياد أو فى أثناء سفرهم للمصايف فيرتكبون جرائمهم وهم آمنون على أنفسهم من المباغتات .

لذلك كان أهم ما يجب على أصحاب المنازل عند ترك مساكنهم أن يهتموا بحراستها إن كان غيابهم عنها لمدة قصيرة أو يخطروا مركز البوليس التابعين اليه ليرتب هذه الحراسة إن كان غيابهم سيطول ، إما لأسباب السفر أو لأى سبب آخر ، وقد أعدت أقسام البوليس فى مكاتب مباحثها الجنائية سجلات خاصة لحصر هذه المساكن وترتيب حراستها ومراقبتها أثناء غياب أصحابها والتعميم عليها من وقت لآخر . ويجب على الجمهور أن يتعاون مع رجال الحفظ وذلك بالالتفات إلى النقط التى ذكرناها . فليس فى استطاعة عسكرى البوليس حراسة كل منزل

وكل شقة فى نقطته مع ما هو مكلف به من الأعمال الأخرى التى لا حصر لها ، وليس من الممكن منع حصول الجرائم من جانب البوليس بغير معونة الأفراد والضرب معه على أيدى العابثين بالقانون . فليكن كل فرد يقظا منتبها شديد الحذر من أمثال هؤلاء لأن "الكشاف" لو وجد فى طريقه عينا واحدة يقظة لعاد يخفى حنين وانصرف هو وأعوانه يجرون ذيل الفشل . و" الحجام " لو وجد أقفال الشقة قوية ومتينة وهو ما يجب أن يكون وما ننصح به لأصحاب المنازل فإنه سيحاول فتح باب الشقة بتكسير هذه الأقفال و يضطر إلى بذل مجهود كبير واستغراق وقت طويل قد يفاجأ فيه بصاحب الشقة أو بأحد السكان .

وكم من حادثة ثبت بعد وقوعها أن سكان الشقة التى تجاور شقة أخرى سرقت كانوا يسمعون أصوات التحطيم فى أقفال الباب فلم يحركوا ساكنا . وكم من كشاف دوهم وهو على باب الشقة فلم يسأله سائل من هو أو لمن أتى أو ماذا يريد . وكم من شيال خرج بالمسروقات دون أن يعترضه معترض أو يسأله أحد عما يحمله .

إن إصلاح مثل هذه الأخطاء ، والوقوف على مثل هذه الأساليب ويقظة الناس واهتمامهم ، كل ذلك إذا أضيف إلى السياج الذى وضعه المشرع لمنع الجرائم بقانون العقوبات كالاتفاق الجنائى ودخول منزل بقصد ارتكاب جريمة ، وضبط المجرم ومعه آلات فتح أو كسر الخ ، لاشك أن كل هذه الوسائل سوف تكون سببا عظيما من أسباب القضاء على كثير من حوادث السرقات وضبط فاعليها متلبسين بجرائمهم .

دخول المنازل للسرقة بواسطة تسلق المواسير :

وهذا نوع من أنواع السرقات التى كثرت وتفشت فى المدن بشكل مروع . وهو أسلوب من أخطر أساليب الإجرام ، لأن السارق بهذه الوسيلة لا يعوزه شريك يسهل له دخول الشقة التى يريد سرقتها . إذ أن فى الوسيلة التى أتقنها وأصبح إخصائيا فيها ما يغنيه عن الاستعانة بأحد .

وليس فى استطاعة كل لص أن يتسلق المواسير للوصول بواسطتها إلى المنافذ الملاصقة لها الموصلة للشقة التى يوطد العزم على سرقتها . بل هناك فئة من اللصوص تخصصت لهذا النوع من السرقة ، فهم يتسلقون المواسير كما لو كانوا يصعدون سلما عاديا بلا مجهود ولا عناء .

وأكثر هذه الجريمة شيوعا بين عمال البياض والسباكين الذين يتقنون التسلق بحكم عملهم ومهنتهم . وهذا النوع من الحوادث لا يرتكب إلا ليلا لأن تسلق المواسير نهارا لافت للأنظار .

ولصوص هـذا النوع لا يتورعون عن ارتكاب جرائمهم فى أى مكان حتى ولو كان آهلا بالسكان .

فقد ثبت فى كثير من الحوادث أن اللصوص الذين يدخلون الشقة بواسطة تسلق المواسير يدخلون غرف النوم ثم يسرقون ما فيها من نقود وجواهر على مقربة من أصحاب الشقة وهم يغطون فى نومهم ، ثم يخرج اللص من حيث دخل وتكتشف السرقة فى الصباح والشقة مغلقة من الداخل بمزلاج قوى متين . وكم يتطرق الشك فى كثير من أمثال هذه الحوادث إلى اتهام خادم برىء أو يتهم صاحب الشقة زوجته أو تتهمه هى بأخذ ما سرق ويدب بينهما خلاف قد يؤدى إلى نتائج سيئة .

وليس هنـاك علاج لمنع حصول هذه الجرائم أنجع من التأكد من غلق المنافذ القريبة من المواسير جيدا قبل النوم . وأسلم من هذا وضع قضبان متينة من الحديد على هذه المنافذ حتى لا يتمكن أحد من الدخول منها للغرف . وحبذا لو توصل المهندسون إلى طريقة لجعل هذه المواسير غير ظاهرة أو تغطيتها بما يجعل التسلق عليها من الصعوبة بحيث لا يجسر لص على اتخاذها سلما لغايته وبذلك نقضى على نوع من أنواع السرقة وأسلوب من أخطر أساليبها .

لصوص الملابس والطيور :

وهنالك فئة من لصوص المنازل قد تخصص كل منهم لنوع معين من السرقة . فبعضهم تخصص لسرقة الملابس المغسولة من على الأسطح ، وبعضهم لسرقة الطيور الداجنة . وأغلب لصوص هذا النوع يستعينون بالنساء والأطفال فى ارتكاب جرائمهم ، لأن الأمكنة التى توجد بهـا مثل هذه المسروقات لا تحتاج إلى استخدام آلات للفتح أو للكسر أو إلى بذل مجهود أو استعمال قوة .

والطريقة التى يتبعها هؤلاء فى ارتكاب جرائمهم هى أنه عند ما يرى أحدهم بعضا من الملابس منشورا على الحبال فوق سطح منزل ، يبعث بطفل إلى حيث يجمعهـا فى حقيبة او شوال يكون قد جهزه لهذا الغرض و يقذف به من جهة خلفية أو من أحد المناور حيث يكون هو فى انتظاره ، و يعود الطفل كما صعد دون ان يشتبه فيه أحد . وفى بعض الأحيان إذا استعصى على مثل هـذا اللص إيجاد غلام لجمع الملابس يصعد هو بنفسه ويجمع الملابس ولكنه بدلا من أن يضعها فى حقيبة ، يلبس ما يناسب جسمه منها بعضها فوق بعض . ومن أطرف ماحدث أن لصا ضبط مرة وهو خارج من أحد المنازل إذ اشتبه فيه البواب وسلمه لعسكرى الدورية فقاده إلى القسم ، وعند ما شرع حضرة الضابط المحقق فى تفتيشه وجده

لابسا إحدى عشرة فانلة وقميصا وست جلاليب وتحتها بعض القمصان والفساتين الحريرية وخمسة كالسونات وثمانية جوارب وقد أخفى فى جيوب الجلاليب بعض المناديل والياقات وكان منظر هذا المتهم أثناء نزع الملابس عن جسمه مما يثير الضحك ويدعو إلى الدهشة .

أما لصوص الطيور فلهم أساليب مختلفة فى مزاولة مهنتهم ، فبعضهم يلقى للأوز والدجاج مادة الداتورة وهى مادة مخدرة إذا تناولتها الطيور خارت قواها وأصبحت لا تقوى على الصياح ، ثم يجمعها اللص بسهولة وينقلها إلى حيث يعمل على إنعاشها ، فاذا استعصى عليه ذلك ذبحها و باعها لتجار الطيور فى الأسواق ، ومن أظرف ما حدث من أحد هؤلاء اللصوص أنه ضبط مرة وهو يحاول سرقة بعض الدجاج بأن ألقى اليها حبوب الأذرة منظومة بطريقة خاصة فى خيط متين حتى إذا ابتلعت الدجاجات هذه الحبوب واستقرت فى حويصلاتها استطاع أن يجذبها من الخيط ويمسك بها دون أى عناء .

وحدث مرة أن أحد اللصوص المتخصصين لسرقة الطيور صعد إلى سطح عمارة وكان بها ثلاث عشش للدجاج والأوز والبط والحمام فسرقها جميعها ووضعها فى قفص كبير عثر عليه بالسطح ونزل بها موهما كل من قابله أنه بائع الطيور . ولما نادت عليه إحدى الساكنات بالعمارة ليبيعها شيئا منها رفض وكان يقول " وأطلع رابع دور وأتعب ، ولا حد يشترى منى والله ما أنا بايع فى العمارة دى لأن سكانها ناس ميعرفوش قيمة الطيور " وهكذا تنطلى الحيلة ويخرج من العمارة بما وصلت اليه يداه . وفى حادثة مماثلة لهذه جمع اللص كل الطيور من السطح وفى أثناء نزوله بالقفص على رأسه شاهدته إحدى الساكنات وكانت ممن اعتدن شراء الطيور بكثرة فاشترت منه ما كان معه من طيور ، وكم كان حنقها عظيما عندما صعدت للعشة لوضع الطيور التى اشترتها حديثا فوجدتها خاوية على عروشها واتضح أن اللص باعها طيورها المسروقة وهرب بعد أن حصل على الثمن .

وليس منع أمثال هذه الجرائم فى الواقع مما يحتاج إلى مجهود أو بحث ، إذ يكفى أن يكون بواب المنزل يقظا فلا يلبث أن يضبط اللص متلبسا أو على الأقل تكون يقظته سببا فى إحباط خطته وفشلها .

أما المنازل التى ليس فيها بوابون فانى أنصح لأصحابها أن يجعلوا للأسطح فيها أبوابا ذات أقفال حديدية متينة لا تفتح إلا عند الضرورة بمعرفة السكان .

ولما كانت هذه الجرائم لا يرتكبها إلا الغلمان غالبا ثم النساء فى بعض الأحايين فإن من الصعب على أمثال هؤلاء أن يتمكنوا من الوصول إلى داخل الأسطح لأنهم لا يستطيعون تحطيم الأقفال وكسر الأبواب . ولتلافى حوادث سرقات الملابس المنشورة على الحبال

أنصح بربط هـذه الحبال فى قوائم متينة على ارتفاع ثلاثة أمتار أو أربعة بعد نشر الملابس عليها، وعند ماتجف يستعان بسلم لفك الحبال من هذا الارتفاع الى ارتفاع بسيط مع ملاحظة عدم ترك السلم بالسطح لأنه لايكون ثمة فائدة من تعليـة الحبال وارتفاع القوائم مع وجود السلم بجوارها .

وأذكر ذات مرة أنه كثرت سرقات الملابس المغسولة فى جملة منازل فى حى واحد وتعددت وكانت الخطة التى رسمناها لضبط الفاعل حى أننا راقبنا أحد المنازل المنشورة على سطحها بعض الملابس مراقبة طويلة استمرت يوما كاملا تقريبا وتمكنا من ضبط اللص وهو يحاول تعبئتها كما ذكرنا آنفا ، وقـد اعترف المذكور بأنه ارتكب كل الجرائم المماثلة التى وقعت فى هذا الحى وأنه كان يبيع كل ماتصل اليه يده فى الأسواق ، وكان من الصعب ضبط كل هذه المسروقات لأن طريقة البيع والشراء فى هذه الأسواق هى فى الحقيقة من العوامل المساعدة على ضياع معالم الجرائم و إخفاق رجال المباحث فى عملهم وسنتحدث عن ذلك فى باب آخر .

يوزباشى
صالح زكى

من فكاهات العرب

كان لابن المعتز دار متهدمة أنفق كل ما يملك على ترميمها . فلما نضب كيسه ولم يتم الترميم ، قال شاكيا :

ألا من لنفس وأحزانها ودار تداعت بحيطانها
أظل نهارى فى شمسها شقيا لقيا ببنيانها
اسود وجهى بتبييضها واخرب كيسى بعمرانها

التربية البدنية وغاياتها

بقلم مستر جون ب . كرمز

أستاذ فى العلوم وفى التربية البدنية

لعل مايبذل اليوم من المال الوفير على الرياضة والألعاب بضروبها المختلفة قد بلغ حدا لم يبلغه من قبل ، فإن عدد المولعين بالرياضة يتزايد سراعا كما أن ميزانيات التشكيلات الخاصة والعامة تصرف المبالغ الضخمة لإعداد المعدات الرياضية كالملاعب والأراضى والمدرجات وحمامات السباحة وأقسام الثقافة البدنية وغيرها .

هذه الرغبة الملحة فى الحياة الرياضية تدفعنا الى التساؤل عن سر اهتمام هذا العدد العديد من الناس بالرياضة ، وعن مبررات هذا البذل الكريم وعما اذا كان التدريب المدنى ضروريا .

والأسباب التى علات بها التمرينات البدنية كثيرة ، فالبعض من الناس يتوسلون بها الى تجميل المدن ، وتنقية الدم والقوة والمقاومة والصحة والسرور والرياضة ، وغيرهم يسرف فى الرياضة لتخفيف ثقله أو زيادته ، هذا الى أن الدوافع للرياضة تختلف باختلاف الجنس والطبقة الاجتماعية والسن والوسط ، فهند تمارسها لأن الرياضة لون شائع ، وعمرو جريا وراء الشهرة ، وزيد حبا فى الاجتماع والمصادقة ، وفلان سعيا وراء المادة ، وغيره بقوة العادة وهكذا .

على أنه ليس هناك اتفاق فى الآراء فيما يتعلق بأثر الرياضة على الكيان العضوى للإنسان ، إذ كثيرا ماتختلف الآراء فى ذلك ، فالبعض يقول إن الألعاب الرياضية مضرة ، بينما غيرهم يقول إنها نافعة ، ويعتقد البعض أنها تعين على نمو البدن وتقويته ، والبعض يظن أنها تؤدى الى إطالة العمر ، بينما غيره يظن أنها مؤدية الى الموت المبكر ، فمن نصدق ؟ فبين المدرب الرياضى المتحمس الذى يبشر بالرياضة كعلاج لكل الأوجاع ، والناسك الدينى المخلص الذى يدعو الى القيام بالفروض والإيحاء الذاتى والبعد عن النشاط المدنى والنسك ، نجد صنوفا متعددة من الناس الذين تختلف وجهات نظرهم فى موضوع التدريب البدنى .

يظهر أن هناك قوما يتظاهرون بالإلمام بكل شيء لأنهم يرون أنهم قادرون على إبداء النصح لك اذا ساء هضمك ، ويتطوعون لإرشادك عن كيفية التدريب وأسبابه .

فى وسط هذه الآراء المتضاربة التى تؤيد الرياضة والتى تقف ضدها ، وهى ترجع فى الغالب الى الدعاية التجارية ، نستطيع لحسن الحظ أن نرجع الى العلم للاستنارة به .

ظواهر الحيـاة :

لم يعد سرّ الحياة فى عصرنا هذا بالقوى الخفية ، أو التى تسمو على الطبيعة ، اذ أن ظواهر علم الحياة والظواهر الاجتماعية تخضع لنفس البحث العميق والتحليل والتجريب التى يطبقها الإنسان على الظواهر الطبيعية . ولقد مرت قرون عدة قبل أن تبلغ العلوم الطبيعية ما بلغته اليوم من التقدم . ولقد سبقت الخرافات والسحر والأساليب الحسية والتأملية طرق البحث العلمى التجريبية خلال هذا التطور ، وبالمثل فان التربية البدنية كعلم ما زالت فى مرتبتها البدائية ، فلكى نشرح الآثار العضوية للتدريب البدنى لا نكتفى بالاستفادة من أبحاث العلوم الأخرى التى تبحث فى مراتب الحياة فحسب ، بل هى تتزود أيضا بنظريات جديدة للتجارب والتحليل ، ومع أن جانبا كبيرا من منهجها الحالى ما يزال يعتمد على المناهج الحسية الا أنه مع تقدم علوم الحياة والعلوم الطبيعية فإن أسسا جديدة تحل تدريجا محل القديمة .

فلمعرفة هـذه الأسس الجديدة وكيف تؤثر على منهج التدريب البـدنى سوف نبحث فى العوامل العضوية والاجتماعية والطبيعية والأسباب الوقائية والتعليمية التى تحدد الميول الحديثة فى الثقافة البدنية .

العوامل العضوية فى التمرين :

من المقرر فى علم الحياة أن التكوين العضوى للإنسان هو نتيجة التطور المستمر خلال ملايين من السنين ، ويظن أن ظاهرة الحياة قد بدأت فى التكوين على سطح الأرض منذ بليون من الأعوام . ومن هذا الحين تطورت الأنواع المختلفة للطبيعة العضوية تطورا جزئيا متمشية مع الوسط الذى يحيط بها ، والانسان يشغل أعلى المراتب فى سلم التطور العضوى من اكثر من خمسمائة ألف عام ، وجسمه ذو تركيب معقد جدا ولكنه يعمل فى توافق اذ تعمل جموع البلايين من الخلايا فى نظام عجيب أخاذ ، فعظامه تنفعه كإطار وروافع ، ودماؤه تزوده بالطعام والبقاء ، وأعصابه صلة بينه وبين محيطه الداخل والخارجى ، وعضلاته تهيئ له الحركة والتوازن .

والحركة العضلية إحدى العوامل الأساسية للحياة ، فان أدق الوحدات العضوية وهى الخلايا تحتفظ بوجودها وتنمو بواسطة الحركات التوافقية والاستعمال ولكنها تتلف اذا حكم عليها بالبلادة وعدم الاستعمال .

وتتركب العضلات من خلايا اسطوانية (ألياف طويلة) متحدة فى مشاقات (حزم) ويقدر أن الجسم يحتوى مايقرب من أربعة بلايين من هذه الخلايا العضلية، ومتوسط طول هذه الخلايا يقرب من بوصة وربع وقطرها $\frac{1}{1000}$ من البوصة. ولو أننا وصلنا أطراف هذه البلايين الأربعة من الخلايا لحصلنا على خيط يكفى للإحاطة بمحيط الكرة الأرضية أربع مرات . وكل عضلة هى حزمة مكونة من آلاف من هذه الخلايا . والعضلة المزدوجة وحدها التى تمكننا من ثنى الساعد على الذراع تحتوى على مائتين وستين ألفا من الألياف . وفى الـ ٧٩٢ عضلة التى بالجسم ٦٩٦ يمكن تحريكها إراديا . وما يقرب من ٤٥ فى المائة من وزن الجسم للرجل المتوسط الحجم عبارة عن أنسجة عضلية .

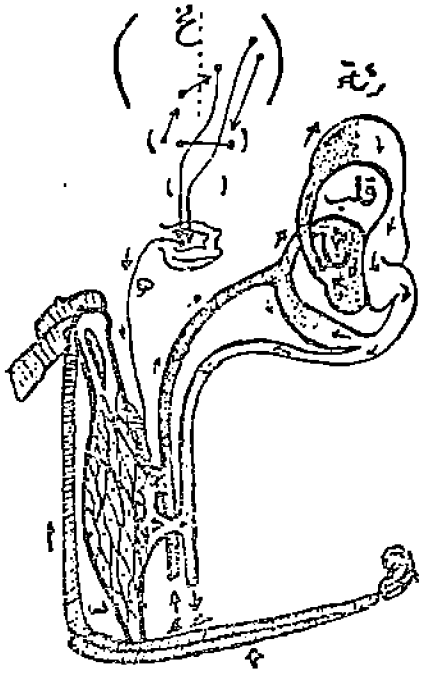

(شكل ١)

نظام الحركة البدنية :

(شكل ١) عبارة عن أبسط بيان للنظام المعتمد للحركة البدنية ، فهو يبين فى (ا) عظمتين و (ب) حزمة عضلية و (ج) شريان و(د) وريد و(ه)عصب ، فعند أداء حركة تقوم العظمتان (ا) بعملية الرفع ، والعضلة (ب) للتقصير أو التقلص ، والشريان (ج) لتزويد المواد الغذائية والأكسجين خلال الدم النقى الذى يجرى فيه . والوريد (د) للتخلص مما يتراكم فيه نتيجة للتعب ، والعصب (ه) لإدارة العضلة ، فمثلا : فى حركة واحدة لثنى الساعد على الذراع تحدث أمور كثيرة لم نستطع بعد تبيانهـــا تماما . ومع ذلك نستطيع أن نقول فى بساطة إننا حين ننوى ثنى الساعد يجرى مثير خلال كثير من الأعصاب المتعـددة بالتتابع من المخ الى العضلة التى تستجيب لذلك بالتقلص وكنتيجة لتقاصهـــا تصغر الزاوية بين عظمة الذراع وعظمة الساعد .

وفى عملية التقلص تستخدم العضلة اكسجينا يحمله الدم الشريانى ، وتتخلص من النفايات بواسطة الدم الوريدى الذى يذهب الى الجانب الأيمن من القلب ، ويدفع القلب الدم الفاسد الى الرئتين حيث ينقى باستقبال الاكسجين من شهيق الهواء وإخراج ثانى اكسيد الكربون . ومن الرئتين يعود الدم النقى أو الشريانى الى الجانب الأيسر من القلب حيث يرجع مرة أخرى الى أنسجة البدن . وتستمر هذه الدورة الآلية لهذه العمليات فى أجهزة البدن ما دام الانسان حيا .

ومن هذا التصوير البسيط الذى ذكرناه أعلاه يتضح أنه بدون الاتصال العصبى الصحيح قد تتعرض العضلة للتحول والضمور ، تبعا لحاجتها للمثير ، وبدون المؤونة الكافية من الدم قد تموت نتيجة لحاجتها الى الغذاء ، وعلى ذلك فالنشاط الصحيح للجهاد العضلى يعتمد على القدار المناسب من النشاط والقدر الطيب من الدم .

بل إنه اذا كان البدن فى حالة تراخ واضحة فان عضلات الجسم تتقلص وتتراخى بدورها الى حد صغير ، وبهذا التوافق الفسيولوجى تحتفظ العضـلات بصحتها ، غير ان السكون المتواصل وفقدان النشاط يقضيان على هـذا التوافق . وعلى النقيض من ذلك فإن نشاط العضلات لا يحفظ عليها حيويتها الطبيعية فحسب بل يزيدها نماء أو يضاعفها حجما ، وفى نمو العضلة لا يزيد عدد الخلايا بل يزيد حجمها الى حد قد يضاعف قطرها .

مقدرة العضلة على الجذب :

تمشى مقدرة العضلة على الجذب مع سمكها ، فالعضلة التى تبلغ مساحة قطاعها المستعرض بوصة مربعة لها قوة جذبية تبلغ ١٤٠ رطلا ، والعضلة التى يبلغ قطاعها ضعف ذلك تكون مقدرتها على الجذب ٢٨٠ رطلا ، وتكبير العضلة يتناسب مع كيه العمل الذى تقوم به فى الثانية ، وكلما زادت مقاومتها للتقلص زاد مقدار العمل الذى تقوم به ، وهذا هو السبب فى أن لاعب الجباز ورافع الأثقال والمصارع لهم عضلات كبيرة .

هذه الاعتبارات السابقة تدفعنا الى التساؤل : هل ينبغى أن نتطلع الى اكتساب عضلات كبيرة ، وهل غاية التدريب المدنى بناء عضلات قوية ؟ .

إننا اذا أخذنا فى اعتبارنا الحقائق التى سبق ذكرها كان المثل الأعلى للجهاز العضلى للفرد ما يتناسب والعمل الذى يؤديه والدور الذى يقوم به فى الهيئة الاجتماعية ، فالمحامى مثلا ليس فى حاجة الى العضلات القوية التى يتطلبها العامل . فكل فرد ينبغى أن تكون عنده من القوة العضلية ما يمكنه من أداء عمله بسهولة والقيام بحركاته البدنية فى رشاقة ، وان يحتفظ بمظهر طيب دون القيام بجهد عنيف .

وبالاختصار فالكيان العضوى للانسان قد هيأ خلال تطوره الطويل خلايا وأنسجة وأعضاء وأجهزة خاصة عملها الأساسى أداء الحركات ، والتربية البدنية تتطلع الى الإبقاء على النظام الآلى للجسم فى حالة صحية بإعطائه الجرعات الضرورية من اللعب والتدريب المنظم تبعا للحاجات الضرورية والجنس والسن والمناخ والدور الذى يؤديه الفرد فى الهيئة الاجتماعية .

العوامل الاجتماعية :

كان أسلافنا قبل التاريخ يعيشون على اتصال مباشر بالطبيعة ، فلم يكن لهم ملاعب أو نظم للرياضة البدنية ، وكان نظامهم فى الرياضة التمرينات الطبيعية من جرى وقفز وتسلق وقذف ، ولم تكن مهنة المدرب الرياضى قد وجدت بعد ، وكانت الطريقة الوحيدة للتدريب لمعترك الحياة بث التعاليم مباشرة من الوالد إلى الولد ، ومن الكبير إلى الصغير ، ولا بد أن غايات الحياة فى هذه الجماعة القديمة كانت الاحتفاظ بعادات النوع وتقاليده ، وحماية الفرد من قوى الطبيعة المعاديه .

ولا يزال يوجد حتى اليوم ما يشبه هذه الأساليب عند بعض الأجناس التى تعيش على الفطرة .

وقد عرف الإنسان تدريجيا كيف يسيطر على قوى الطبيعة ، ولكن مدنيته مازالت يافعة لم تبلغ من العمر سوى ٢٥,٠٠٠ عام تقريبا ، وقد تغيرت بيئة الإنسان الاجتماعية خلال هذه الحقبة تغيرا كبيرا ، وبتقدم المدنية ازدهرت حياة المدن والحياة القومية . وهذا التحول فى أساليب المعيشة استلزم اختراع طريقة جديدة للتدريب البدنى تسمى بالرياضة البدنية ، ومنذ ذلك الحين تغيرت غايات التربية البدنية ومناهجها ونظمها فى مختلف البلدان والعصور تبعا للظروف والرأى الشائع عن غاية الحياة .

فمثلا منذ خمسة آلاف عام ألزم قدماء المصريين جندهم بتدريب عنيف كما لجأت الطبقات الممتازة لصنوف مختلفة من الألعاب الرياضية وألعاب الترويح عن النفس . وفى الصين استعملوا التمرينات لغايات علاجية .

التربية البدنية :

أول من أدخل التربية البدنية فى المناهج الدراسية هم قدماء اليونان إذ كانوا يعتقدون أن الانسان له مظهران معينان هما العقل والجسم . ولهذا كانت مناهج التربية تحتوى على قسمين رئيسيين : الموسيقى لتنمية الملكات الذهنية للفرد ، والرياضة البدنية لتدريب القوى البدنية . وهكذا كانت التربية البدنية فى بلاد الاغريق تشغل حيزا لا ينفصم من حياة كل مواطن . وللوصول بالفرد إلى ما ينبغى من الكمال تعاونت كل العناصر المفكرة فى البلد مثل الكتاب والفنانين والأطباء والمربين ، وأثرى منهج التربية البدنية بما أدخل فيه من الموسيقى والفن والأدب ، وقامت فى ذلك الحين الألعاب المعروفة من أولمبية و يائية وجزرية ونيمية . وفى العهد الرومانى كانت التربية البدنية تكون جانبا من منهجهم الحربى مهملين بذلك غاياتها السامية الرفيعة .

وفى القرون الوسطى سيطرت على العقول نزعات التقشف والتعبد فأقصيت التربية البدنية من مناهج الدراسة فى كثير من الأمم حتى نهاية القرن الثامن عشر حين بدأت تنتشر من جديد اتباعا لمبدأ " العقل السليم فى الجسم السليم " ومنذ ذلك الحين نهضت كثير من النظم الرياضية وخاصة فى أمسية القرن التاسع عشر إذ بدأت الرياضة البدنية والألعاب الرياضية تحوز شهرة عامة فى مختلف بقاع الأرض . وقيل حينئذ بلهجة التأكيد إن الإنسان ينبغى ألا يتطلع الى تغذية العقل والبدن فحسب بل والروح أيضا . غير أنه بجانب ذلك ظهرت صنوف مختلفة من الأساليب التجارية مثل " السركات " ومعارض العضلات والقوة وألعاب إطالة العمر وزيادة طول جسم الإنسان التى تجاهلت تماما غاية التربية البدنية وأصولها ، ولذلك كان لا بد لإزالة هذا الأثر السيئ الذى علق بالألعاب الرياضية من أن تصبح " التربية البدنية " فرعا من فروع التربية العامة .

وقد تعاونت عوامل عدة فى سبيل هذا التقدم وإذا كانت غاية التربية البدنية ومنهجها قد تغيرا فإن ذلك راجع الى أساليب الحياة والأفكار السائدة فى أيامنا هذه .

فمدنيتنا الآلية ما هى إلا دقائق قليلة فى كرونومتر الحياة العظيم ، وحتى منتصف القرن التاسع عشر كان أجدادنا يعيشون فى الغالب وسط الريف باستثناء جانب منهم يعيشون فى البلاد التجارية . وخلال المدة التى مضت منذ ذلك الحين لم يتغير الوسط الطبيعى أو الطبيعة العضوية للانسان تغيرا كبيرا ، بل إن التغيير العجيب قد حصل فى الأوساط الفنية والاجتماعية فماذا كانت هذه التغيرات ؟

ظروف الحياة :

تغيرت ظروف المعيشة فيما يتعلق بالمسكن والملبس والغذاء والاضاءة والعمل والمواصلات تغيرا هائلا خلال المائة عام الأخيرة ، فبتقدم الصناعة السريع وتقسيم العمل والتخصص وزيادة الانتاج وتكدس السكان فى المدن الكبيرة اصطنع الناس مثلا جديدة فى الحياة أنتجت معضلات جديدة شديدة التعقيد .

فأطفال هذا الجيل ملزمون أن يجلسوا إلى مقاعد المدرسة وهم يعد فى سن مبكر جدا ويبقى غالبهم الى سن العشرين أو بعده يحيون حياة الطالب التى تعتمد على نشاط المراكز العليا (المخ) وتهمل الحركات الآلية للعضلات .

وما أكثر النساء اللاتى يتجاهلن أعمال المنزل ويعتمدن فى سد حاجاته على الآلات أو الأدوات الجاهزة ، هذا إلى أن البعض منهن يسرفن فى حياة الترف والراحة أو السكون بينما يلتزم غيرهن منافسة الرجل فى المدارس والمكاتب والحوانيت والمصانع .

الظروف غير الطبيعية للحياة :

يضطر أولئك الذين يعيشون فى المدن إلى أن يخضعوا منذ الطفولة المبكرة لظروف غير طبيعية فى الحياة ، إذ أن غالب أنواع نشاطنا تميز إلى حد قريب أو بعيد بالوقوف والكتابة والمحاسبة والتفكير والإصغاء والملاحظة وغيرها من دقائق الأعمال ، وقد أنقصت مدنيتنا الآلية من نشاطنا البدنى الكامل وزادت فى أوقات فراغنا ونحن نكد أذهاننا لاستكشاف

الوسائل التى توفر فى العمل ، بل إنا لنحصل على ممراتنا فى دعة ويسر بأن نصغى أو ننظر إلى الأدوار التى يقوم بها قليل من الأفراد ونحن جلوس على المقاعد فى قاعات المحاضرات ودور السينما والمسارح ومدرجات الملاعب الرياضية .

إن أوضح ما يتميز به عصرنا هو الأرائك الوثيرة والمشاهدة الصامتة والعمل العقلى المتواصل والحياة الميكانيكية الملول والسرعة المروعة — والشك — تلك الأمور التى ترهق جهاز الانسان العصبى على حساب أجهزته الأخرى ، وتقطع من أوصال شخصيته بكبت مظاهر نشاطه البدنية والانفعالية ، وينتج عن هذا الانتقاص فى الحركات العضلية الكبيرة وزيادة الجهد على الخلايا العصبية العضلية الدقيقة للكيان الانسانى أن يتعرض المرء لكثير من الاضطرابات العضوية والنفسية التى لم تكن موجودة من قبل . يرجع هذا جميعه إلى أننا قد نسينا سريعا أن أسلافنا كانوا يعيشون خلال عصور طويلة على التناسب فى استعمال قواهم العقلية والبدنية ، لا كما نفعل نحن فى هذه البيئة الآلية مقتصدين على قدر ما نستطيع من نشاطنا العضلى ومجهدين خلايانا العصبية . وقد استرعت هذه الظروف الاجتماعية التى سبق ذكرها أنصار المربين إلى العناية بحياة اللعب كوسيلة من وسائل التربية التى يمكن بواسطة التوجيه الحسن والرقابة أن نجزل النفع بها لبدن الفرد وتكمل بها شخصيته إلى درجة رفيعة .

الأسباب المدنية والوقائية :

يتأثر جسم الانسان بقوى الطبيعة مثل الجاذبية والضغط الجوى وغيرها ، ويقوم جهازنا العضلى بجهود متواصل كى يوفق بين حركات البدن وأثر هذه القوى ، ومع ذلك فإنه من العسير الوقاية التامة من بعض المؤثرات التى تشوه البدن أو تضره .

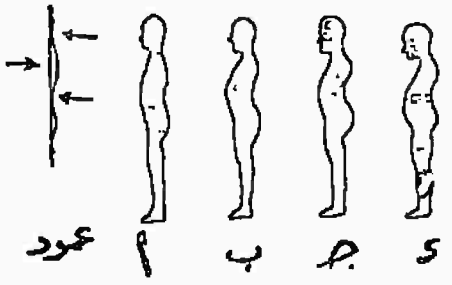

(شكل ٢)

والرسم يبين الانحناءات الطبيعية للعمود الفقرى واستعداده للتشوه وتدرج الوضعيات (ا — ب — جـ — د) وأهم تشوهات العمود الفقرى هى — ا (Scoliosis) أو القوس المسرف فى الانحناء الجانبى و (ب) (Kyphosis) أو القوس المسرف فى الانحناء الى الخلف — الظهر المستدير و (جـ) (Lordosis) أو القوس المنحنى الى الأمام — الظهر الأجوف — وهناك تشوهات هيكلية أخرى وهى (ا) ميل الرأس الى الأمام و (ب) انطباق القفص الصدرى (الصدر المسطح) .

وإن النقص فى حيوية الجهاز العضلى تهيئ عضلات الجسم الى الهبوط أو الانحناء مثل (ا) ارتخاء عضلات البطن الى الداخل أو الخارج و (ب) التركيز غير الطبيعى للدم فى الأوعية المعوية .

وهناك كثير من العلل التى ترجع فى الغالب الى ضعف العضلات وهى (ا) الإمساك كنتيجة لانعدام الحركة التقلصية للأمعاء و (ب) سوء الحالة النفسية التى تنتج عن انحطاط الحيوية البدنية والعقلية و (جـ)ضعف الشهية وسوء الهضم اللذان يمكن أن تنسبا أحيانا للإسراف فى السكون أكثر من نسبتها لسبب المرض .

فإذا أقحم على الجسم ما يزيد على حاجته من الغذاء تحولت هذه الزيادة الى سكر نشوى يختزن فى الكبد والعضلات ، أو الى دهن يتجمع تحت الجلد فى أجزاء مختلفة من الجسم مثل الذراعين والعنق والبطن والأرداف وغيرها .

القيمة الوقودية للأغذية :

تقدر القيمة الوقودية للغذاء بالطاقة — ويحتاج الرجل العادى من ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ طاقة لنشاطه اليومى . ويمكن توضيح هذا بتشبيه الجسم بسيارة والأغذية بالبنزين فاذا زدنا السيارة بنزينا أكثر مما تتطلبه المسافة المراد قطعها كان ذلك حملا لا مبرر له على خزانها ، وبالمثل اذا أكلنا نحن أكثر مما نحرق فى وجوه النشاط لكان ذلك سببا فى زيادة وزننا . ولكى نتخلص من ذلك الوزن يمكننا أن نعمل شيئين (ا) إما التقليل من الأكل أو(ب)التمرينات الرياضية . لكن التدريب وحده لا يكفى للتخفيف من الثقل لأنه بزيادة النشاط البدنى تتحسن الشهية للطعام ويحل محل الدهن الذى يحترق أثناء التمرين دهن آخر ينتج عن الزيادة فى الغذاء ، وهذا هو السبب فى يأس الكثيرين من التخفيف من وزنهم بواسطة الرياضة البدنية .

ويجدر بنا أن نذكر أن رطلا من الدهن يعادل ٤٣٢٠ طاقة ، وقد قدر أنه ينبغى على الرجل الذى يود التخلص من رطل من الدهن بالرياضة البدنية فقط أن يقوم بأداء أحد الأمور الآتية :

أن يمشى ١٤٤ ميلا بسرعة ميلين فى الساعة . أن يجرى ١٧,٣ ميلا بسرعة ميل فى ست دقائق ، أو أن يلعب المبارزة ثمانى ساعات ، أو أن يصارع خمس ساعات ونصف أو أن يلعب كرة الطاولة (بنج بنج) سبع عشرة ساعة ونصف ، أو أن يقفز ٥٧٤١ قفزة أو يجهد نفسه فى لعبة كرة القدم أربع ساعات وثمان وأربعين دقيقة ، أو على المتوازيين سبع ساعات ونصف ، أو أن يؤدى أعمالا كتابية أحد عشر يوما بمعدل ثمانى ساعات فى اليوم ، أو أن يبنى ١٤٧٣١ لبنة (طوب البناء) أو يجرف ١٤٤٧٣٩ رطلا من الرمل إلى عربة ، أو أن يحمل تيارا كهربائيا ٣٧٥ مرة مدة كل منها خمس عشرة دقيقة .

ومن الواضح أن القلة اليسيرة من الناس لهم من الوقت أو الصبر ما يجعلهم يطيقون مثل هذه العمليات التى ذكرت للتخلص من رطل من الدهن فى أجسامهم ، لذلك يجب على هؤلاء الذين يرغبون التخفيف من أوزانهم ألا يلجأوا إلى الرياضة فحسب بل يهتمون بنظام طعامهم أيضا .

الطاقة :

هناك مسألة أخرى ترتبط تمام الارتباط بالتدريب وهى مدى التحمل الذى يقاس بمقدار العمل الذى يستطيع الفرد أن يقوم به دون عناء ، وتعتمد هذه المقدرة على قوة القلب على دفع الدم ، فالعضلات العاملة تحتاج إلى الأكسجين للتخلص من النفايات التى تنتج عن الحركة فاذا لم يرد لها المقدار الكافى من الأكسجين حل بها التعب . وتؤدى الدورة الدموية هذه المهمة جميعها ، ففى الظروف العادية — والجسم مستريح — يدفع قلب الرجل المتوسط الحجم جالونا من الدم للرئتين ومثل هذا المقدار لأجزاء الجسم الأخرى وعلى هذا المعدل يدفع القلب خلال اليوم ١١½ طنا من الدم ، وخلال الحياة (٦٥ عاما) مايقرب من ربع مليون طن بواسطة هذا العضو الصغير ، فاذا مابدأ التمرين بدأ القلب فى زيادة عمله .

وقد دلت الأبحاث الفنية التى أجريت بواسطة الرياضيين على أن قلب الرياضى يستطيع بعد مدة من التمرين المنتظم أن يتحسن عمله بمقدار ٢٠٪ وهو فى الراحة ، ويرجع هذا إلى أن قلب الرياضى يستطيع أن يدفع مقدارا أكبر من الدم فى الدقة الواحدة (قد يبلغ ضعف ما يدفعه قلب الرجل غير الرياضى) ولذلك تقل دقات قلبه فى الدقيقة الواحدة عن غير الرياضى إذا عهد اليه بالقيام بمقدار معين من العمل . فمثلا يستطيع قلب الرياضى الذى

يدق من خمسين إلى ستين دقة فى الدقيقة أن يدفع دما أكثر مما يدفعه قلب الرجل غير الرياضى الذى يدق من سبعين إلى ثمانين دقة فى الدقيقة . وعلاوة على ذلك يجدر بنا أن ننوه بأن القلب الذى يدق ستين مرة فى الدقيقة يعمل عشرين دقيقة ويستريح أربعين من كل ساعة بينما يعمل القلب الذى يدق ثمانين مرة ٢٣ دقيقة ويستريح ٣٧ دقيقة ، وهذا الفرق البالغ ثلاث دقائق فى الساعة يبلغ ١٨ يوما فى العام .

وبالاختصار فإن التمرين المنظم يزيد فى قوة تحمل الفرد لا بتحسين مقدرة القلب عن الدفع فحسب بل أيضا بتمرين الأوعية العضلية على تحمل المقادير الكبيرة من الدم وتوزيعها فى سهولة كبيرة للعضلات العاملة المحتاجة إلى الأكسجين .

وسوف يقنط أولئك الذين يعتقدون أن الرياضة تزيد فى مناعة الجسم ضد الأمراض المعدية إذا عرفوا أن التجارب الحديثة أثبتت أن الرياضى وغير الرياضى سواء فى قابليتهم للعدوى . غير أنه من الثابت أيضا أن الكيان الضعيف المتعب أكثر قابلية للعدوى بأمراض معينة من البدن القوى الصحيح .

ومن الأسباب الوقائية الأخرى للتمرين الرياضى حوادث الحياة المفاجئة مثل الكوارث والمصائب وضروب الفشل فى معترك الحياة واليأس فى الحب والصداقة وغيرها ، فإذا كان الطب الوقائى يعمل على إعداد الانسان لمقاومة الأمراض فالتربية البدنية تعده للحياة القوية الصحيحة . لأن فرص النجاح والسعادة أوفر للفرد الصحيح عقله وبدنه وخلقه وعشرته أكثر من وفرتها لزميله المتعب غير المعد لذلك .

الأسباب التعليمية :

قد خطا علم النفس خلال الخمسة عشر أو العشرين عاما الأخيرة خطوات واسعة نحو التقدم إذ أضافت البحوث التجريبية عن الحيوان والانسان معلومات جمة عن عمليات المراكز العصبية العليا (المخ) ، وقد أدت هذه المكتشفات إلى ثورة فى معلوماتنا عن القوانين العقلية التى تتسلط على كل العلوم والأخلاق .

ومن المتفق عليه الآن أن هناك ثلاث مراتب لتطور النظام العصبى المركزى : أولها المرتبة العضوية التى من وظيفتها الحرص على بقاء حيوية الأعضاء ، والثانية المرتبة الوسطى وهى التى تتحكم فى الحركات المتقنة والعضلات الاضافية اللازمة للكلام واللمس والذوق وغيرها ، والثالثة المراكز العليا ومراكز الارتباط فى المخ التى تمت إلى الأحكام العقلية والمفهومات الخلقية ، وهذه المراتب تتطور صعدا من أسفل إلى أعلى ، وعلى العكس تتلاشى وظيفتها نزولا من أعلى إلى أسفل .

ويمكن أن نأخذ نمو الطفل مثلا لنمو الجهاز العصبي ، فهو يعيش أول أمره عيشا آليا ثم يقوم بعد ذلك بأداء الحركات الادارية ثم يتعلم أخيرا كيف يفكر . وبالمثل يمكن أن نرى التخبط فى وظيفة الجهاز العصبي فى حالات السكر والغضب والانفعالات المنحطة حين تصاب المراكز العليا فتتأثر بذلك المراتب السفلى تدريجيا .

فالجهاز العصبي نظام آلى كامل يربط كل جزء من البدن بأجزائه الأخرى والحركة المنعزلة لجزء من أجزائه تؤدى إلى الملل والضيق وتفكك شخصية الفرد وبعكس ذلك فإن عمل كل أجزائه يتناسق بجلب المتعة والسرور والاستجام .

ولا يستطيع الفرد أن يستشعر الرضى إلا إذا أدى النظام العصبي عمله كاملا و بتناسق. فالإنسان بحكم مواهبه الموروثة يعتبر نتاجا لمجموع تجاربه وضروب نشاطه منذ يولد إلى أن يموت ، فهو يتعلم أول الأمر بواسطة الأعمال التى يقوم بها و يكتسب شخصيته لا بقراءته للكتب بل بتصرفاته الحسنة إزاء المواقف المختلفة التى تعرض له فى الحياة . وليس هناك من قوى سحرية خارقة تفرض عليه العادات الحسنة والميول الطيبة والمواقف الحميدة والحكم السديد بل إن هذه الصفات لتنمو فيه باشتراكه فى أوجه النشاط الصحيحة واتخاذه للأوضاع الصحيحة فى الحياة .

الصحة العضوية الدائمة :

لهذا تفيض الصحة العضوية الدائمة من حياة تقوم على أساس ما يأتى :

(ا) مقادير وأصناف مناسبة من الغذاء ونظام للتغذية .

(ب) تمرينات رياضية وألعاب منتظمة .

(ج) الراحة والنوم الكافيان وأخيرا نوع من العمل يسترعى انتباهنا ويجتذب ميولنا .

وعلاوة على ذلك فنحن نستطيع أن نكتسب الصحة العقلية والبدنية بما يأتى :

(ا) التعرف على الحقائق ومواجهتها .

(ب) وضع حد لمنازعتنا فى هذه الحياة .

(ج) الاشتراك فى أوجه النشاط (لا الخلود إلى الحياة البليدة والقناعة بنصيب المتفرج على الحياة من مقعد وثير) .

(د) اختيار أهداف يمكن الوصول إليها والزحف نحوها دون بلاهة أو يأس .

(ه) تهذيب الانفعالات النفسية التى تثور فينا .

(و) عدم الخشية من النقد .

(ز) خلق الفرص التى تمدنا بخبرة جديدة .

وأخيرا بالعيش وسط الجماعة معيشة تهيئ لنا علاقات إنسانية صحيحة .

وفى منهج النشاط البدنى والألعاب الرياضية نجد أرضا خصبة لإنماء كل الصفات العقلية والبدنية التى ذكرناها قبلا — وبطبيعة الحال ينظر إلى التربية البدنية اليوم كطريقة من طرق التربية التى تعمل على تهذيب الفرد بواسطة أوجه النشاط البدنى مع العناية الفائقة لا بالجانب البدنى فحسب بل بالتناسق الرفيع بين الصلات البدنية والعقلية والخلقية والاجتماعية.

وإنا لنستطيع أن نكتسب فى معسكرات الهواء الطلق والملاعب وأمكنة الرياضة ما تقصيه عنا ظروف الحياة — وإذا كانت المكاتب والمصانع والمعامل تقطع أوصال شخصيتنا وتسرف فى إيذاء صحتنا فإنما نتوجه إلى الرياضة والألعاب للترفيه والاستجمام ويعنى هذا أن التربية البدنية إذا أحسن توجيهها يمكن أن تكون وسيلة طيبة لتمرين رجل الغد .

وللأسباب المتقدمة أنشأت معظم المدارس العصرية والكليات والجامعات أقساما للثقافة البدنية — كما أن هناك فى كثير من الدول مدارس فنية للتربية البدنية تخرج أساتذة ومدرسين إخصائيين فى الرياضة البدنية ومديرين للإشراف على التربية البدنية ولقد علمتنا التجارب أن الحياة هى خير ما نتمتع به على ظهر البسيطة وأن فن المعيشة يجب أن يؤسس على قواعد ثابتة لا أن يترك تحت رحمة الظروف العارضة .

تفسير التربية البدنية :

قد بينا أن العوامل العضوية والاجتماعية والبدنية وكذا الأسباب الوقائية والتعليمية تجعل التمرينات الرياضية مفيدة للفرد من النواحى الجسمانية والعقلية والخلقية والاجتماعية .

والتربية البدنية ترمى إلى ترقية الفرد من جميع نواحيه لا من ناحية واحدة وذلك بتهيئة أوجه النشاط الاجتماعى والبدنى حيث يستطيع الفرد أن يجد فرصة للعمل بصفة طبيعية فى ظروف صحية وسليمة ومرضية ، ولهذا السبب نستفيد من مستكشفات العلوم الطبيعية والحيوية والطبية والاجتماعية .

وزيادة على ذلك فإن التربية البدنية كفرع من علوم التربية العامة لا تعتمد على تلك العلوم التى تتصل بمنهجها فقط بل تقود أبحاثها الخاصة التى تمس نفس نظرياتها متطورة بالتدريج إلى علم تجريبى لفن الحياة .

وعلى الصحف والقوامين على تربية النشء والمتنديات الرياضية تبعة كبيرة لبث غايات التربية البدنية والعمل على تطبيق مناهجها بنجاح وتوفيق ، بل إن علة وجود هذه الهيئات تفرض عليها أن تسفه عادة التفرج وأن تناهض الاستغلال التجارى للألعاب الرياضية والاحتراف وأساليب العرض ، وأن تضع حدا للباريات التى لا يتغى من ورائها — خطأ — سوى تكوين فرق منتصرة بأى ثمن وإحراز الأرقام القياسية على حساب تضحية صحة الشباب.

و إن مجرد وجود هذه الهيئات وصرف الكثير من المال لتنفيذ مناهجها يمكن أن يبرر فقط فى حالة ما إذا أمكن المهيمنون على هذه الهيئات الاجتماعية بذل الجهود لترقية الروح الرياضية وتحسين الأخلاق و إعداد الفرد لحياة منتجة .

جون ب . كرمز
M.P.E., M. Sc.

من هجاء العرب

قال أبو الحسن البرمكى فى صديق أثرى و بنى قصرا :

قلت لما رأيته فى قصور مشرفات ونعمة لأتعاب
رب ما أعظم البناء فيه منزل عامر وعقل خراب

قال بشار وهو يهجو أبا سفيان مشيرا الى الآية القرآنية :

كيف لا تحمل الأمانة أرض حملت فوقها أبا سفيان؟

وقال يهجوه أيضا و يشير الى الوهم الذى كان سائدا على العقول بأن السبع طبقات من الأرض يحملها ثور :

ثقيل يراه الله أثقل من يرى فنى كل قلب بغضة منه كامنه
مشى ودعا من ثقله الثور ربه فقال إلهى، زادت الأرض ثامنه

التعاون بين البيت والمدرسة

تكاد تقتصر العلاقة بين البيت والمدرسة فى مصر على أن يؤدى الأول مصروفات التلميذ وأن يتسلم آخر العام شهادة بدرجاته ونقله أو رسوبه . ومن وقت لآخر تصل إلى البيت بطاقة صغيرة عن غياب التلميذ أو نحو ذلك .

وكثير من الآباء يتوهم أن إدخال التلميذ فى مدرسة ما يرفع عنه تبعة التربية حتى لا يكلف نفسه التفكير فى شؤون الأبناء . مع أن الواقع أن عبء " التربية " يكاد يقع على الآباء وحدهم إذا كان عبء " التعليم " يقع على المعلمين . ففى المدرسة يتعلم التلميذ اللغة والرياضيات وسائر المواد الثقافية . أما فى البيت فإنه يتعلم الأخلاق ويمارس من السلوك ما سوف يؤثر فى حياته المستقبلة من نجاح أو خيبة . بل إن نجاحه المدرسى قد يتوقف على الأسلوب الذى تتبعه عائلته فى معيشتها فى البيت . ونستطيع أن نلمس أثر البيت فى المدرسة حين نذكر أن على البيت واجب العناية الصحية بالتلميذ من توفير الغذاء والراحة له ، إلى إيجاد الجو السعيد حتى لا يحمل معه إلى المدرسة نفسا منقلة بالهموم المنزلية فيتشتت ذهنه ويسوء فهمه للدروس . وعلى البيت أن يقدم القدوة الحسنة فى الأخلاق الفاضلة فى الأم والأب . بل على البيت أن يكسب التلميذ الذوق الفنى فى السلوك .

وهناك مدارس جديدة تسير الآن بإلهام العقول الذكية والقلوب البارة ، وتحاول أن تعلم التلاميذ الأخلاق وتغرس فيهم اسلوبا يتفق والحياة المدنية الديمقراطية . وهى لهذا الغرض قد أنشأت الأندية فى المدرسة لكى يجتمع فيها التلاميذ والمعلمون ويقوم الجميع بمجهودات لا تعتمد على المباراة ولكن على التعاون . كما أن الألعاب الرياضية بل ومكتبة المدرسة قد أصبحت جميعها ميدانا لممارسات اجتماعية يراد منها تعويد التلميذ حمل التبعات الاجتماعية والشعور بأنه عضو عامل فى أمة ديمقراطية له حق التفكير المستقل وواجب العمل للرقى الاجتماعى العام .

ولم نعرف الى الآن فى مصر مثل هذه المدارس وإن كانت هناك محاولات جديدة نحو ايجادها . كما أن الآباء لم يتنبهوا للآن الى حقوق الصبيان . فقد قال احد رجال التربية "إن الصبى الذى لا يستمتع بصباه حتى يعيش طفلا فى طفولته وصبيا فى صباه وشابا فى شبابه لن يكون رجلا فى رجولته . ذلك لأن إفساد الطفولة أو الصبا أو الشباب هو افساد للرجولة" هذا والافساد كثيرا ما يأتى من ناحية تكليف الصبيان واجبات تعدو طاقتهم أولا تغريهم

بالدرس والانتباه فهم يؤدونها كارهين . كذلك التلميذ الذى لا يكاد يؤدى امتحانه وينجح فيه حتى يسارع الى تمزيق الكتب والكراسات التى أبلاها بالدرس وأبلته بالسأم . فان مثل هذا التلميذ على الرغم من نجاحه ان يرجى منه توسع فى هذه المادة أو تلك التى كرهها . وهو عندما يغادر المدرسة لن يفكر فى ترقية معارفه أو التعمق فى ثقافته . وشهادته التى ينالها عندئذ إنما هى شهادة بأنه قد فطم عن الدراسة . فلكى ينتفع التلميذ بدراسته وينشأ على أخلاق قويمة يجب أن يجمع الى الطمع المادى طموحا روحيا وأن يرتاح الى المدرسة ويحبها كما يرتاح الى البيت ويحبه . كما يجب أن تتعاون المدرسة والبيت على خدمته وترقيته والفحص عن عيوبه ومعالجتها اول بأول

وجدير بنا أن نسأل فى مصر : هل بيوتنا قد أعدت الاعداد الحسن لخدمة الطفل ثم الصبى ؟

إن البيت المصرى المتوسط لا يخلو من " صالون " للضيوف ، وهو مؤثث بأغلى الأثاث والعناية بتنظيفه وتجديده لا تنقطع ، مع أن الضيوف الذين يرتادونه قد لا يزيدون على ثلاثة أو أربعة أشخاص فى الشهر فى حين أنه ليس فى بيوتنا غرف خاصة للأطفال يمارسون فيها حريتهم وألعابهم وتسلياتهم . فنحن نطاردهم من غرفة إلى أخرى ونمنعهم من الصياح ونعاقبهم على الوثب ، ولا نبالى أن نفسد عليهم مشروعاتهم الصبيانية عن بيت يبنونه من الخشب أو الرمل ، مع أن لهذه المشروعات من القيمة فى تربية الطفل ما لا يقل عن القيمة فى تعليمهم الحساب أو اللغة ، لأن الصبى يقبل على مشروعاته بحماسة وتفكير ، وهو يثابر على العمل حتى يصل الى نتيجة منشودة فى ذهنه . وليست العبرة هنا بالمشروع فى ذاته وإنما هى بما يؤثر فى ذهن الصبى وما يستنبط منه من اختراع ومثابرة . ولذلك فان كل صبى يحتاج إلى حرية الصياح والحركة واللعب ، ومن الضرر الكبير أن نحيله إلى شيخ وقور يلزم الصمت والهدوء فى حين تطالبه طبيعة صباه بضد ذلك ، وكثير من بيوتنا " شقق " فى مبان كبيرة متعددة الطبقات ، وهى لا تسمح للأطفال باللعب والوثب والصياح والجرى وسائر ألوان النشاط التى تحتاج إلى فناء أو حديقة واسعة ، وفى مثل هذه الحال يجب أن يعنى الأب بتوفير اللعب لصبيانه فى أحد الأندية الخاصة بالصبيان وهى أندية ما زالت للأسف قليلة فى بلادنا مع أنها كثيرة متوافرة فى جميع المدن الأوربية والأمريكية .

ووسط المدرسة عندنا لا يزال على نشأته القديمة ، تكبر فيه العناية بالنظام والصرامة حتى تكاد المدرسة تقارب الثكنة العسكرية . فان المعلم لا يكاد يعرف عن الصبى إلا أنه تلميذ فى فصله بل أحيانا يجهل اسمه ولا يطالبه بأكثر من النجاح فى المادة التى يعلمه إياها . وأحيانا توضع العقوبات بحيث تجعل المدرسة وواجباتها كأنها عقوبة . فان التلميذ يحجز فيها عند ما يهمل بعض واجباته . فيستشعر من هذا الحجز أن البقاء بالمدرسة سيء وأن الانطلاق منها حسن ، وهذا ما لا يحب أب أو معلم أن ينتهى اليه صبى فى منطقه وتفكيره .

وصحيح ان هناك مدارس قليلة شرعت تقارب بين المعلم والتلميذ وتؤسس المؤسسات لزيادة هذا التقارب ، ولكنها كما قلنا لاتزال قليلة . ومن البديهيات فى التعليم أن للعاطفة — عاطفة الحب أو الكراهة — أثرا فى التفات التلميذ أو إهماله لدروسه . فاذا كان الصبي يكره المعلم لأنه يجهله أولأنه لم يجد الفرصة للحديث والتقريب بينه وبينه فانه فى أغلب الأحوال يكره المادة التى يدرسها مهما يكن ذكاؤه وقد يرسب لهذا السبب . فيجب أن تكون العلاقة القائمة بين التلميذ والمعلم علاقة الود والاحترام والتفاهم والبعد عن الصرامة .

فاذا وجد الصبي وسطا حسنا فى البيت وأبوين يقدران حريته واستقلاله ولا يعارضانه فى تصرفاته المعقولة ثم وجد مثل هذا الوسط فى المدرسة : من معلم يعطف على نشاطه ويشجعه ويقبل عليه بكلمات الاعجاب والحب ، إلى ناظر ينظم له الاجتماعات التى ترقى شعوره بتبعاته وتكسبه التقدير الحسن لشخصه ، فانه ينشأ ويسير نحو الشباب دون أن يجد عقبات تؤخر نموه الجسمى أو الذهنى . وهو يدخل عندئذ فى طور الشباب بريئا من المركبات السيئة التى تفسد النفس وتضللها .

وقد شاعت فى الأيام الأخيرة "جمعيات الآباء والمعلمين" وهى تجتمع لدرس أحوال التلاميذ وبحث صعوباتهم العامة . وهناك بالطبع صعوبات خاصة تحتاج الى مقابلات خاصة بين والد التلميذ ومعلمه . ولكن هذه الجمعيات التى أشرنا اليها يراد منها بحث الصعوبات التى تكاد تعترض جميع الصبيان . ويجتمع المعلمون والآباء فيشكو الأب ما يجد من ابنه من إهمال أو مخالفات فى السلوك . ويتناقش الجميع فى ذلك كل يبدى رأيه . وقد تنتهى المناقشة بلقاء التبعة على الأب المشتكى . أو قد يجد المعلم فرصة لتوجيه التلميذ وجهة أخرى . وهناك بالطبع الشاوع أو الشوارع التى تقع بين البيت والمدرسة وهى التى يقطعها الصبي كل يوم فى رواحه وغدوه . بل هناك الميادين والشوارع التى تحيط بالبيت وفى كل منها بيئة اجتماعية خاصة قد تكون حسنة أو سيئة فإن هذه كلها يجب أن تكون موضوع الدرس بين المعلم والوالد .

ونذكر أن أحد النظار للمدارس الثانوية — ونظنه ناظر مدرسة الزقازيق الحكومية — قد أوجد هذه الجمعية وانتفع بها الآباء كثيرا حتى كانوا يلحون فى الحضور فى الاجتماعات . وتحسن وزارة المعارف اذا هى أخذت بهذا النظام وكلفت النظار تأليف هذه الجمعيات حتى يجد التلاميذ العين الساهرة على مصالحهم ونموهم فى البيت والمدرسة معا .

تعليم الكبار

فى بعض الأقطار الأوربية والأمريكية

ذكرت الصحف أن وزارة المعارف تدرس فى الوقت الحاضر مسألة تعليم الكبار . وهذه مسألة قد سبقتنا اليها الأمم الأوربية والأمريكية وعالجتها ، فهناك جمعيات تعنى بهذا الموضوع وتجمع كل ما يتصل به من ترقية هذا التعليم وتنويعه ووسائله ، وهى تصدر المجلات التى توزع على أعضاء هذه الجمعيات للتنوير حتى تستفيد كل هيئة بألوان النشاط الذى تقوم به الهيئات الأخرى .

وتعليم الصبيان الى سن الرابعة عشرة وأحيانا الى سن السادسة عشرة قد أصبح إجباريا فى جميع الأمم المتمدينة تقريبا ، ولكن الشاب الفقير الذى يترك المدرسة فى هذه السن قد يعيش فى وسط زراعى أو صناعى لا يساعده على متابعة التثقيف . بل هو أحيانا قد يقع فى أزمات مالية تعوقه عن شراء الجريدة اليومية التى توسع آفاقه الذهنية . ثم هذه المعارف التى حصل عليها فى المدرسة الى سن السادسة عشرة ليست بالمعارف التى تشبع الطموح الروحى وتصل بين الانسان وبين حركة الرقى الاجتماعى والثقافى فى العالم . ولذلك أسست الجمعيات والمدارس بل أيضا المكتبات وسيلة لزيادة التعليم واستكمال الدراسة .

والمكتبة المجانية هى أعظم الوسائل لتعليم الكبار . وقل أن يخلو حى فى مدينة أوربية أو أمريكية من مكتبة مجانية قد أسسها رجل أو امرأة من الأبرار ، فهو يشترى البناء والكتب ويحبس عليهما وقفا تؤدى منه نفقات الموظفين وثمن الكتب الجديدة واشتراكات الجرائد والمجلات . وسكان الحى يقصدون الى هذه المكتبة للقراءة وللاستعارة ، وبناء المكتبة هو على الدوام متواضع ، وجميع الكتب شعبية ، فلست تجد تلك الكتب الضخمة التى يحتاج اليها الاختصاصيون فى التاريخ أو الطبيعيات أو الكيمياء لأن عامة الشعب التى قصد اليها مؤسس هذه المكتبة لا يحتاجون الى هذه الكتب .

ويزيد الأمريكيون هذه الحركة نشاطا بإيجاد المكتبة المتحركة التى تقصد الى الريف وتعرض الكتب على القرويين لكى يختاروا منها ما يتفق ومزاجهم الثقافى ثم تعود اليهم بعد نحو شهر لكى يستبدلوا بالمجلدات التى قرأوا مجلدات أخرى . وفى أثناء هذا الشهر تكون " المكتبة المتحركة " قد زارت نحو ثلاثين أو أربعين قرية أخرى .

والوسط الزراعى هو الوسط الذى يتعرض سكانه لانقطاع الصلة بينهم و بين الثقافة. ومن هنا العناية الكبيرة التى تبذلها الهيئات الحرة والهيئات الحكومية فى تعليمهم سواء بالمكتبة أو بالمدرسة . والمثل الأنموذجى الذى يضرب على الدوام فى هذا الصدد هو المدارس الشعبية الدنمركية . فان دنمركا قطر زراعى كبير العناية بالزراعة العلمية التى تمتاز عن زراعتنا بالمقدار الذى يمتاز به النجار الدقى من النجار الريفى . والفلاحون هناك لهذا السبب فى حاجة إلى ما ينير أذهانهم عن العلوم التى تتصل بالزراعة .

وهذه المدارس تسير على النظام الداخلى فى الأغلب، وأحيانا على النظام الخارجى. و يفد إليها الفلاحون من الأجراء والفقراء فيندمجون فى نظام داخلى نحو شهرين أو ثلاثة أشهر بما يتفق عندهم وقلة العمل الزراعى . وهناك فى هذه المدارس يدرسون دراسات عالية فى العلوم والفلسفة والاقتصاد والاجتماع بما ينير أذهانهم فى عملهم وفى غير عملهم . وقد أخذت تروج وأسوج بنظام قريب من هذا النظام فى تعليم الكبار من القرويين .

وسويسرا من الأقطار التى عنيت بتعليم الكبار أيضا . وفيها ثلاثة أطرزة من المدارس الخاصة بهذا التعليم وهى :

(١) مدارس الشعب العالية فى زوريخ و برن و بازل .

(٢) مراكز تعليم العمال و يدخل فيها تعليم المتعطلين .

(٣) مؤسسات للتعليم على النظام الداخلى .

وليس التعليم مقصورا على محاضرات أو دروس مدرسية . و إنما هو يتناول الأبحاث الاجتماعية والتدريب الفنى والمناقشات السياسية وبحث العلوم والآداب . ويقوم بتنظيم هذا التعليم هيئات حرة مثل الجمعيات الرياضية ونقابات العمال والجمعيات التعاونية . وقد تحصل إحدى هذه الهيئات على إعانة حكومية أو تقوم وحدها بالنفقات . وجميع الطلبة يؤدون مصروفات مدرسية إلا إذا كانوا متعطلين فإنهم فى هذه الحال يتعلمون بالمجان . والمصروفات مع ذلك ليست كبيرة ، إذ هى تتراوح بين ٢٥ و ٣٢ قرشا لكل مادة . ولكى نعرف طراز الطالب الذى ينتمى إلى هذه المدارس نقول إن "مدرسة الشعب العالية فى زوريخ" كان بها من الطلبة من الجنسين فى عام ١٩٣٧ ما يلى :

(١) ٢٥ فى المائة من عمال المصانع .

(٢) ٣٢ فى المائة من مستخدمى المكاتب .

(٣) ٢٥ فى المائه من أرباب البيوت .

(٤) والباقون من المتعطلين .

أما مؤسسات التعليم على النظام الداخلى فقد قام بتأسيسها الدكتور فرنز فارتنفيلر . وهو يرى أن لهذا النظام مغزى روحيا من حيث جمع الأفراد من الجنسين ومن البيئات المختلفة لكى يثقفوا أنفسهم و يرقوا أذهانهم و يجتمعوا تحت سقف واحد للمناقشة الحرة والدرس المثمر .

وأسوج من الأمم التى عنيت أكبر العناية بالتعليم الشعبى للكبار . وقد زارها المستر مارفيك المدرس فى جامعة أدنبره ووضع كتيبا فى نظام هذه المؤسسات فى ٧٢ صفحة مؤلفة من ستة فصول هى :

(١) مدارس الشعب العالية .

(٢) المحاضرات الشعبية العامة .

(٣) حلقات الدرس والدراسة فى الاجازات .

(٤) الدراسة بالمراسلة وأحاديث الراديو .

(٥) المكتبات .

(٦) التعليم بغير الطرق الرسمية .

وتعنى فنلندا كذلك بتعليم الشعب بعد اجتياز سن الدراسة الالزامية . وهذا التعليم يجرى فى كليات شعبية .

وقد أنشئت الكلية الأولى فى عام ١٨٩٩ فى مدينة تامباى الصناعية ، وكان الغرض من إنشائها تعليم العمال الذين كانوا يعملون فى مصانعها .

ولما حصلت فنلندا على استقلالها عام ١٩١٧ وجدت هذه الحركة دافعا جديدا . فأخذت كليات الشعب تزيد حتى بلغت خمسين كلية عام ١٩٣٩ . ولا يجوز لأحد أن يلتحق بهذه الكليات إلا إذا تجاوزت سنه السادسة عشرة . و يبلغ عدد الطلبة فى هذه الكليات نحو عشرين ألفا .

والتعليم يجرى على طريقتين : طريقة المحاضرة ، وطريقة الدرس . والأولى هى الطريقة المتبعة فى التنوير الاجتماعى العام بإلقاء محاضرات عن الاقتصاديات والفلسفة والاجتماع واللغات والآداب والموسيقا والدرامة . والأستاذ لهذه المحاضرات ينظم حلقات البحث للمناقشة . أما طريقة الدرس فيؤخذ بها فى زيادة المعارف الفنية عند العامل . مثل دروس مسك الدفاتر والاختزال واللغات الحية والموسيقا الجوقية . أى أن العامل يدرس لكى يبتدع فى عمله أو لكى يتزود بمهارة جديدة إلى سابق معارفه .

ولكن كليات العمال على وجه عام تتجه نحو إيجاد ثقافة اجتماعية عامة بين العمال أكثر مما تتجه نحو إلقاء دروس عن أعمالهم .

والذى يقوم بإدارة هذه الكليات والانفاق عليها هو " جمعية العمال التعليمية " وبها نصف مليون عضو ولها ثلاثون فرعا فى أنحاء البلاد . وهذه الفروع تحصل على إعانات مالية من الحكومة تتوسع بها فى مجهودها الثقافى .

* * *

ومن هذا العرض لما يجرى فى أربع أمم هى : دنمركا وسويسرا وأسوج وفنلندا يتضح للقارئ أن الأمم المتمدنة لا تقتصر فى التعليم على المدارس الابتدائية التى يتعلم فيها الصبيان إجبارا الى سن الرابعة عشرة أو السادسة عشرة بل هى تعنى بإيجاد الكليات الشعبية التى تجعل العمال — عاملين كانوا أم متعطلين — على صلة دائمة حية بالثقافة الاجتماعية والعلمية والأدبية .

وهذه الصلة يراد بها قبل كل شىء التنوير العام و إن كان بعضها يزيد هذا التنوير بزيادة المعارف الفنية للعامل حتى يتكمل فى فنه أو صناعته أو يزيد مهارته أو يتعلم فنا آخر قد يحتاج إليه . ولكن الغاية الأصلية هى التنوير العام والاتجاه هو على الدوام أو فى الأغلب نحو الثقافة الاجتماعية . والقائمون بهذه الحركة هم أفراد الشعب أصلا . والحكومة فرعا وتبعا .

ومن هنا نفهم أن " كليات الشعب " فى أوربا ليست بدلا من المدرسة الابتدائية الإلزامية و إنما هى تتمة لها وزيادة عليها بين طبقات الشعب التى اضطر أفرادها تحصيل العيش إلى الكسب والانقطاع عن السير فى مراحل التعليم المدرسى والجامعى .

و بدهى أننا فى مصر نحتاج إلى مثل هذا التعليم . كما نحتاج إلى تعليم الأميين من الكبار ولذلك فإن مسألتنا أكثر تعقدا مما يواجهه المشرفون على التعليم الشعبى فى كل من أوربا وأمريكا .

هذا ولزيادة البحث فى هذا الموضوع نشير على القارئ الذى يرغب فى التوسع إلى الاتصال بالجمعية العالمية لتعليم الكبار وعنوانها (The World Association for Adult Education, 16 Russel Square, London W.C.I)

الراديو والسينما فى خدمة المجتمع

الراديو والسينما بدعتان من بدع العصر الحديث . والسينما يزيد عمرها على الراديو بنحو عشرين سنة . ولكن الراديو على صغر سنه أكثرا إنتشارا . وهو يتفشى تفشيا ديمقراطيا فى الأحياء الفقيرة: فى القهوة والبيت والزقاق فى حين أن السينما لاتزال أرستقراطية تتحيز وتتحدد فى مكان خاص يؤمها جمهور معين يؤدى أجورا عالية أحيانا ومتوسطة فى الأغلب لكى ترى ويسمع .

وأثرهاتين البدعتين فى التربية كبير جدا، وسيكون أكبر فى المستقبل حين يخفض ثمنهما و يتقن أداؤهما بل حين يندمجان فى التلفزيون اندماجا قليل التكاليف لايبهظ العائلة التى تقتنى الجهاز سواء فى الثمن أم فى الإدارة . ونحن إلى الآن لا نقدر الأثر العظيم الذى تحدثه السينما فى رجالنا ونسائنا وصبياننا . فإن الرجل الذى يتردد على الدار السينمائية مرة أو مرتين كل أسبوع يجد سلوى قد تغنيه عن الشراب أو عن نوم القيلولة ويجد معارف جديدة تزيد فهمه للحوادث العالمية كما يجد ألوانا أخرى من الحضارة التى تغريه بأزياء جديدة فى أثاث المنزل وفى الملابس اليومية له أو لزوجته ، وفى طراز المبانى ، بل أيضا فى الأخلاق والسلوك، وكذلك الراديو يؤثر فينا كل يوم بل كل ساعة بما يذيعه علينا من ألحان أو أغان يحملها الهواء إلى آذاننا على الرغم منا فيضرب على أوتار النفس و يكيف لنا مزاجا فنيا له أثره العظيم فى أخلاقنا بل هو يوجهنا بألوان من الفكريات والدعايات .

فنحن فى عصرنا الحديث نتكيف بالراديو والسينما . وتكون لنا أخلاق وأمزجة فنية وتزداد معارفنا وتوجه ثقافتنا من حيث لا نحس مجهودا منا ولا هجوما علينا ، بل يفعل كل ذلك الينا وكأنا أردناه وتتألف لنا من هذه المؤثرات شخصية قد انطبعت فيها آثار ماضية ونشأت فيها آمال مستقبلة وتعين لها سلوك عام . ونحن مع ذلك فى بداية البدعتين أى لما نصل إلى نهايتهما . وكلاهما من المنتجات الكهربائية التى مازلنا نجهل ممكناتها الخطيرة. فإن القوة الكهربائية على الرغم من أنها تقوم لنا بخدمات عظيمة لا تزال فى طفولتها من حيث الاستعمال. وليس اليوم ببعيد حين تغدو هذه القوة الخادم الوحيد فى منازلنا تكنس وتطبخ وتكيف الهواء وتغسل ملابسنا بل وتحلق لحانا . وهى تفعل كل ذلك الآن فى بعض البيوت المترفة .

ولكن فى الترف حيوية ملازمة . فهو ينشأ ارستقراطيا يستأثر به الأغنياء ثم لا يزال ينبسط ويستفيض حتى يعود ديموقراطيا يقتنيه الفقير . وهكذا الشأن فى القوة الكهربائية . فإننا نحن المتوسطين نستطيع أن نخاطب أصدقاءنا الآن عن سبيل التلفون الكهربائى . وأيضا نقتنى الراديو فى بيوتنا . فهل يبعد الزمن الذى يتحقق لنا فيه استخدام القوة الكهربائية فى اقتناء سينما خاصة ؟ بل فى اقتناء تلفزيون يجمع بين الراديو والسينما فضلا عن تنظيف بيوتنا وغسل ملابسنا وطبخ طعامنا وتبريد الهواء وتدفئته بالقوة الكهربائية ؟

وظنى أن هذا الزمن ليس بعيدا . بل ليس بعيدا أن مساقط المياه فى أسوان ستستخدمها استخداما كهربائيا فى إضاءة منازلنا وطبخ طعامنا فى القاهرة . وقد لا تحتاج مع ذلك إلى مد الأسلاك بيننا وبين أسوان .

وقد استطردت إلى شرح بعض الممكنات الكهربائية ، لأن الراديو والسينما كلاهما من محصولات هذه القوة العجيبة . وكلما أزددنا تمكنا من هذه القوة ونفوذا الى أسرارها ازداد الراديو والسينما رقيا حتى ينتهيا إلى الكمال المنشود فى التلفزيون حين يندمج أحدهما فى الآخر فنرى — فى بيوتنا — اللوحة السينمائية ونسمع فى الوقت نفسه أحاديث المتكلمين أو أغانيهم ونرى حركاتهم وإيماءاتهم . ألا ما أجمل وأبهج هذا الأمل ! إننا عندئذ لنشكو قلة الفراغ ، هذا الفراغ الذى نسأم الآن من وفرته ونحاول أن نتخلص منه بساويات بريئة أو أثيمة .

وكلاهما — الراديو والسينما — قد انتقص عند العامة من قيمة القراءة . فان الأمى يستطيع أن يفهم أحاديث الراديو كما يستطيع أن يرى المناظر السينمائية ويتتبعها فى إدراك حسن لمغزاها دون أن يحتاج إلى قراءة ما يكتب لشرحها . ومن هنا قيمة الراديو فى القرية لأنه يكافح الأمية دون حاجة إلى تعليم القراءة والكتابة . فإننا نستطيع أن نعلم الفلاح بل جمهور الأمة من الفقراء الأميين شيئا كثيرا من الثقافة الصحية والزراعية والمدنية اذا نحن عمدنا إلى الطرق المنطقية دون أن نلتزم أسلوبا معينا فى الأداء يعلو على مستوى المستمعين . وقد استطاعت محطة الاذاعة فى القاهرة أن تشترك مع وزارة الشؤون الاجتماعية فى القاء أحاديث اجتماعية إرشادية كما أنها استطاعت أن تلقى دروسا فى اللغات . وهى بالطبع قادرة على التوسع فى هذا العمل بشرط أن تجعل نصب عينيها على الدوام أن المستمع يريد الاستماع كما يريد الانتفاع . وفى مقدور هذه المحطة أن تشترك مع الحكومة فى ترقية الأغانى والألحان . فان بعض أغانينا يشبه أن يكون تثاؤبا أو تنهدا منغمين . وللأنغام تأثير فعال بل سحرى فى النفس . فاذا سمعنا أغنية أو لحنا قد عزفا على أوتار التثاؤب أو التنهد فاننا نحس هذا الاحساس الناعم الحزين فيتأثر به سلوكنا اليومى بل أخلاقنا العامة فنسلك فى أعمالنا سلوك التراخى والكآبة . ولذلك يجب أن تتعاون محطة الاذاعة والحكومة على ترقية الأغانى والألحان بحيث يبعثان النشاط والمرح بدلا من الكسل والنعاس .

أما الأحاديث فكثيرة ونحن لا ننتفع بها كما يجب . ففى أوربا وأمريكا تنشأ حلقات المستمعين الذين يستمعون لهـذه الأحاديث كل جماعة على حدة . فهنا جماعة الأمهات والآنسات اللاتى يستمعن إلى أحاديث نسوية أو منزلية . وهنا جماعة أخرى يستمعون إلى الأحاديث السياسية أو الأدبية أو العلمية . وكل جماعة تدرس وتنقد وتناقش وتتصل بالمحطة وتطلب الزيادة هنا والتنقيح هناك . والمحطة تنتفع بهـذه الحلقات . وإنى أرجو من المستمعين أن يفكروا فى هذا الموضوع . ومثل هذه الحلقات تتيسر أكثر للمجتمعين فى ناد عام مثل جمعية الشبان المسلمين أو جمعية الشبان المسيحية أو أحد الأندية الرياضية أو أندية الموظفين أو غيرها . وهناك يقعد المجتمعون فى ساعة الحديث حول الجهاز فيستمعون ثم يعلقون ويعقبون بآرائهم واستنتاجاتهم وانتقاداتهم .

وجمهور السينما بالطبع أصغر من جمهور الراديو . ولكن الفرص التعليمية فى السينما أكبر وستكون الفرص أكبر عندما يندمجان . وقد اندمجا بالفعل بالتلفزيون الذى تزدان به بيوت الأغنياء — والأغنياء فقط — فى الأقطار الأوربية والأمريكية . ولذلك لا نستطيع أن ننتظر ظهور السينما البيتية فى مصر الا بعد سنوات نرجو ألا تكون كثيرة .

وعندى أن السينما أعظم المخترعات المدنية التى يمكن أن ينتفع بهـا التعليم . بل لا أكاد أعرف السبب الذى يجعل تعليم الجغرافيا والتاريخ مقصورين على الأساليب القديمـة . فان الفرق عظيم عظم الجبال بين التلميذ الذى يحفظ عن ظهر قلب — كما كنا نحفظ — فى صبانا أن سان فرانسيسكو مثـلا فى إحدى مدن الولايات المتحدة الكبيرة على الشاطئ الاطلنطى وبين التلميذ الذى يراها بسكانها الأمريكيين والمهاجرين الاسـيويين اليها ومبانيها الشواهق وحركة النقل الميكانيكية فى شوارعها مع صورة فاتنة مؤلمة ومشجية للزلزال السـابق فيها . انى أقول إنه فرق يعظم عظم الجبال بين التلميذ القديم وبين التلميذ الحديث الذى ينتفع فى تعلمه للجغرافيا بالسينما . وكذلك التاريخ بل كذلك البيولوجية من نبات أو حيوان . وفى الطبيعة من الأسرار العجيبة والجميلة مايستهوى عقول الصغار . فان حياة الغراب أو الحمامة أو بعض الطيور التى تتزوج فى فنلندا وتبيض فى مصر يمكن أن تعرض على اللوحة عرضا يفتن الصغار ويسحر ألبابهم ويجعلهم أبناء هـذا العالم بحق يعيشون فيه بروح الطالب الذى يطلب النور والمعرفة مدى حياته ونستطيع أن نقول مثل ذلك عن حياة النبات وقصة التوابل التى نأكلها كل يوم على موائدنا وهى تنمو بعيدة عنا على أشجار ضخمة فى أقطار تبعد عنا بنحو عشرة آلاف كيلو متر .

ثم أية هواية جميلة هذه التى يحبها الصبيان ثم الشبان فى تفهم جهازى الراديو والسينما ، وهل يظن أحد منا أن شابا قد استهوته هذه الهواية يمكن أن يخشى عليه من مفاسد

الخمر أو القمار أو قتل الوقت فى لعب الورق أو الحجر ؟ أليس فى هذه الهواية مايملأ الذهن ويشحن العواطف بقوة كهربائية تستغل العقل والجسم وتغذوهما معا ؟

وقد سبق أن ذكرت كيف يجب أن يستخدم الراديو فى القرية لتعليم الأميين من فلاحينا وإرشادهم الى مافيه صلاح أخلاقهم وصحتهم وزراعتهم .

إن الفراغ يزداد بين جميع شباننا المتعلمين . وهذا الفراغ إذا لم نعلم شباننا كيف يستخدمونه فى استمتاع نافع صاروا عرضة لأن يستخدموه فى استمتاع ضار . والفراغ مثل كل خواء يحتاج الى مايشغله ولا نستطيع أن نطلب من شباننا أن يتركوا التسليات السيئة مالم نقدم لهم التسليات الحسنة . والشاب الذى تعلم الألعاب الرياضية وأغرم بهواتها يحد بجسمه وقوامه كرامة يحافظ عليها بمداومة اللعب . والشاب الذى أغرم بالسينما لاتفوته قصة جديدة وهو يلوك أسماء الممثلين كما لو كانوا من المعارف أو الأصدقاء ويقص القصص عن تفاصيل حياتهم . بل كذلك من يحب الأتومبيل . ولعل مما يستغربه البعض أن شرب الخمور قد نقص فى كثير من الأقطار الأوربية الى نصف المقدار الذى كان عليه قبل عشرين سنة ، لأن الجيل الجديد وجد هوايات أو تسليات مثل الألعاب الرياضية والأتومبيل والسينما والراديو تشغل فراغه وتصد عنه السأم الذى كان يحسه أبناء الجيل السابق فيهربون منه الى الخمور .

ومن الممكن أن نرقى بالسينما ونعنى بالراديو حتى نجعلهما يخدمان المجتمع أكثر من خدمتهما الحاضرة ويسدان هذا الفراغ الذى يحسه شبابنا والذى ربما يسقطون فى مهاوى الرذيلة لكى يملأوه بعمل ما .

وخلاصة القول أن ممكنات الرقى السينمائى والراديوئى كبيرة جدا . ولا يسع أمة متمدنة أو تنشد الرقى أن تهملها . فيجب أن نساير العصر ونأخذ فى الانتفاع بهما كلما حانت فرصة . وعندى أن حكومتنا يجب أن تؤسس سينما تهذيبية أو تتفق مع إحدى الشركات على إنشائها فى القاهرة وسائر المدن الكبرى لكى يستنير الجمهور برؤيتها . وهى الآن تملك كثيرا من الأفلام التعليمية فلن يكلفها هذا العمل نفقات كبيرة .

كما أنها يجب أن تقيم فى كل قرية جهازا استقباليا أو جملة أجهزة راديوئية ترفه عن القرويين وتنير أذهانهم .

هذا واجب الحكومة . أما واجب الجمهور فهو زيادة العناية بأحاديث الراديو بايجاد حلقات المستمعين التى تدرس وتنتقد . ومثل هذه الحلقات تستطيع إذا كبر شأنها أن يكون

لما رأى يعتمد عليه فى نشاط محطة الإذاعة ، بل فى حمل الحكومة على الاشتراك فى ترقية أغانيها وألحانها وأحاديثها .

ومحطة الإذاعة فى مصر تمتاز بأنها هيئة شبه حكومية تطلب الربح ولكن فى غير ذلك الشره الذى نراه فى الشركات الامريكية التى تعيش مما تنشره من الاعلانات على الجمهور فى غضون الأحاديث والأغانى والألحان. ولكن الشركات السينمائية هى شركات تجارية بحتة ، وهى لذلك تجعل نصب عينيها التسلية دون الفائدة أو قبل الفائدة . والحكومة يتدخلها هنا وهناك تستطيع أن توجه وترشد وتساعد لكى تجعل الفائدة متكافئة مع التسلية . ولكن الحكومة تحتاج الى مؤازرة الجمهور لها ومعاونته إياها .

باقة من الحكم

المرء-نصب مصائب لا تنقضى حتى يوارى جسمه فى رمسه

فمؤجل يلقى الردى فى أهله ومعجل يلقى الردى فى نفسه

نرجو غدا ، وغدا لحاملة فى الحىّ لا تدرون ما تلد

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

فاقبل من الدهر ما أتاك به من قر عينا بعيشه نفعه

فياموقدا نارا لغيرك ضوؤها ويا حاطبا فى غير حبلك تحطب

مؤسسة تعاونية جديدة

جمعية التعاون المنزلى لسكان مدينة القاهرة

الاحتفال بافتتاح محل البقالة

احتفل التعاونيون يوم الخميس ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٠ بنجاح جديد لدعوتهم ، وثمرة طيبة من ثمار مجهودهم ، هى الجمعية التعاونية المنزلية لسكان مدينة القاهرة ، واحتفلوا معها بافتتاح محل " البقالة " المنشأ حديثا فى شارع ابراهيم باشا ، ويقع فى عمارة بنك مصر الجديدة ، ومن محاسن الصدف أن تكون هذه المؤسسة التعاونية شاغلة من أرض القاهرة نفس الرقعة التى كان فيها مكتب المغفور له عمر لطفى بك مؤسس الحركة التعاونية فى مصر . وفى ذلك المكان كان زعيم التعاون يوجه الحركة التعاونية وينظمها ، وقد صارت بحمد الله وبجهود الأمة حركة ناهضة تشمل حواضر مصر وقراها .

وقد رأس الاحتفال حضرة صاحب المعالى محمد حافظ رمضان باشا وزير الشؤون الاجتماعية ، وإلى جانبه حضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم عبد الهادى بك وزير التجارة والصناعة .

واختيرت للحفلة أرض سينما الأوبرا ، وهى تجاور محل البقالة التعاونى وتقع فى نفس العمارة ، وتتسع لعدد عظيم من الحاضرين ، جلسوا فى الهواء الطلق وتحت السماء الصافية يبتهجون بما تهيأ للحركة التعاونية من نصر جديد .

ولا نريد فى هذه المقدمة أن نتحدث عن جمعية التعاون المنزلى أو عن حركة التعاون المنزلى فى مصر، فان الخطب الثلاث التى ألقيت فى الاحتفال ، والتى يراها القراء بعد هذا الكلام ، قد بينت كل شىء عن الحركة وعن الجمعية .

وقد تولت الصحف اليومية وصف الحفلة وسرد أسماء كبار الحاضرين بما لا زيادة بعده لمستزيد .

وقد اختلف الحاضرون بعد انتهاء الحفلة إلى محل الجمعية لمشاهدته ، فكان موضع إعجاب الجميع وسرورهم ، سواء فى طريقة تنسيق البضائع وتبويبها ، أو فى نظافة عمال المحل وأناقتهم وحسن إقبالهم على عملهم ، أو فى دقة النظام الموضوع لعملية البيع .

وفيما يلى ، الخطب الثلاث التى ألقيت فى الاجتماع ، حسب ترتيب إلقائها :

خطبة حضرة صاحب المعالى

محمد حافظ رمضان باشا وزير الشؤون الاجتماعية

سيداتى وسادتى :

باسم الله العلى العظيم وفى ظل حضرة صاحب الجلالة الملك ، أفتتح هـذه المؤسسة التعاونية فى مدينة القاهرة وأشكر لحضراتكم تفضلكم بالحضور إلى هذا الاجتماع الذى يحتفل فيه بافتتاحها .

إن وزارة الشؤون الاجتماعية قد جعلت التعاون ركنا من أركانها ، توليه كثيرا من اهتمامها وتعنى به وتعمـل على تأسيس جمعياته وتدعيمها لمـا تعرفه من جليل فوائده وخطير مزاياه وإنها تتخذ منه وسيلة ناجعة لرفع مستوى الشعب فى الريف والحضر .

ذلك بأن الإنسان مدنى بطبعه ، والتعاون شرط بدائى من شروط المدنية ، بل إنه الأساس الذى ينبنى عليه كل اجتماع .

وحسبكم أن تتصوروا حالة جماعة من الناس يعمل فيها كل فرد لحسابه الخاص فلا يعين أحدا ولا يستعين بأحد تدركوا أن التعاون حاجة طبيعية نشأت مع الحياة الاجتماعية ولازمتها وسوف تلازمها ما دام فى الدنيا شىء اسمه المجتمع الانسانى .

ولقد نظمت التعاون أمم قبلنا وتبينت مزاياه فأحاطته بسياج من القواعد والتشريعات فنهضت به ونهض بها ، وكان وسيلتها إلى الرخاء وعدتها للرقى بمختلف الطبقات .

وليست العناية بالتعاون فى مصر وليدة اليوم فقد كان التعاون من أسس النهضة فيها منذ البداية ، وتمشت الحركة التعاونية مع الحركة الوطنية جنبا إلى جنب ، وإذا كان التعاون فى مصر قد نشأ شعبيا بفضل جهود المغفور له عمر لطفى بك ، فإن الحكومة ما لبثت أن قدرت نتائجه ، وأدركت فوائده ، فأمدته بالتنظيم والرعاية والتمويل والرقابة . وهكذا صادف التعاون فى هذه البلاد تربة صالحة فنمت بذوره وأينع غرسه وجنت الأمة ثماره النافعة .

وقـد اهتمت الأمة والحكومة فى السنين الأخيرة بنوع من التعاون لعله ألصق بحاجة أهل المدن منه بأهل الريف ، إذ أنه ينفع أرباب الأسر وذوى الدخل المحدود من الموظفين ومستخدمى المصالح والشركات والعمال ومن فى حكمهم من الطبقات . ذلك هو التعاون المنزلى الذى نفتتح اليوم هذه المؤسسة الجديدة من مؤسساته ونرجو لها كل تقدم ونجاح حتى تتوج بها حركة التعاون المنزلى فى مصر وتصبح قدوة لغيرها من الجمعيات التى تعمل على غرارها .

وإنى لواثق أن هذا الرجاء لا محالة محقق باذن الله ، فإن على رأس هذه الجمعية رجالا من ذوى العقيدة والهمة والاخلاص ، كفيلين بأن يسيروا بها فى مدارج التقدم والفلاح ، وهاهم أولاء قد جاءوا اليوم يطلعوننا على أول ثمرة من جهودهم وإنها لثمرة طيبة مباركة تبشر بما بعدها وتطمئننا إلى مستقبل ترتاح اليه النفوس .

ولقد جاء تأسيس هذه الجمعية فى هذه الأوقات الشديدة ، وفى وسط هذه الضائقة الاقتصادية الآخذة بالخناق ، محققا لأهم غرض من أغراض التعاون ، إذ هو يكفل للمستهلكين الحصول على حاجاتهم المعيشية من صنف جيد بسعر معتدل وكيل عادل مع اقتصاد الربح الذى يتقاضاه الوسطاء ، وما جعل التعاون فى الحقيقة إلا لييسر سبل العيش كلما استحكمت حلقات الأزمة واشتد الضيق بالناس .

وإنى أختتم هذه الكلمة بأن أدعو الله أن يهيئ للجمعية الجديدة كل أسباب النجاح وأن يهدى مواطنينا إلى خير التعاون والتضامن مستظلين بالرعاية السامية التى لا ينفك حضرة صاحب الجلالة الملك يوليها كل حركة من حركات الترقى والاصلاح .

كلمة حضرة صاحب العزة الدكتور ابراهيم بك رشاد

مدير مصلحة التعاون

حضرات أصحاب المعالى ، سيداتى ، سادتى :

نحمده سبحانه وتعالى على أن كلل جهود تعاونيي القاهرة بالنجاح ، فأسسوا لأنفسهم هذه الجمعية التعاونية المنزلية التى نحتفل اليوم بافتتاحها وقد كنا نتوق إلى هذا اليوم من زمن بعيد ، غير أن الظروف عاكستنا رغم ما بذلى من جهود . وهأنذا أضع تحت نظر حضراتكم بعض هذه الظروف .

تقضى الأنظمة التعاونية بأن تختص كل بلدة بجمعيتها ، فلا تقيم جمعية فرعا لها فى بلدة أخرى ، كما أن تلك الأنظمة تحتم أن يكون التعاون للجميع لا لفئة خاصة . وقد كان هذا وذاك غير متبين فى عاصمة البلاد إلى أن أسست هذه الجمعية فقضت على هاتين المخالفتين للأوضاع التعاونية ولكن هذا استغرق سنوات عدة . لأن ذلك الانحراف عن القواعد التعاونية كان يسنده أناس ذوو بأس ونفوذ ، فصعب التغلب عليهم وطال أمده . كما حاربنا أيضا فريق ممن يتوهمون أن لهم مصلحة تجارية فى عدم وجود مثل هذه الجمعية ، متناسين أن فى ميدان التجارة متسعا للجميع .

وقد استعان هذا الفريق بنفوذ هنا وهناك كان يعرقل وضعنا للامور التعاونية فى نصابها. هذه بعض العوامل التى أخرت تأسيس هذه الجمعية . ولو كانت أمتنا تتمتع بما تنعم به أوربا من مقومات العمل لما كان لذلك كله أثر فى احباط جهودنا فى هذا السبيل. الا أن تحقيق المشروعات الشعبية فى بلادنا لا يزال مرهونا — لدرجة كبيرة — بتوجيه الحكومة لها ورعايتها.

كان لابد أن أذكر هذه الحقائق لأبين ما يبذل من جهود فى بلادنا تخفى على الرأى العام كما أنه لا بد لى أن أذكر أيضا أن التعاون ليس نظام الضرورة المؤقتة، بل هو نظام مستمر دائم ما دامت الحاجة الى التنظيم الاقتصادى الاجتماعى فى العالم قائمة ، ولو أن الضرورة اليه أمس بطبيعة الحال كلما اشتدت الأزمات .

واذا كان رجال التعاون الحكوميون مفروضا فيهم أن يقوموا بواجبهم فى ميدان الإرشاد والإشراف بمثابرة وهدوء ، فالحق يقال إنهم وقد تشبعت نفوسهم بمبادئ التعاون القويمة يؤدون للأمانة حقها. أما رجال التعاون الشعبيون فقد أظهروا همة يشكرون عليها ، فإن أعضاء مجلس الإدارة ولجنة المراقبة وفى مقدمتهم حضرة المفضال رئيس الجمعية كانوا خير عمد وبعزمهم وهمتهم أخرجوا هذا المشروع الى حيز الوجود ، وعلى قدر عزمهم وهمتهم كذلك ستنجح هذه الجمعية بمشيئة الله نجاحا يجعلها مثلا أعلى للجمعيات التعاونية المنزلية فى أنحاء المملكة .

* * *

إن ببلادنا الآن من هذه الجمعيات زهاء خمسين جمعية ، عدد أعضائها ١٠,٠٠٠ تقريبا كل منهم يمثل مصالح أسرة . وتبلغ رءوس أموال هذه الجمعيات نحو ٥٣,٠٠٠ جنيه وقيمة معاملاتها السنوية نحو ١٥٠,٠٠٠ جنيه ، وذلك غير الجمعيات التعاونية الزراعية التى يزيد عددها على ٧٥٠ جمعية منتشرة فى مختلف المديريات. وليس هذا مجال الكلام فى هذه الناحية من التعاون.

وأنى أقرر أن الجمعيات التى نحن بصددها ناجحة فى أعمالها مؤدية رسالتها فهى تورد حاجات أعضائها المنزلية على صورة مرضية ، فبضائعها تمتاز بأمور ثلاثة :

(أولا) جودة النوع ، (ثانيا) اعتدال السعر ، (ثالثا) وفاء الوزن والكيل . ويرجع ذلك الى انتفاء المصلحة فى التلاعب ، لأن ما تحصل عليه الجمعية من ربح صاف يرد فى نهاية العام الى الأعضاء أنفسهم باسم " العائد " بنسبة تعامل كل منهم مع الجمعية .

ومن قواعد التعاون المنزلى أيضا أن يكون البيع نقدا ، والقصد من ذلك تعويد التعاونيين على التزام حدود قدرتهم المالية فى أمور معاشهم وعدم تخطيها بالشراء بالأجل ، وفى ذلك فائدة اقتصادية واجتماعية لا تخفى . على أن التعاون المنزلى لا يقف نفعه عند توريد الحاجات المنزلية ، بل يتعدى ذلك الى صميم الناحية الاجتماعية فيعمل على رفع المستوى الاجتماعى بكل وسيلة مستطاعة ، وينفق على هذا الوجه من مال المعونة الاجتماعية الذى يتكون من نسبة

معينة من الأرباح. وهو فضلا عن كل ذلك يسوى بين الجميع فى خدماته الاجتماعية والاقتصادية، ويفتح أبوابه للأهالى من جميع الطبقات، لافرق عنده بين موظف وعامل، أو بين غنى وفقير، ولهذا أثره الاجتماعى البعيد.

إن حركة هذه قواعدها يجب تعميمها حتى لا تخلو مدينة أو بلدة من جمعية منزلية تتناول مختلف مطالب الأهالى من مأكل وملبس ولوازم منزلية، ثم تتطرق من ذلك الى خدمتهم من الناحية الاجتماعية.

واذا كانت جمعيتنا هذه قد بدأت بصنوف البقالة فإنها سوف تتسع فى عملها بإذن الله فتتناول جميع حاجات الأهالى وبيوتهم ما عدا المشروبات الروحية، فإن التعاونيين عامة فى أنحاء العالم متفقون على عدم تداولها، وذلك لحكمة بالغة. فان "العائد" أى حصة العضو فى صافى الربح يكون بنسبة تعامله مع الجمعية، فلو أباح التعاون توريد المسكرات لشجع بذلك فعلا على كثرة استهلاكها.

وإن فى فتح باب المعاملة مع الجمهور عامة مايمكن الناس من اختيار الجمعية فينضمون الى عضويتها حتى يكون مكسبهم مضاعفا، فمن جهة ينتفعون بالمزايا السابق ذكرها، ومن جهة أخرى يشتركون فى أرباح الجمعية فضلا عن تمكينهم إياها من توسيع نطاق خدماتها فتتعدد انواع تجارتها وتفتح لها فروعا فى مختلف أحياء العاصمة فينتفع الجميع منها ويكون وجودها عاملا قويا فى حفظ مستوى الأسعار عند الحد المعتدل ومقاومة كل غلاء مصطنع وصون القيمة الحقيقية للنقود، تلك القيمة المائلة فيما يشترى بها من بضائع وما يؤدى فى مقابلها من خدمات.

بعد ذلك نبلغ المرحلة التى ننشئ عندها جمعية تعاونية للاتجار بالجملة للمملكة كلها تشترك فى عضويتها جميع الجمعيات المنزلية، فتورد لهذه الجمعيات حاجاتها جملة بعد أن تحصل عليها من داخل البلاد أو من الخارج أو تنتجها فى معامل خاصة تقيمها، وفى هذا ما فيه من فائدة للأهالى عموما ومساهمة فى ميدان التجارة الخارجية وفى ميدان الصناعات الوطنية، خصوصا الزراعيه منها.

وكلمتى الأخيرة التى أوجهها الى الجمعية هى أن نجاحها يتوقف بعد توفيق الله على حسن إدارتها ومعاملتها واختيار بضائعها وسرعة توصيلها للبيوت، فضلا عن الاقتنان فى وسائل الدعاية. ويتوقف نجاحها أيضا على دقة حساباتها واهتمامها بالنظافة والتنسيق والحرص على التفوق فى كل ناحية من نواحى التجارة وكسب الجمهور، تفوقا تسبق به أرقى المحال التجارية فى العاصمة. كل هذا يرغب الناس فى محل الجمعية ويزيد فى اقبالهم عليه، ويساعد على انتعاش تجارته ويضاعف ماليته ويوطد مركزه.

وأملنا كبير فى أن يقدر أهالى القاهرة هذا المشروع التعاونى القومى حق قدره ويدركوا مزايا الانتفاع به ويقبلوا على الانضمام الى عضوية الجمعية ويشجعوها بمعاملتهم لها .

وهنا اتجه على الخصوص الى المرأة المصرية ، فهى ربة البيت التى يهمها الحصول على أحسن صنف بأحسن سعر. وجدير بها وقد ساهمت فى الحركة الوطنية وفى حركة الثقافة العامة أن تساهم أيضا فى هذه الحركة الاقتصادية الاجتماعية التى يرجى منها خير عميم للفرد والمجموع على السواء .

* * *

وإنى أنتهز هـذه الفرصة ، فرصة اجتماع صفوة من رجال الحكم ورجال الشعب لافتتاح هذه المؤسسة التعاونية القومية التى هى فى الوقت نفسه إحدى مؤسسات حركة دولية واسعة النطاق فأشيد بذكرى عمر لطفى ذلك الرجل الذى يرجع اليه فضل إدخال هذه الحركة الاقتصادية الاجتماعية فى مصر، فأصبح الناس ينتفعون بخدماتها فى الريف والحضر وقد مضى على ذلك زهاء ثلاثين عاما برهنت على صلاح هذا النظام وضرورته لبلادنا ، فلا تزال جمعياته تنتشر فى ربوعها وتتقدم، واذا أشدنا بذكرى ذلك المصلح الكبير فإننا ندعو الى تخليدها باقامة تمثال له فى أحد ميادين العاصمة، وإن فى تذكرة الشعب برجاله العاملين لعظة تحفز همته للعلا.

أسأل الله أن يوفق رجالنا دائما الى إقامة خير الأنظمة وأنفعها للأمة، والى تدعيمها بكل الوسائل ، كما أسأله تعالى أن يهدى الأمة الى تقدير رجالها والسير على هداهم .

كلمة حضرة صاحب العزة رئيس الجمعية

حضرات أصحاب المعالى والسعادة والعزة والفضيلة :

أيتها السيدات ، أيها السادة :

إن من دواعى الغبطة والسرور والإشادة بفضل الله وعونه أن ندعو حضراتكم لشهود افتتاح محلات البقالة للجمعية التعاونية المنزلية للقاهرة . فهـذا الفرع هو الثمرة الأولى التى خرجت الى العالم وهو مضطرب الجوانح ملىء بالمفاجآت ومحاط بالأعاصير والزوابع. ولكل امرئ فى هذه الساعات الرهيبة التى يمر بها العالم شأن يغنيه عن صاحبته وأخيه وبيئته التى تؤويه. الا أن هذا كله لم يحل دون القيام بتأسيس هذه الجمعية التعاونية، وأن يوطد دعامتها وأن تكون منارة على شاطئ السلامة ليهتدى بها المضطربون فى خضم الأسواق وتقلبات الأسعار وجشع وتحكم بعض التجار .

وليس لهذه الجمعية من غرض إلا تسهيل مهمة المستهلك على قضاء حاجياته بسعر معتدل مع ضمان جودة البضاعة وأن يعود اليه المكسب موزعا على رأس المال وقيمة مشترياته ، وأن يتعود العضو على أن يوازن بين دخله وخرجه .

وشعار التعاون كما يقول وليم كنج الانجليزى، وهو من كبار أنصاره ومروجى دعوته بين مواطنيه :

" أن فى العرفان والاتحاد قوة . فالطبقة العاملة متى اتحدت فى أعمالها وفى تثقيف وترقية وتنوير عقولها وقلوبها باكتساب العرفان المفيد وبسيادة الإخاء فيما بينهم كان لها من ذلك قوة تستقل بها وتدفع الفاقة وتسيطر على جميع أسباب الشقاء وتستطيع ضمان توافر الهدوء وأسباب المعيشة للكهول وتربية الآداب فى العمال والفضيلة والدين ، وبذلك تتم السعادة فى الحياة وفى الآخرة " .

لم يحل بيننا و بين تأسيس هذه الجمعية ماجد من عقبات واضطراب فى الأسواق المالية وتقلبات الحالات الاقتصادية بل سرنا بقدم ثابتة يحدونا الأمل الصادق فى الله عز وجل لنبلغ الهدف الذى وضعه التعاون وهو رفع مستوى الامة اقتصاديا واجتماعيا على أسس ثابتة ودعائم قوية كالشراء والبيع نقدا واستيفاء المكيال والميزان والسعر المعتدل حتى لا تزاحم التجار الشرفاء وأن تكون العضوية مباحة لكل مصرى من سكان القاهرة جميعا ، لكل عضو صوت واحد مهما حاز من الأسهم .

وقد قال الاستاذ شارل جيد ، وهو أحد أقطاب نشر الدعوة التعاونية فى فرنسا :

"إن محبي التعاون محبة خالصة وهم أولئك التعاونيون حقا الذين قد يهزأ بهم بعض ناقديهم ويعدونهم غريبي الأطوار انما ينظرون الى التعاون باعتباره غاية فى ذاته لا وسيلة للنجاح. وهم "أى محبي التعاون" يعتقدون أن التعاون كائن حى وأن النتائج التى حصل عليها تحوى جراثيم ما يرجى له فى المستقبل ، كما تحوى البذرة ثمرة كامنة فيها "

واذا أردنا أن نبتعد عن المجاز نقول إنهم يعتقدون أن كل جمعية تعاونية تسير حسب القواعد التى وضعتها لنفسها ليست الا عالما صغيرا يسير وراثة العدالة والاصلاح الاجتماعى ويكفى أن يترك ليشب من تلقاء نفسه بالنمو والمحاكاة ، فلا يلبث أن يصير عاجلا أو أجلا خير ما يرجى من العوالم " .

بدأت الدعوة لجمعيتنا التعاونية فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ وتأسست فى أول يناير من هذه السنة، وقد قضينا وقتا غير قصير فى المفاوضة لتصفية فرع الجمعية التعاونية بالاسكندرية حرصا على مصلحة الأعضاء ، الا أن هذه المفاوضات لم تسفر عن نتيجة مرضية فولينا وجوهنا شطر الاستقلال بمحلات قائمة بنفسها، وبعد البحث والتنقيب اهتدينا الى هذا المحل الكائن بشارع ابراهيم باشا بعمارة بنك مصر بالأوبرا .

وقد صرفنا فى تجهيزه و إعداده ما يقرب من شهرين و نصف ، وقد كللت هذه العملية بالنجاح بفضل الله وعونه وبما قام به أعضاء اللجنة التنفيذية ونخص بالذكر منهم الأستاذ الرشيدى بك وأعضاء اللجنة الادارية وأعضاء لجنة المراقبة وما قام به رجال مصلحة التعاون من إرشاد .

ولنا الأمل الكبير فى الله عز وجل أن يكلل هـذه المؤسسة الحديثة بالنجاح، وأن يرعاها بعنايته حتى تستطيع أن تؤدى مهمتها للمستهلكين وأن تكون البذرة الصالحة والغرس الطيب الذى تعم فائدته جميع سكان القاهرة ، بل سكان القطر المصرى بأسره .

واذا كنا بدأنا بالبقالة فالأمل كبير فى أن تنشأ محلات للجزارة والخضر ومخابز لبيع الخبز للأعضاء ، وأن تتعدد هذه المحلات فى كل حى من أحياء العاصمة ، كما أن الأمل كبير فى أن تفتح محلات أخرى لبيع الأقمشة والمنسوجات وكل مايلزم للمنزل وسكانه حتى تصبح الجمعيات التعاونية تؤدى جميع المطالب التى يحتاج اليها المنزل والإنسان .

واننا ندعو حضرات الأعضاء ليقارنوا بين أثمان بضائعنا وبضائع جميع محلات البقالة حتى التى تعتبر منها فى الدرجة الأولى ، ليروا الفرق البارز وليس الخبر كالعيان .

وإن مانرمى اليه هو تحقيق الأمل فى أن يكون التعاون وضعا ثابتا وركنا ركينا فى حياتنا الإقتصادية . ولا غرو فى ذلك فقد أصبح التعاون وضعا ثابتا فى نظام المدنية الغربية ، وقد أتى بأجل الثمرات وخير المنافع للتعاونين . وليس أدل على البرهان المحسوس والحجة الملموسة من أن أذكر لحضراتكم هذه القصة الواقعية التى تفوق حد الخيال ووصف الواصفين .

تأسست جمعية التعاون الاولى فى انجلترا سنة ١٨٤٤ فى مدينة روتشديل بالقرب من مانشستر وكان عدد اعضائها ثمانية وعشرين عضوا ورأس مالها ثمانية وعشرين جنيها وقد انتشرت هذه الجمعيات فأصبح عددها فى سنة ١٩٣٩ : ١٠٨٥ جمعية وعدد اعضائها ٨,٤٠٤,٦٨٨ عضوا ، واذا فرضنا أن لكل عضو من العائلة أربعة أشخاص تصبح معظم انجلترا متعاونة .

أما رأس مال هذه الجمعيات فيبلغ ١٨٦,٣٣٦,٦٤٤ جنيها وكانت المبيعات فى هذه السنة تقدر بمبلغ ٢٦٣,٢٦٥,٣٠٩ جنيهات .

أزيد على ما تقدم أن التعاون لم يظهر أثره البارز فى انجلترا فحسب بل تعداه الى البلاد الغربية ، نذكر منها الدانمارك وكفى الدنمارك فخرا أن المسيو دوشانل رئيس مجلس النواب الفرنسى ورئيس الجمهورية الفرنسية سابقا يقول فى مقدمة كتاب (جمعيات التعاون الزراعية فى البيع والإنتاج) "إن الدانمارك لاتزيد مساحتها عن مساحة مقاطعة بريتانيا ونورمنديا وهما مديريتان فى فرنسا من ٨٩ مديرية ومع كل ذلك نراها ترسل كل سنة من حاصلاتها ومزارعها ومراعيها الى الأسواق الانجليزية ما يقدر جميعه بستة عشر مليون جنيه وفرنسا بأسرها لاتبيع من تلك الحاصلات فى انجلترا بهذه القيمة ، مع أننا أقرب الى الأسواق الانجليزية من الدانمارك"

إن ارتقاء النظام التعاونى فى الدانمارك دعا أحد رؤساء جمهوريات الولايات المتحدة الأسبقين أن يدعو بلاده فى خطبة ألقاها فى شيكاغو بالولايات المتحدة إلى أن تحذو حذو

الدانمارك لمقاومة الاحتكار اذا أراد الزراع الأمريكيون أن يقاوموا شركات الاحتكار المتسلطة على الأسعار والأسواق فى أمريكا ويغلبوها على أمرها ، فليس أمامهم وسيلة سوى أن يحذوا حذو الزراع فى الدانمارك ويستظلوا بحمى جمعيات التعاون) .

ولنختتم كلمتنا بكلمة ذكرها الدكتور جيمس وارباد رئيس اتحاد التعاون فى الولايات المتحدة فى كتابه " التعاون وسيلة السلام " قال :

" النظام التعاونى لايطرد التجار من ميدان العمل ، ولكن التجار يطردون أنفسهم ، وعجيب أن يقول التجار إن التنافس هو شعارهم مع أن النظام التعاونى يقبل هذا التحدى وهو واثق من الفوز فإذا دخل ميدان العمل صرخ التجار بأنه يطردهم من الأسواق " .

" التعاون لا يعمل على القضاء على أحد ، ولكنه يعمل على توزيع الملكية على أكبر عدد ممكن " .

" التعاون لا يقبل إحسانا أو إعانات أو محاباة من أحد ، لأنه كفيل أن ينازع كل النظم الأخرى الصالحة للبقاء " .

"التعاون هو تطور مستمر ومخلد للقوى التى تعمل فى سبيل السلام . يختلف بنو البشر فى الجنسيات والأوطان والمراكز الاجتماعية والثروة والأمزجة والأديان ، ولكنهم جميعا متفقون فى كونهم مستهلكين ، ولذا فهم جميعا بطبيعتهم أعضاء فى أى تنظيم يجمع شمل المستهلكين للإشراف على انتاج وتوزيع ما يستهلكون . ولذا فالحركة التعاونية الاستهلاكية ليست مسألة طبقة من الطبقات وإنما هى للبشر جميعا " .

واذا كانت لنا دعوة صريحة ونصيحة خالصة نسديها للأمة المصرية لاجتياز هذه المحن ودفع ما يصيبها من الكوارث والنوازل وتعبيد طرق السلام فهى : هلموا الى التعاون وآزروه وشدوا عضده بالاشتراك فيه (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان).

والله نسأل أن يهدينا طريق الصواب أنه سميع مجيب .

وقبل أن أختتم كلمتى أذكر حضرات المشتركين جميعا بأن الجمعية قد أعدت شهادات الأسهم لتسليمها لكل عضو فى متجر الجمعية ابتداء من أول الشهر القادم . نأرجو أن يحرص كل من حضرات المشتركين على تسلم الشهادة الدالة على عدد الأسهم التى اشترك بها فى الجمعية.

كذلك أعدت الجمعية فى متجرها دفاتر للاشتراكات وهى فى متناول جميع حضرات سكان القاهرة من المصريين ممن لم يساهموا بعد ويرغبون الاشتراك فى عضويتها والانتفاع بخدماتها والحصول على نصيبهم من أرباحها .

رابطة الشباب المصرى
والخدمة الاجتماعية فى مصر

" جاءتنا من رابطة الشباب المصرى والخدمة الاجتماعية فى مصر هذه الكلمة مبينة أغراضها ونواحى نشاطها وما قامت به من الأعمال، ونحن نرجو لهذه الرابطة نجاحا مطردا فى وسائل الاصلاح حتى تحقق الغايات السامية التى تسعى اليها " . المحرر

فى مستهل عام سنة ١٩٣٥ كون نفر من الشبان جماعة رابطة الشباب المصرى للدعوة للإصلاح الاجتماعى بكل السبل الايجابية الممكنة . وقد رأت هذه الجماعة الناشئة أن الشباب مفتقر الى الثقافة الاجتماعية التى تهيئه لإبلاغ رسالته إلى هؤلاء الذين يسيرون فى الحياة على غير هدى . وهكذا كانت الحركة الاجتماعية فى مصر فى حاجة الى عنصر الشباب الناشط الذى يستطيع وحده ان يغذيها بايمانه وحماسه، حتى تضحى كأية حركة منتجة يرجى منها الخير للبلاد .

وقد استفتحت هذه الجماعة جهادها بتنظيم مؤتمر اجتماعى للشباب يعقد سنويا و يتناول أبحاثا فى مختلف النواحى التى يهم الشباب معرفتها والوقوف عليها ، وكان أن انعقد لرابطة الشباب المصرى أول مؤتمر تناول هذه الأبحاث برياسة معالى محمد على علوبة باشا وزير الشئون البرلمانية سابقا فى يومى ٢٨ و ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٥ واستطاعت الرابطة — على لسان خطباء هذا المؤتمر — أن تبين للشباب واجباتهم نحو ربهم ونحو وطنهم ونحو بيتهم الذى يعيشون فيه ، ثم نحو أنفسهم باعتبار كونهم أعضاء أساسيين فى جسم الأمة .

وقد لقيت دعوة جماعة رابطة الشباب المصرى نوعا من الرعاية والعضيد تجلى فى تنظيم شعب الرابطة ولجانها الكثيرة فى أنحاء القطر . حتى أن بعض فروع الرابطة بلغ بها النشاط أقصاه فافتتحت مدارس لتعليم القراءة والكتابة . و بعضها قام برحلات موفقة فى صميم الريف المصرى لمحاربة الأمية ونشر الدعوة الصحية .

واستمرت الرابطة على ذلك فى نشاط دائم يحبوها العطف ويحيط بها التأييد الدافق من كل جانب حتى اذا أتى العام الجديد كانت جماعة رابطة الشباب المصرى أوثق الجماعات إيمانا وأثبتها جنانا . وارتأت بعد ذلك أن تخصص مؤتمرها الثانى فى بحث مسألتين خطيرتين، الأولى مسألة الفلاح المصرى، والثانية نظام الأسرة والبيت فى مصر، وقد رأس الجلسة الأولى سعادة فؤاد أباظه باشا والثانية الدكتور منصور فهمى بك مدير دار الكتب المصرية .

ثم انعقد مؤتمر الشباب الثالث، وكان خاصا بالمباحث الاقتصادية ورسالة الشباب المصرى فى هذه الدعوة برياسة حضرة صاحب السعادة على إسلام باشا .

ولا شك أن هذه المسائل التى عالجتها جماعة رابطة الشباب المصرى فى مؤتمراتها الاجتماعية هى من ألزم الأشياء التى يجب أن يعرفها شباب مصر المتعطش الى الاصلاح . وأنه لا يمكن لطبيب أن يصف الدواء ما لم يشخص الداء .

وقد رأت الرابطة تعميما لنشر هذه الأبحاث أن تطبعها فى رسائل متفرقة وتهديها بالمجان لكل من يطلبها . كذلك أصدرت الرابطة مجلة تنطق باسمها وقد اختصت بنشر البحوث الاجتماعية الصرفة وهى تصل لمن يطلبها من الشباب بالمجان أيضا . وتصدر شهرية بانتظام .

وقد انعقد مؤتمر الرابطة الأخير فى ١٢ و ١٩ فبراير الماضى برياسة صالح عنان باشا رئيس الرابطة بقاعة يورت التذكارية وقد كان لهذا المؤتمر أثر حميد فى نفوس من حضروه وقد زادوا على الألف شاب وكلهم من طلاب الجامعتين المتعطشين المهتمين بإصلاح وخدمة بلدهم من هذا الطريق .

وقد تعاون كثيرون من أهل الخير والفضل مع جماعة رابطة الشباب المصرى فى تحقيق أغراضها واندمجوا معها اندماجا كليا فى لجنتها الاستشارية العليا التى تضم صفوة مختارة من رجالات مصر المجاهدين الذين يوجهون الجماعة الى أقوم الطرق ويهدون الشباب سواء السبيل .

ومن هؤلاء الأعضاء الكرام حضرات أصحاب السعادة والعزة الأساتذة : صالح عنان باشا، على إسلام باشا ، مريت بك بطرس غالى ، كامل بولس حنا بك ، الدكتور عبد العزيز نظمى بك ، الدكتور عبد الرءوف حسن بك ، الدكتور حسنى أحمد، مدام حسين عنان بك، الانسة عزيزة فوزى ، الفاتمقام على حلمى بك ، خليل ثابت بك ، منصور فهمى بك ، ويتولى أعمال السكرتيرية الأستاذ أحمد ابراهيم خطاب .

هذا ويرأس جماعة رابطة الشباب المصرى حضرة صاحب السعادة صالح عنان باشا وكيل وزارتى الأشغال والمالية الأسبق .

متفرقات اجتماعية

أندية الصبيان المحرومين :

أندية الصبيان المحرومين من المشروعات التى أوجدتها بيئة المدن الكبيرة التى تزدحم فيها بيوت الفقراء والتى يكثر فيها الإغراء والإغواء فينشأ الأطفال مهملين ويشبون صبيانا يعيشون فى فقر حوله مباهج لا يستطيعون الوصول اليها إلا عن طريق الجريمة ، والبيئة الريفية تخلو غالبا من هذه المفاسد ، ولكن الأحياء الفقيرة فى المدن الكبيرة تحفل بها ، فهناك نجد الحانة أو القهوة التى تجذب اليها العامل وتمتص كسبه الذى يحرم منه أولاده ، وهناك نجد الطلاق الكثير أو إهمال الزوج زوجته وأولاده ، فيخرج هؤلاء إلى الشارع حيث لا رقيب عليهم من الأسرة ، وصبيان الاصلاحيات وأولئك الصبيان الذين يتسابقون فى الشوارع بالبسكليت وأولئك الذين يتعلقون بالترام ، بل أخطر من هؤلاء وأولئك الصبيان الذين يتعون فى الجرائم الصغيرة ثم يبقون فى الظلام لا يدرى البوليس بجرائمهم فيشبون على هـذا الأسلوب المعوج حتى يجرءوا على الجرائم الخطيرة فيكون حظهم الأخير السجن أو الإعدام .

وفى المدن مباهج كثيرة لا ينقص من بهجتها أنها مفاسد ، والصبى الذى ينشأ فى حى فقير إن لم يجد ما يسليه فى بيئته من اللهو البرىء الذى يفيده ويرقيه دون أن يكلفه مالا طاقة له به يتجه نحو الملاهى الفاسدة ويحاول أن يصل إلى ثمنها بالجريمة ، فمن مصلحة الأمة أن تقى صبيانها الغوايات التى يتعرضون لها بأن تتيح لهم المباهج والملاهى البريئة المفيدة .

واتساع المدن فى أوربا وأمريكا قد أوجد أحياء فقيرة ولكنه أيضا بعث المصلحين الاجتماعيين إلى التفكير فى وقايتها من المفاسد والعناية بأبنائها ، وكان " النادى " أحد هذه الوسائل الوقائية ، فالصبى بطبيعته تجذبه روح الجماعة ، فإذا لم يجد فريق الكرة للعب والمباراة فإنه يبحث عن عصابة السرقة ، وهو إذا لم يجد ما يصرف إليه نشاطه فى اللعب صرفه إلى النشاط فى الأذى ، فنادى الصبيان المحرومين ينشأ عادة فى حى فقير ويقدم لأعضائه من الصبيان كل أو معظم ما يرغبون فيه من الملاهى المفيدة التى ترقى بأذهانهم وأجسامهم . فالصبى يجد هناك ألعابا مختلفة تحتاج إلى الحركة أو تؤدى فى سكون ، وفى العراء أو فى السكن . وبعض هذه الأندية يجد من التبرعات المالية ما يساعده على أن يؤسس حوضا كبيرا للسباحة أو ميدانا رحبا لكرة القدم ، وبعضها لا يبلغ هذا الثراء فيقتصر على بعض الملاهى التى لا تكلفه كثيرا ، ولكن معظم أندية الصبيان المحرومين تحتوى جهازا سينمائيا يعرض على الأعضاء

الأفلام المفيدة المسلية ، وفناء للعب ، وغرفة للاجتماع ، وموائد للجرائد والمجلات ، وخزانة صغيرة للكتب ، كما أنه لا يخلو من طبيب يكشف على كل عضو جديد لكى يقف على أمراضه ويعين له الدواء ، كما لا يخلو من حمامات يستحم فيها الأعضاء عقب اللعب ويزيلون العرق والغبار عن أجسامهم ، وهذه الأندية لا تقف عند حدّ معين للنمو ، فإن بعضها يؤلف فرقة للتعليم ، وبعضا آخر يؤسس غرفة أو ورشة للتدريب حيث يتعلم العضو النجارة أو الحدادة أو غيرهما ، وأحيانا يقوم الأعضاء بتمثيل درامة لا تتجاوز مداركهم ويكون لها اتصال ببيئتهم ولها من المغزى ما يمكن أن ينتفعوا به ، وكذلك الموسيقى تجد العدد الكبير من الأعضاء الذين يرغبون فى تعلمها .

فإذا جاء الصيف استطاعت بعض الأندية أن تنقل أعضاءها الى المصايف حيث يقضون أسابيع عند الشواطئ فى الخيام يستحمون فى البحر ويعيشون عيشة التعاون يخدم بعضهم بعضا فى الخيام من حيث تنظيفها وتهيئة الطعام وغير ذلك .

وكلمة " التعاون " هنا هى مفتاح هذه الأندية فإن أعظم ما يحتاج اليه الصبى الناشز هو أن يعمل بروح التعاون ، ذلك أن الصبى الناشز الذى أهملت تربيته البيتية يفهم ولكنه لا يتفاهم وهو يسير فى حياته بروح المباراة والرغبة فى الأخذ ، دون روح التعاون والرغبة فى العطاء . فالنادى يعلمه مبادئ التعاون بالألعاب المشتركة والخدمة المتبادلة وإيجاد روح الرفق ، والمجاملة فى المعاملة ، والنظر الى كرامة النادى كأنها كرامته ، وهذه الصفات جميعها هى الصفات التى يحتاج إليها المجتمع بعد ذلك حتى يصير هذا الصبى شابا ، فرجلا ، وفى الوقت نفسه يغرس فيه الرغبة فى القراءة والنظافة واللعب وكراهة العادات السيئة التى تكون منه بعد ذلك ربا للبيت الحسن .

مدارس الصيف فى امريكا :

للبيئة الجوية تأثيرها فى المجتمع والأخلاق ، فالناس ينشطون فى الشتاء الى العمل ويسعون للرزق أكثر مما ينشطون فى الصيف ، بل أحيانا يتراخون الى حد الخمول اذا اشتد الحر ، كما يشاهد فى أخلاقنا فى جو القاهرة حين تقضى معظم الوقت بعد الظهر فى دعة السرير أو نهرب الى الشواطئ .

وفى الجو الصيفى الذى نلاقيه فى مصر يلاقى مثله الأمريكيون فى الولايات المتحدة . ولكنهم لم يستجيبوا له هذه الاستجابة السلبية التى نلقاه بها بالخضوع والدعة والنوم بعد الظهر ، بل هم ابتكروا نوعا جديدا من الدراسات التى تنشأ معاهدها الوقتية فى المصايف .

وهـذه المعاهد تختلف من حيث الغاية ، فان بعضها ينشأ لمساعدة الطلبة على التوسع أو على الاستعداد للامتحانات . كما ينشأ بعضها للكبار الذين يحتاجون الى التكمل والتبحر فى أعمالهم المكتبية والتجارية ، فتلقى دروس عن الاختزال واللغات ومسك الدفاتر ! ! وسيكلوجية التجارة وكتابة الاعلانات ، وأحيانا ينشأ المعهد للزوجات حيث تلقى عليهن دروس فى شؤون البيت وصحة الأطفال والتدبير الوقائى والعلاجى لأعضاء العائلة ، وأحيانا تنشأ معاهد ثقافية للدراسات العامة ، ومع اختلاف هذه المعاهد فى غاياتها الدراسية تتفق جميعها فى شيئين : الأول أنها وقتية يراد منها استخدام بعض الوقت عند المصطافين ، والثانى أنها تتجنب الصرامة فى الدرس والنظام ، وكل منها لذلك يجمع بين التسلية و بين الفائدة ، فقبل الدرس أو المحاضرة يسمع المجتمعون دورا موسيقيا أو غنائيا ، ثم فى فترات الدرس يقدم الشاى والمرطبات . وذلك حتى لايشعر المصطاف أنه خدع وأفسدت عليه إجازته . فهو يلقى فى المعهد استمتاعا وفائدة معا . وعندما ينتهى موسم الاصطياف تقفل هذه المعاهد أو تقوض (لأن معظمها خيام) .

وحبذا الفكرة يدرسها بعض المهتمين بمصيفاتنا . فان قضاء ٢٤ ساعة فى النوم والتسلية واللهو يثقل على النفس ويبعث على التراخى والتكاسل . و إرصاد ساعة أو ساعتين كل يوم لدراسة مخففة سواء أكانت فنية أم ثقافية ينشط الذهن ولا يحدث أى سأم .

طريقة مونتسورى :

"طريقة مونتسورى" من الطرق الجديدة فى التعليم ، وهى تنتسب إلى الدكتورة مونتسورى الايطالية . فان هذه السيدة التى نالت شهادة الطب تخصصت لمعالجة الأطفال الشواذ . ونجحت فى معالجتهم نجاحا باهرا جعلها تنتقد القواعد التى تسير عليها التربية والتعليم فى المدارس التى تعلم جمهور الأطفال والصبيان من غير الشواذ ، وكان النظام الذى اتبعته ينحصر فى المبادئ التالية :

(١) منع الخوف عن الأطفال بإلغاء العقوبات جميعها .

(٢) منع التحاسد والتنافس بإلغاء المكافآت جميعها .

(٣) تعليم الطفل أو الصبى كيف يحيا حياة الاستقلال بأن يعمل كل شىء تقريبا لنفسه .

(٤) لكل طفل أثاثه الذى يساعده على هذا الاستقلال .

(٥) مطابقة التعليم لمبادئ التطور البشرى بحيث يتعلم الطفل الصناعات البدائية الخفيفة ثم الرسم ومعالجة الصلصال ثم حروف الهجاء .

والغاية التي رمت اليها الدكتورة مونتسوري هي إيجاد رجال مستقلين لا يعرف الخوف الى قلوبهم سبيلا لهم القدرة على الانتقاد وكراهة الانقياد الأعمى .

ومما هو ذو مغزى أن الحكومة الألمانية حلت الجمعيات المونتسورية عام ١٩٣٥ وفي عام ١٩٣٦ ألغى وزير المعارف في إيطاليا هذه الجمعيات أيضا ومنع المعلمين من اتباع طريقة مونتسوري .

تكاليف الحرب :

كانت مؤسسة روكفيلر في الولايات المتحدة قد كلفت الدكتور نيكولاس بطلر أن يقوم بإحصاء عن تكاليف الحرب الكبرى التي وقعت بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨ ، وقد قضى الدكتور بطلر سنوات في جمع الاحصاءات من الأمم التي اشتركت في الحرب وتحريرها بالمقابلة بينها ، وقدم تقريرا مسهبا للمؤسسة ذكر أن عدد القتلى في هذه الحرب بلغ ١٣ مليونا وأن تكاليف الحرب بلغت ٨٠ الف مليون جنيه . ثم قدر أن هذا المبلغ لو كان الذين اشتبكوا في الحرب قد انفقوه على التعمير بدلا من التدمير لكان في مستطاعهم أن يجهزوا كل عائلة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا وبريطانيا وأرلندا وفرنسا وبلجيكا والمانيا وروسيا بمنزل تبلغ نفقات بنائه ٥٠٠ جنيه . وبأثاث للمنزل ثمنه ٢٠٠ جنيه . وبأرض ملحقة بالمنزل يبلغ ثمنها ١٠٠ جنيه ثم كان يمكن بعد ذلك إنشاء مكتبة في كل مدينة يزيد سكانها على عشرين الفا بمبلغ مليون جنيه . وبإنشاء جامعة في كل مدينة من هذه المدن تبلغ نفقاتها مليون جنيه .

ثم بعد كل هذه النفقات يبقى مبلغ يمكن أن تشترى به فرنسا وبلجيكا بكل مافيهما من ثروات مؤلفة مصانع أو مزارع .

الزواج والطلاق :

يؤخذ من الاحصاءات الأخيرة عن عام ١٩٣٧ أن عدد العزّب في المملكة المصرية كانوا ١٢٢٩٣١١ من الذكور و ٤٦٨٢٩٨ من الإناث . أما المتزوجون فكانوا ٣١٠٨٦١١ من الذكور و ٣١٢٣٠٣٤ من الإناث . وكان المطلقون ٦٣٦٥٩ من الذكور و ١٠٢٨٥٢ من الإناث . وكان الأرامل ١٢٦٦٠٠ من الذكور و ٩٠٥٩٩٤ من الإناث . وهذه الأرقام الأخيرة عن عدد الأرامل من الجنسين تدل على أنه يوجد ثماني نساء من الأرامل إزاء واحد من الرجال ، وهذا يعني أن الرجال يسارعون الى الزواج بعد وفاة زوجاتهم أما المرأة فلا تفعل ذلك إلا قليلا جدا .

ويتضح من إحصاء سنة ١٩٣٧ أن عدد الزوجات كما يلى :

متزوج بواحدة ٢٩٣٢٢٥٠

« باثنتين ٩٩٣٩٦

« بثلاث ٥٨٧٤

« بأربع ٦٨٦

وبمقابلة هـذا الاحصاء بإحصاء ١٩٢٧ يتضح أن تعدد الزوجات قد نقص والزواج بواحدة قد زاد ، ففى إحصاء عام ١٩٢٧ نجد ما يلى :

متزوج بواحدة ٢٤٢٠٣٦٢

« باثنتين ١١٤٢٤٧

« بثلاث ٧٣١٨

« بأربع ٨٩١

فنادق الشباب :

فنادق الشباب وتسمى بالانجليزية Youth Hostels هى بدعة حديثة ترجع الى عام ١٩٠٧ حين أخذ معلم ألمانى يدعى ريتشارد شيمان يخرج مع تلاميذه بعض أيام الأسبوع الى الريف ، وقد يقضون إحدى الليالى فى كوخ ريفى ، وانتشرت الفكرة بعد ذلك وأسست الجمعيات التى ينضم اليها الشباب من التلاميذ وغير التلاميذ ومع كل شاب بسكليت وحقيبة بها الضرورى من الملابس وغيرها ، وتستأجر هذه الجمعيات المنازل الريفية وتعين فيها وكيلا هو طباخ وفراش معا ، والشاب يخرج على البسكليت ويجوب أنحاء الريف ومعه خارطة تبين له الأماكن التى يجد فيها هذه الفنادق فاذا أمسى نزل الى واحد منها حيث يجد الطعام والمأوى لقاء بضعة قروش ، فاذا أصبح رحل الى مكان آخر ، وهو يقطع مئات الكيلومترات بهذه الطريقة فيرى الجبل والسهل والنهر والغابة ويكتسب صحة من الهواء الطلق والشمس الصاحية ويتعلم الاستقلال بالاعتماد على نفسه منفردا وأحيانا يسير على قدمه المسافات البعيدة ويرى أجمل المناظر الطبيعية فى بلاده فيزداد حبه لوطنه كما يحس جمال الريف وسذاجة العيش فيه .

وقد انتشرت هـذه الجمعيات فى جميع الأقطار الأوربية والأمريكية ، وقد عقد مؤتمر لهذه الجمعيات فى امستردام بهولندا عام ١٩٣٢ حضره ممثلو ١٥ دولة درسوا فيها وسائل التوسع فى هذه الحركة .

حركة منع الحمل :

يخشى كثيرون أن تتفشى حركة منع الحمل فى مصر ، ولكنا إذا عرفنا الأسباب التى يرجع اليها هذه الحركة فى أوربا استطعنا أن نطمئن إلى أنها لن تتفشى فى مصر تفشيا يخشى شره القريب ، فان منع الحمل نشأ فى أوربا وأمريكا عندما أصبح التناسل عبئا على العائلة . لأن الأب بدلا من انتفاعه السابق باستخدام أولاده الصبيان صار يتحمل مؤونة طعامهم وكسائهم دون أن ينتفع منهم بقرش ، وذلك لأن الوسط الزراعى كان يحتاج إلى عمل الصبيان الذين يزيدون كسب آبائهم كما هو الشأن الآن فى ريفنا حيث لا يفكر الفلاح المصرى فى منع أو تحديد النسل ، ولكن لما نشت المصانع فى أوربا ثم منعت الحكومات استخدام الأحداث فيها وأجبرت الآباء على إرسالهم إلى المدارس صار على الآباء أن يقوموا بمؤونة أبنائهم. فاضطروا لهذا السبب الاقتصادى إلى البحث إلى أن يلجأوا إلى تحديد النسل .

فحركة تحديد النسل تعزى إلى أسباب اقتصادية بحتة . وهذه الأسباب ضعيفة الأثر فى مصر ، لأن الحركة الصناعية لا تزال فى بدايتها ، والوسط الزراعى هو الوسط الغالب ، وبدهى أنه عند ما تكثر عندنا المصانع الكبيرة فى المدن ويجد العمال أن أبناءهم من الأحداث لا يمكن استخدامهم والانتفاع بأجورهم — فى هذه الحال سيضطرون إلى الأخذ بعادة منع الحمل .

الزهور فى البيت :

يجب أن يكون لكل بيت واحة صغيرة تحتوى الشجر والزهر ، وقد تكون هذه الواحة حديقة أمام البيت أو خلفة أو فوق السطح ، اذا كان البيت مستقلا ، كما تكون مجموعة من الأصص على البلكونة أو على أسكفة النافذة ، وبعض المنازل الجديدة تبنى بحيث يحتوى سياج البلكونات المصنوع من الأسمنت على مجرى يطم بالطين ويزرع بالشجيرات المزهرة .

والعناية بالحدائق الصغيرة فى المنزل من السلويات الجميلة التى تشغل ربة البيت والأولاد. وهى سلوى منيرة أيضا ، والمؤلفات التى وضعت فى زراعة الحدائق البيتية كثيرة فى اللغات الأوربية ولكنها معدومة عندنا ، ويحسن بربة البيت التى تريد أن تؤسس حديقة منزلية أن تستشير أحد البستانيين لكى يدلها على ما ينجح وما لا ينجح من النباتات فى الشمس والظل والصيف والشتاء ، وهذه الاستشارة تجعلها تقتصد كثيرا فى النفقات .

وكثير من النباتات ينمو بالقليل جدا من التراب ، وقد أعجبنا حديثا بشجرة موز قد نمت فى صفيحة بترول حتى بلغ ارتفاعها مترين ، وهى بنضرة أوراقها الرحبة تبعث الانشراح فى النفس وتنقل الى المنزل المدنى روائح الريف ، وتقليب الأطفال للبزور وتجاربهم فى الزرع يفتح أذهانهم ويقربهم من الطبيعة الحية .

صناعات الجريد :

جريد النخل من المواد التى تستخدم فى مصر عادة لصنع الأقفاص التى يحمل فيها الدجاج والفواكه والبقول ، ويقوم بهذه الصناعة عدد غير قليل من الفلاحين الذين يتقلمون شق الجريدة وتلبيسها بأقل العناء ، وهم يكسبون من هذا العمل ما يقيتهم .

ولكن الجريد يمكن استخدامه أيضا فى صنع أشياء أخرى غير الأقفاص ، فان إخواننا السودانيين بل بعض سكان أسوان من الفقراء يصنعون منه أسرة للنوم ، والسرير يسمى عندهم " عنجريب " . وقد رأينا فى أحد المستشفيات الأهلية سريرا صغيرا للأطفال مصنوعا من الجريد لا يزيد ثمنه على بضعة قروش .

وحبذا هذه الصناعة تنتشر فى الريف وخاصة فى هذه الأيام التى رحل فيها كثير من سكان المدن الى القرى ، وإذا تعود فلاحونا النوم على أسرة من الجريد وكذلك إذا صانوا الأطفال فى مثل هذه الأسرة استطاعوا أن يهنأوا بالنوم وهم بعيدون عن الحشرات التى تنتقل إليهم عند ما ينامون على حصير مفروش على الأرض ، و بقليل من العناية يمكن أن يصنع أثاث من الكراسى والدواوين والأسرة الريفية من الجريد .

هواية الأطفال :

إذا لم يكن الطفل أبله أو ناقصا فى قواه العقلية فإنه لايكاد يبلغ السادسة حتى يكون ذهنه الصغير موزعا بين طائفة من الأعمال التى تبعث نشاطه وتشغل فراغه ، فهو يحب النجارة ويضايق البيت بتجارب لا تنقطع فى صنع المثلجات وخلط الأصباغ وزراعة النباتات ، فإذا كبر قليلا فكر فى ركوب البسكليت وتربية الحيوان ، وأخبار الحرب تثير خياله حتى ليصنع بارجة من الورق أو الخشب إلى غير ذلك .

والأم الحكيمة تستغل هذه الشهوات الذهنية وتشجع طفلها على المضى فى الحسن منها. وهى لاتبالى التكاليف القليلة التى تحتاج إليها هوايته ، لأن هذه الهواية قد تنمو معه فينتفع بها فى فراغه ويرقى بها كفاءاته ، سواء أكانت كفايات اليد أم كفايات الذهن ، ويجب أن ننزع عن عقولنا تلك الآراء العتيقة التى تقول بأن الصبى النجيب هو الذى يكب على الدرس وينصرف عن اللعب ، فإن اللعب ضرورة للأطفال ، وهو ينبه أذهانهم ويقوى عضلاتهم وينمى أجسامهم ، وانما يجب علينا أن نوجههم الوجهات الحسنة حتى لا يختاروا من اللعب ما يضر ، ويجب أن نشجعهم إذا رأينا أنهم قد استقروا على هواية يخصونها بوقتهم ومالهم .

المعلمة الزائرة :

يقوم بالتعليم الابتدائى والروضى فى أوربا وأمريكا معلمات فى الأكثر. وقل أن يعهد إلى المعلمين فى هـذا التعليم إلا فى الفصول المتقدمة منه . وقد أوجدت الولايات المتحدة الأمريكية ما يسمى " المعلمة الزائرة " .

نقد وجدت المدارس أن بعض الصبيان يتخلفون فى دروسهم أو تسـوء أخلاقهم حتى يعودوا شرا على أنفسهم وعلى رفقائهم من الصبيان . فرأت أن معالجتهم تحتاج إلى درس البيئة خارج المدرسة مثل البيت والشارع والملعب أو الملهى الذى يغشاه الصبى أو غير ذلك . ولذلك فإن المدرسة تكلف " المعلمة الزائرة " زيارة البيت والتعرف إلى أعضاء الأسرة من آباء و إخوة والتحدث إليهم فى النقص الذى تراه فى الصبى ، و يتعاون الجميع على معالجته بالطرق التى تشير إليها هذه المعلمة الخبيرة فى شئون الصبيان ، فقد يكون جو البيت مرهقا للصبى لوجود إخوة أكبر منه يعاكسونه و يتعنتونه . وقد يكون الخلاف بين أبويه علة لاغتمامه الذى ينفجر فى المدرسة ، وقد يكون الصبى محروما من الملاهى البريئة أو هو يشكو نقصا فى الطعام أو يعانى رفقة سيئة من أبناء الجيران .

كل هذه المسائل تبحثها المعلمة الزائرة وتعالجها حتى تستقيم شخصية الصبى وتعتدل أخلاقه .

العمال والرياضة

الحفلة الرياضية لنادى المطبعة الأميرية

سرنا أن نرى بواكير نهضة رياضية بين العمال ؛ وأن تبدو هذه البواكير فى أفق المطبعة الأميرية التى تضم بين جدرانها زهاء ألفى عامل يعدون من أحسن عمال مصر إنتاجا وأشقهم جهدا وأدقهم نظاما .

وإذا كانت شبيبتنا الناهضة من طلبة الجامعة والمعاهد الدراسية المختلفة قد ضربت بسهم وافر فى عالم الرياضة بمختلف فنونها من مصارعة وملاكمة وحمل أثقال وتجديف وصيد وسباحة ومباراة فى كرة القدم وفى التنس وفى الجرى وما إلى ذلك ، وكانت طوائف أخرى من شباب الموظفين وغيرهم قد جرت هذا المجرى وأنشأت عددا وافرا من الأندية والملاعب ، فإن طائفة العمال التى تعتمد فى تأدية عملها وكسب أرزاقها على الأجسام ، وتتعرض لكثير من مخاطر العمل ، هى أحوج من الجميع إلى التمرينات والألعاب الرياضية ، تقوية لأبدانها وتعويضا لها عما يجلبه العمل المتواصل من ضعف وهبوط .

وقد اتجه عمال المطبعة الأميرية أخيرا إلى هذا الاتجاه المفيد . وظهر فيهم نشاط رياضى نرجو أن نراه عما قريب يسود كل طبقات العمال ، إذ أنشأوا ناديا وفرقا رياضية تمارس مختلف الألعاب ، وقد أقاموا فى الثلاثين من شهر أغسطس الماضى حفلا رائعا فى " نادى فاروق الأول " بشارع جلال بحى عماد الدين ، رأسه حضرة مدير المطبعة الأميرية وحضره أبطال الرياضة المعروفون وعدد من كبار الموظفين وأفاضل الزائرين ، وعرضوا فيه ألعابا ومباريات وفقوا فيها أحسن توفيق ، وكانوا موضع إعجاب الجميع سواء فى المصارعة أو فى الملاكمة أو فى رفع الأثقال .

وتولى حضرة مدير المطبعة توزيع جوائز قيمة على المتفوقين .

وتنوى هذه الشبيبة الصالحة أن توسع آفاق نشاطها الرياضى ، وتتخذ لها ناديا خاصا تقيم فيه تمريناتها وحفلاتها ، وتجعله مدرسة ودار تثقيف لبقية عمال المطبعة ، ولا شك أن فى هذا ما ينفع العمال أيما نفع ، فيقوى أبدانهم ويوسع مداركهم ويجعلهم أقدر على تأدية أعمالهم وكسب المزيد من الرزق .

وحبذا هذا التوجيه الذى اختاره مدير المطبعة ، وعسى أن يكون هؤلاء العمال قدوة حسنة للجميع .